KÖPRÜLÜ KÜT.
12
H. Ahmet P.

أسولة القواعد

من نعم الله سبحانه على عبده الفقير الحقير

العالمين

السموات والأرض

العرش

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت

قال الفقير الى رحمة ربه ومغفرته محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي عفى الله عنه وغفر له ولجميع المسلمين هذا مختصر جمعت فيه انموذجا يسيرا من اسولة القرآن المجيد واجوبتها مختصرة مما نقلته من كتب العلماء الائمة ونقحته ولخصته ومنه ما فتح الله تعالى علي به بسبب مذاكرة اخ لي من اخوان الصفاء في دين الله ومحبة كتابه وكان صالحا نقيا سليم النطق وقاد الذهن جامعا لجمل من مكارم الاخلاق وصفات الكمال الانساني انعم الله تعالى علي بصحبته ومذاكرته في معاني كتابه وكان شديد العناية بها كثير البحث والسؤال عنها قد هداه الله اليها وفتح عليه فيها بغرايب لم نسمعها من العلماء ولا رأيناها في كتبهم فحملتني فكرته الوقادة وهمته الصالحة على جمع هذه الصبابة وهي تزيد على الف ومائتي سؤال وان كانت بالنسبة الى ما في
[اي على جمع هذه الطائفة من الاسولة والاجوبة]
القرآن من العجايب والغرايب كالقطرة من الدأماء والسهى من نجوم السماء ولكني قصدت اختصار هذا الانموذج منها وتقريبه الى الافهام ليكثر الانتفاع به ولا يضجر لدقته وغموضه واما الاسولة التي تتعلق بوجوه الاعراب والمعاني التي هي ادق على الافهام واخفى فاني وضعت لها مختصرا آخر واودعته انموذجا منها ايضا فلتطلب منه والله المستعان وعليه التوكل واليه التضرع في ان يجعل علمي وعملي خالصا لوجهه الكريم ويتغمدني واخي الصالح بمغفرته ورحمته انه غفور رحيم

فان قيل الرحمن ابلغ في الوصف بالرحمة من الرحيم بالنقل عن الزجاج وغيره فكيف قدمه وعادة العرب في صفات المدح الترقي من الادنى الى الاعلى قلنا قال الجوهري وغيره انهما بمعنى واحد كنديم وندمان فعلى هذا لا يرد السوال وعلى القول الاول انما قدمه لان الله تعالى اسم خاص بالباري لا يسمى به غيره لا مفردا ولا مضافا فقدمه والرحيم يوصف به غيره مفردا ومضافا فأخره والرحمن يوصف به غيره مضافا ولا يوصف به مفردا الا الله تعالى فوسطه

فان قيل كيف قدم العبادة على الاستعانة والاستعانة مقدمة لان العبد يستعين الله على العبادة فيعينه الله عليها قلنا الواو لا تدل على الترتيب او المراد بهذه العبادة التوحيد وهو مقدم على الاستعانة على اداء ساير العبادات فان من لم يكن موحدا لا يطلب الاعانة على اداء العبادات

فان قيل المراد بالصراط المستقيم الاسلام او القرآن او طريق الجنة بالنقل والمؤمنون مهتدون الى ذلك فما معنى قولهم اهدنا الصراط المستقيم وانه تحصيل الحاصل قلنا معناه ثبتنا عليه وادمنا على سلوكه خوفا من سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك كما يقول العرب للواقف قف حتى آتيك معناه دم على وقوفك واثبت عليه او معناه طلب زيادة الهدى كما قال الله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى

فان قيل ما فائدة دخول لا في قوله ولا الضالين وقوله غير المغضوب عليهم والضالين كاف في المقصود قلنا فائدته تأكيد النفي الذي دل عليه غير

فان قيل كيف قال لا ريب فيه على سبيل الاستغراق وكم ضال قد ارتاب فيه ويؤيد ذلك قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا قلنا معناه لا ريب فيه عند الله ورسوله والمؤمنين او هو نفي معناه النهي اي لا ترتابوا فيه انه من عند الله ونظيره قوله تعالى وان الساعة آتية لا ريب فيها

فان قيل كيف قال هدى للمتقين والمتقون مهتدون فكان تحصيل الحاصل قلنا انما صاروا متقين بما استفادوا منه من الهدى او اراد انه ثبات

لهم على الهدى وزيادة فيه او خصهم بالذكر لانهم هم الفائزون بما نعتهم حيث قبلوه واتبعوه
كقوله انما انت منذر من يخشاها او اراد الفريقين واقتصر على احدهما كقوله سرابيل تقيكم
الحر فان قيل المخادعة انما تتصور في حق من يخفى عليه الامور ليتم الخداع في حقه
تعالى خدعه اذا اراد به المكروه من حيث لا يعلم والله تعالى لا يخفى عليه شيء فكيف
قال يخادعون الله قلنا معناه يخادعون رسول الله كقوله ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله وقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله او سمى نفاقهم خداعا لشبهه بفعل
المخادع فان قيل كيف حصر الفساد في المنافقين بقوله الا انهم هم المفسدون ومعلوم
ان غيرهم مفسد ايضا قلنا المراد بالفساد الفساد بالنفاق وهم كانوا مخصوصين به
فان قيل كيف قال الله يستهزئ بهم والاستهزاء من باب العبث والسخرية
وهو قبيح والله تعالى منزه عن القبيح قلنا سمى جزاء الاستهزاء استهزاء كقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى الله يجازيهم جزاء استهزائهم فان قيل ما الفائدة
في قوله او كصيب من السماء ومعلوم ان الصيب لا يكون الا من السماء قلنا فائدته
انه ذكر السماء معرفة واضافه اليها ليدل على انه من جميع آفاقها لا من افق واحد
اذ كل افق يسمى سماء قال الشاعر ومن بعد ارض بيننا وسماء فان
قيل كيف قال فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون والمشركون لم يكونوا عالمين انه لا ند
له ولا شريك له بل كانوا يعتقدون ان له اندادا وشركاء قلنا معناه وانتم تعلمون
ان الانداد لا تقدر على شيء مما سبق ذكره في الآية وانتم تعلمون انه ليس في التورية
والانجيل جواز اتخاذ الانداد فان قيل كيف عرف النار هنا ونكرها في سورة التحريم

التحريم قلنا تلك الآية نزلت بمكة قبل هذه الآية فلم تكن النار التي وقودها الناس والحجارة
معروفة فنكرها ثم نزلت هذه الآية بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا فان قيل قوله
ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق ليسا فعلين متغايرين لان المراد بلبسهم الحق
بالباطل لينهوا عن الجمع بينهما بل احدهما داخل في الآخر قلنا هما فعلان متغايران لان
المراد بلبسهم الحق بالباطل كتابتهم في التورية ما ليس منها وبكتمانهم الحق قولهم لا نجد في
التورية صفة محمد صلى الله عليه وسلم فان قيل ما فائدة الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه
راجعون ما فائدة الثاني والاول يدل عليه ويقتضيه قلنا معناه ملاقوا ربهم اي ملاقوا
ثواب ربهم وما وعدهم على الصبر والصلوة وفعلها وانهم اليه راجعون اي يوقنون بالبعث
فصار المعنى انهم موقنون بالبعث وبحصول الثواب الموعود فلا تكرار فيه فان قيل
كيف قال فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وهم انما بدلوا القول الذي قيل لهم
لانهم قيل لهم قولوا حطة فقالوا حنطة قلنا معناه فبدل الذين ظلموا قولا قيل لهم
وقالوا قولا غير الذي قيل لهم فان قيل ما فائدة ولا تعثوا في الارض مفسدين والعثو
الفساد فصار المعنى ولا تفسدوا في الارض مفسدين قلنا معناه ولا تعثوا في
الارض بالكفر وانتم مفسدون بساير المعاصي فان قيل كيف قال لن نصبر على
طعام واحد وطعامهم كان المن والسلوى وهما طعامان قلنا المراد انه دائم غير
متبدل وان كان نوعين فان قيل كيف قال ويقتلون النبيين بغير الحق
وقتل النبيين لا يكون الا بغير الحق قلنا معناه بغير الحق في اعتقادهم ولان

السريح بصفة تعليم القبيح أبلغ في ذمهم وان كانت تلك الصفة لازمة للفعل كما في عكسه قال
رب احكم بالحق لزيادة المعنى في التصريح بالصفة ولان فعل النبي قد يكون بحق كقتل ابرهيم عليه
ولده لو وُجد كان بحق فان قيل كيف قال فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين وانتقالهم من صورة
البشر الى صورة القردة ليس في وسعهم قلنا هذا امر ايجاد لا امر ايجاب فهو من قبيل كن
فيكون فان قيل بين يقتضي شيئين فصاعدا فكيف جاز دخولها على ذلك وهو مفرد قلنا ذلك يشار
به الى المفرد والمثنى والمجموع ومنه قوله تع قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وقوله تع
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقوله زين للناس الى ان قال ذلك متاع
الحيوة الدنيا فمعناه عوان بين الفارض والبكر وسيأتي تمامه في قوله تع بين احد من رسله
ان شاء الله تع فان قيل قوله تع وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج
منه الماء كلاهما في المعنى واحد فما فائدة الثاني قلنا التفجر يدل على الخروج بوصف الكثرة
والثاني يدل على نفس الخروج وهما متغايران فلا تكرار فان قيل ما الفائدة في قوله تع
فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم والكتابة لا تكون الا باليد قلنا فائدته تحقيق مباشرتهم
ذلك التحريف بانفسهم وذلك زيادة في تقبيح فعلهم فانه يقال كتب فلان كذا وان لم
يباشره بنفسه بل امر غيره به من كاتبه او نحو ذلك فان قيل التولي والاعراض
واحد فكيف قال ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون قلنا معناه ثم توليتم عن الوفاء
بالميثاق والعهد وانتم معرضون عن الفكر والنظر في عاقبة ذلك فان قيل قوله تع
ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا اما قوله ومن الذين اشركوا

٢

اشركوا وهم من جملة الناس قلنا انما خصوا بالذكر بعد العموم لان حرصهم على الحيوة اشد لانهم
كانوا لا يؤمنون بالبعث فان قيل قوله تع وما انزل على الملكين يدل على ان الله تع انزل علم
السحر على الملكين فلم يكن حراما قلنا العمل به حرام لانهما كانا يعلمان الناس السحر ليجتنبوه
كما قال تعالى وما يعلمان من احد الآية نظيره لو سأل انسان ما الزنا لوجب بيانه له ليعرفه فيجتنبه
فان قيل قوله تع ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم
لو كانوا يعلمون اثبت لهم العلم اولا مؤكدا بلام القسم ثم نفاه عنهم قلنا المثبت لهم انهم علموا
ان من اختار السحر ما له في الاخرة من نصيب والمنفي عنهم انهم لا يعلمون حقيقة ما يصير اليه
من تحسر الاخرة ولا يكون له نصيب منها فالمنفي غير المثبت فلا تنافي فان قيل كيف قال ولو
انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون وانما يستقيم ان يقال هذا خير من ذلك
اذا كان في كل واحد منهما خير ولا خير في السحر قلنا خاطبهم على اعتقادهم ان في تعلم السحر خيرا
نظرا منهم الى حصول مقصدهم الدنيوي به فان قيل كيف قال هنا رب اجعل هذا بلدا آمنا وقال في سورة
ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا قلنا في الدعوة الاولى كان مكانا قفرا فطلب منه
ان يجعله بلدا وآمنا وفي الدعوة الثانية كان بلدا غير آمن فعرفه وطلب له الامن او كان
بلدا آمنا فطلب له ثبات الامن ودوامه وكون هذه السورة مدنية وسورة ابرهيم
عليه السلام مكية لا ينافي هذا لان الواقع من ابرهيم عليه السلام بلغته على الترتيب الذي
قلنا والاخبار عنه في القرآن على غير ذلك الترتيب او لان المكي منه ما نزل قبل الهجرة فيكون
المدني متاخرا عنه ومنه ما نزل بعد فتح مكة فيكون متاخرا عن المدني فلم قلتم ان سورة

ابرهيم عليه السلام من الملكي الذي نزل قبل الهجرة فان قيل اي مدح وشرف له بوصفه عليه في قوله تعالى
وانه في الآخرة لمن الصالحين مع ماله من شرف الرسالة والخلة قلنا قال الزجاج المراد بقوله من
الصالحين اي من الفائزين فان قيل الموت ليس في وسع الانسان وقدرته حتى نهي
ان ينهى عنه على صفة او يؤمر به على صفة فكيف قال فلا تموتن الا وانتم مسلمون قلنا معناه
اثبتوا على الاسلام حتى اذا اتاكم الموت متم على دين الاسلام فهو في معنى الامر بالثبات على الاسلام
والدوام عليه او نهي عن تركه فان قيل قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ان اريد
به الله تعالى فلا مثل له وان اريد به دين الاسلام فلا مثل له ايضا لان دين الحق واحد قلنا
كلمة مثل زائدة معناه فان آمنوا بما آمنتم به يعني بمن آمنتم به وهو الله تعالى او بما آمنتم به وهو
دين الاسلام وقيل قد تزاد في الكلام كقوله تعالى ليس كمثله شيء وقوله تعالى كمن مثله في الظلمات وقيل
ومثل بمعنى واحد وقيل الباء زائدة كما في قوله تعالى بجذع النخلة اي مثل ايمانكم بالله او بدين الاسلام
فان قيل كيف قال تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على
عقبيه وهو لم يزل عالما بذلك قلنا معناه لنعلمه واقعا موجودا او اراد بالعلم التمييز للعباد
كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فان قيل كيف قال فلنولينك قبلة ترضاها وهذا يدل
على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن راضيا بالتوجه الى بيت المقدس مع ان التوجه اليه كان بامر الله
تعالى وحكمه قلنا المراد بهذا الرضا رضا المحبة بالطبع لا رضا التسليم والانقياد لامر الله تعالى
فان قيل كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلنا كلتا القبلتين
باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة فان قيل كيف يكون للظالمين

للظالمين من اليهود او غيرهم حجة على المؤمنين حتى قال لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم
قلنا معناه الا ان يقولوا ظلما وباطلا كقول الرجل ما لك عندي حق الا ان تظلم او الا ان تقول
الباطل وقيل معناه والذين ظلموا منهم فالا هنا بمعنى واو العطف كما في قوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون
الا من ظلم وقيل الا فيهما بمعنى لكن وحجتهم انهم كانوا يقولون لما توجه النبي صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس
ما درى محمد اين قبلته حتى هديناه وكانوا يقولون ايضا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا
فلما حوله الى الكعبة انقطعت هذه الحجة فعادوا يقولون لم تركت قبلة بيت المقدس ان
كانت باطلة فقد صليت اليها زمانا وان كانت حقا فقد انتقلت عنها فهذا هو المراد بقوله تعالى
الا الذين ظلموا منهم وقيل المراد به قولهم ما ترك محمد قبلتنا الا ميلا الى دين قومه وحبا لوطنه
وقيل المراد به قول المشركين قد عاد محمد الى قبلتنا لعلمه ان ديننا حق فسوف يعود الى ديننا
وانما سمى باطلهم حجة لمشابهته الحجة في الصورة كما قال حجتهم داحضة وقال فرحوا بما عندهم من العلم
فان قيل ما الفائدة في قوله تعالى ولا تكفرون بعد قوله واشكروا لي والشكر نقيض الكفران فمتى وجد
الشكر انتفى الكفران قلنا معناه واشكروا لي معناه استعينوا بنعمتي على طاعتي وقوله ولا تكفرون معناه
ولا تستعينوا بنعمتي على معصيتي وقيل الاول امر بالشكر والثاني امر بالثبات عليه فان قيل كيف قال
تعالى والناس اجمعين واهل دينه لا يلعنونه اذا مات على دينه قلنا المراد بالناس المؤمنون
فقط او هو على عمومه واهل دينه يلعنونه في الآخرة قال الله تعالى ثم يوم القيامة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا وقال تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها فان قيل ما الفائدة في قوله
تعالى اله واحد وهلا قال والهكم واحد فكان اخصر واوجز قلنا لو قال والهكم واحد لكان

ظاهره اخبارا عن كونه واحدا في الالهية يعني لا اله غيره ولم يكن اخبارا عن توحده في ذاته بخلاف
ما ذكر في ذكر الآية والآية انما سيقت لاثبات احديته في ذاته ونفي ما يقول النصارى انه واحد
والاقانيم ثلاثة اي الاصول كما ان زيدا واحد واعضاؤه متعددة فلما قال آخرا واحد دل على احدية الذات
والصفة ولقائل ان يقول معنى واحد بمعنى الاحدية في الذات ويحتمل الاحدية في الصفة سواء كرر ذكر
الآية او لم تكرر فلا يتم الجواب فان قيل كيف وجه صحة التشبيه في قوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل
الذي ينعق وظاهره تشبيه الكفار بالراعي قلنا فيه اضمار تقديره ومثلك يا محمد مع الكفار كمثل
الراعي مع الاغنام او تقديره ومثل الذين كفروا كمثل بهائم الراعي او ومثل واعظ الذين كفروا
كمثل الراعي او ومثل الذين كفروا اي في عبادتهم الاصنام كمثل الراعي فان قيل كيف خص المنعوق به
بانه لا يسمع الا دعاء ونداء مع ان الكل عاقل كذلك ايضا لا يسمع الا دعاء ونداء قلنا المراد بقوله
لا يسمع لا يفهم كقولهم اسمعه شتما فاسمعه اجابة اي اساء فيهما فان قيل كيف قال تعالى ولا يكلمهم
الله يوم القيمة وقال في موضع آخر فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون قلنا المنفي كلام اللطف
التلطف والاكرام والمثبت سؤال التوبيخ والاهانة فلا تنافي فان قيل كيف قال تعالى كتب
عليكم القصاص في القتلى اي فرض والقصاص ليس بفرض بل الولي مخيّر فيه بل مندوب الى
تركه قلنا المراد به فرض على القاتل التمكين لا انه فرض على الولي الاستيفاء فان قيل كيف قال
الوصية للوالدين والاقربين عطف الاقربين على الوالدين وهما اقرب الاقربين
والعطف يقتضي المغايرة قلنا الوالدان ليسا من الاقربين لان القريب من يدلي الى
غيره بواسطة كالاخ والعم ونحوهما والوالدان ليسا كذلك ولو كانا منهم لكن خصّا بالذكر كقوله تعالى
قيل

كقوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال فان قيل كيف قال كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وصوم
هذه الامة ليس كصوم امة موسى وعيسى عليهما السلام قلنا التشبيه في اصل الصوم لا في كيفيته
او في كيفية الافطار فانه كان في اول الامر الافطار مباح من غروب الشمس الى وقت النوم فقط
كما كان في صوم من قبلنا ثم نسخ بقوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض الآية او في العدد
ايضا على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه فرض على النصارى صوم رمضان بعينه فقدموا
عشرة واخروا عشرة لئلا يقع في الصيف وجبروا التقديم والتاخير بزيادة عشرين فصار
صومهم خمسين يوما بين الصيف والشتاء فان قيل ما الفائدة في قوله تعالى وبينات من الهدى بعد قوله
هدى للناس قلنا ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى الله به عبيده وفرق
به بين الحق والباطل من الكتب السماوية الهادية الفارقة بين الحق والباطل فلا تكرار فان قيل
ما فائدة اعادة ذكر المريض والمسافر قلنا فائدته ان الآية المتقدمة نسخ ما فيها تخيير الصحيح وكان
فيها تخيير المريض والمسافر فاعاد ذكرهما لئلا يتوهم ان تخييرهما نسخ كما نسخ تخيير الصحيح فان قيل
قوله تعالى فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان يدل على انه يجيب دعاء الداعين ونحن
نرى كثيرا من الداعين لا يستجاب لهم قلنا روي عن النبي صلعم انه قال ما من مسلم دعا الله بدعوة
ليس فيها قطيعة رحم ولا اثم الا اعطاه الله تعالى بها احدى ثلاث خصال اما ان تعجل دعوته
واما ان يوخر له في الآخرة واما ان يدفع عنه من السوء مثلها ولان قبول الدعاء شرطه الطاعة
لله واكل الحلال وحضور القلب وقت الدعاء فمتى اجتمعت هذه الشروط حصلت الاجابة ولان
الداعي قد يعتقد مصلحته في الاجابة والله تعالى يعلم ان مصلحته في تاخير ما سأل او في منعه عنه

اي نسخ ما فيها من الاحكام الا
تخيير الصحيح

فيجيئه الى منتهاه الاعلى وهو طلب المطلق فيكون قد اجيب وهو يعتقد انه منع فان قيل
ما فائدة قوله تلك عشرة كاملة ومعلوم ان ثلاثة وسبعة عشرة ثم ما فائدة قوله كاملة والعشرة
لا تكون الا كاملة وكذا جميع اسماء الاعداد لا تصدق على اقل من المذكور ولا على اكثر منه قلنا فائدة
قوله تلك عشرة ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث
ورباع والا لتحل التسع جملة فنفى بقوله تلك عشرة ظن وجوب احد العددين فقط اما الثلاث
في الحج والسبعة بعد الرجوع وان تعلم العدد من جهتين جملة وتفصيلا فيتأكد العلم به ونظيره
فذلكة الحساب وتصنيف الكتاب واما قوله كاملة فتأكيد كما في قوله حولين كاملين او معناه
كاملة في الثواب مع وقوعها بدلا عن الهدي او في وقوعها موقع المتتابع مع تفرقها او في وقوعها
موقع الصوم في الحج مع وقوع بعضها بعده او في وقوعها موضع الصوم بمكة مع وقوع بعضها في
غير مكة فاكمل انه كان وصفا لازما فان قيل ما فائدة تكرار الامر بالذكر في قوله فاذا افضتم
من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم قلنا انما كرره تنبيها على انه اراد
ذكرا مكررا لا ذكرا واحدا بل مرة بعد اخرى ولانه زاد في الثاني فائدة اخرى وهي قوله كما هداكم
يعني اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته ولانه اراد بالذكر الاول الجمع بين الصلاتين بمزدلفة
وبالثاني الدعاء بعد الفجر بالمشعر فلا تكرار فان قيل كيف قال الله تعالى فاذا افضتم من عرفات الى
ان قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس واراد به الافاضة من عرفات بلا خلاف وبعد
المجيء الى مزدلفة والذكر فيها فتبقى كأنه قال كيف تفيضون من عرفات قلنا فيه تقديم
وتأخير تقديره من ربكم ثم افيضوا من حيث افاض الناس فاذا افضتم من عرفات

من عرفات فان قيل كيف قال الله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه ومعلوم
ان المتعجل التارك بعض الرمي اذا لم يكن عليه اثم لا يكون على المتأخر الآتي بالرمي كاملا قلنا
كان اهل الجاهلية فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فاخبر الله تعالى
بنفي الاثم عنهما جميعا او معناه لا اثم على المتأخر في ترك الاخذ بالرخصة مع ان الله يحب ان تؤتى
رخصه كما تؤتى عزائمه او معناه ان انتفاء الاثم عنهما موقوف على التقوى لا على مجرد الرخصة او
العزيمة في الرمي ثم قيل المراد به تقوى المعاصي في الحج وقيل تقوى المعاصي بعد الحج في بقية العمر
بالوفاء بما عاهد الله عليه في حجته وغيرها من مواقف الحج من التوبة والانابة والمشكل في هذه
الآية قوله في يومين والتعجيل المرخص فيه انما هو التعجيل يوم الثاني من ايام التشريق
فكيف ذكر لفظ اليومين واراد به اليوم الثاني فقط فان قيل كيف قال تعالى والى الله ترجع الامور
وهو يدل على انها كانت الى غيره كقولهم رجع الى فلان عبده ومنصبه قلنا هو خطاب لمن
كان يعبد غير الله وينسب افعاله الى سواه فاخبرهم انهم اذا كشف لهم الغطاء يوم القيامة
ردوا اليه ما اضافوه الى غيره بسبب كفرهم وجهلهم ولان رجع يستعمل بمعنى صار ودخل
كقولهم رجع علي من فلان مكروه ومنه قول لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه • يحور
رمادا بعد اذ هو ساطع • ولانها كانت اليه قبل خلق عبيده فلما خلقهم ملكهم بعضها خلافة ونيابة
ثم رجعت اليه بعد هلاكهم ومنه قوله تعالى لمن الملك اليوم وقوله والامر يومئذ الحق للرحمن
وانما قال والى الله ترجع الامور ولم يقل واليه وان كان قد سبق ذكره مرة لقصد التفخيم
والتعظيم وذلك شائع في الايجاز فان قيل كيف طابق الجواب السؤال في قوله يسألونك

ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين فانهم سالوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا
ببيان المصرف قلنا قد تضمن قوله قل ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير ثم زيد
على الجواب بيان المصرف ونظيره قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى الآية وقوله صلى الله عليه
وسلم وقد سئل عن الوضوء بماء البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته فان قيل كيف جاء
يسالونك ثلاث مرات بغير واو يسالونك ماذا ينفقون يسالونك عن الشهر الحرام يسالونك
عن الخمر والميسر ثم جاء ثلاث مرات بالواو ويسالونك ماذا ينفقون ويسالونك عن اليتامى
ويسالونك عن المحيض قلنا لان سوالهم عن الحوادث الاول وقع متفرقا وعن الحوادث
الاخر وقع في وقت واحد فجيء بحرف الجمع دلالة على ذلك فان قيل كيف قال وان عزموا
الطلاق فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم لا مما يسمع قلنا الغالب ان
العازم على الطلاق وترك الفيء والضرار لا يخلو عن مقاولة ودمدمة وان خلا عنها فلا بد له من
ان يحدث نفسه ويناجيها بما عزم عليه وذلك حديث لا يسمعه الا الله تعالى كما يسمع
وسوسة الشيطان فان قيل كيف قال وبعولتهن احق بردهن ولا حق للنساء في الرجعة
والفعل يقتضي الاشتراك قلنا المراد ان الزوج اذا اراد الرجعة وابت المراة وجب
ايثار قوله على قولها لا ان لها حقا في الرجعة فان قيل كيف قال الله تعالى وبعولتهن احق
بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا والزوج احق بالرجعة سواء اراد الاصلاح
او الاضرار [illegible] بها بتطويل العدة قلنا المراد ان الرجعة اصوب واعدل
ان قصد الزوج بها الاصلاح وتركها اصوب واعدل ان قصد الزوج الاضرار بها فان قيل

فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت
الا الموتة الاولى قلنا المراد بالآية الاولى اماتة العقوبة مع بقاء الاجل وبالآية الثانية الاماتة
بانتهاء الاجل نظيره قوله في قصة موسى عليه ثم بعثناكم من بعد موتكم لانها كانت اماتة عقوبة
اذ كان احياؤهم آية لنبيهم على ما عرف في قصتهم فصار كاحياء العزير حين مر على القرية
وآيات الانبياء نوادر مستثناة فكان المراد بالآية الثانية الموتة التي ليست بسبب آية
لنبي من الانبياء واحياء قوم موسى آية له ايضا فكان هذا جوابا عاما مع ان في اصل
السوال نظرا لان الضمير في قوله لا يذوقون للمتقين وفي قوله فيها للجنات على ما ياتي بيانه
في سورة الدخان ان شاء الله تعالى على وجه يندفع به السوال من اصله فان قيل كيف قال الله
تعالى والله يؤتي ملكه من يشاء والله تعالى لا يؤتي ملكه احدا قلنا المراد بهذا الملك
السلطنة والرياسة التي انكروا اعطاءها لطالوت وليس المراد انه يؤتي كل ملكه لاحد
لان سياق الآية يمنعه فان قيل كيف قال في الماء ومن لم يطعمه ولم يقل ومن لم يشربه
والماء مشروب لا ماكول قلنا طعم بمعنى اكل وبمعنى ذاق والذوق هو المراد هنا وهو
يعم فان قيل كيف خص موسى وعيسى عليهما السلام من بين الانبياء بالذكر في قوله
تلك الرسل الآية قلنا لما اوتيا من الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة مع الكتابين
العظيمين المشهورين فان قيل كيف قال من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة
ولا شفاعة وفي يوم القيامة شفاعة الانبياء وغيرهم بدليل قوله من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله ولا تنفع الشفاعة

عنده الاّ من اذن له فلما نفى الاوّل لا يدل على وجود الشفاعة يوم القيمة بل يدل على انها
لا توجد ولا تنفع بغير اذنه ولا توجد لغير مرضيّ عنده وهذا لا ينافي نفي وجودها بل المنافي
له الاخبار عن وجودها لا الاخبار عن امكان وجودها ولو سلّم فالمراد به نفي شفاعة الاصنام
والكواكب التي كانوا يعبدونها ولهذا عرّض بذكر الكفار بقوله والكافرون هم الظالمون
وقيل المراد انه لا شفاعة في اثم ترك الواجبات لان الشفاعة في الآخرة في زيادة الفضل لا غير
والخطاب مع المؤمنين في النفقة الواجبة وهي الزكوة فان قيل كيف قال الله تعالى
والكافرون هم الظالمون على جهة الحصر وغيرهم ظالم ايضا قلنا لان ظلمهم اشدّ فكانه لا ظالم
الّا هم نظيره انما يخشى الله من عباده العلماء فان قيل كيف قال تعالى الله ولي الذين آمنوا
يخرجهم بلفظ المضارع ولم يقل اخرجهم بلفظ الماضي والاخراج قد وجد لان الايمان قد وجد
قلنا لفظ المضارع فيه دلالة على استمرار ذكر الاخراج من الله مع في الزمان المستقبل
في حق من آمن بزيادة كشف الشبه ومضاعفة الهداية وفي حق من لم يؤمن ممّن
قضى الله انه سيؤمن بابتداء الهداية وزيادة تقاربها ولفظ الماضي لا يدل على هذا المعنى
فان قيل متى كان المؤمنون في ظلمات الكفر والكافرون في نور الايمان ليخرجوا منه ذكر
قلنا الاخراج يستعمل بمعنى المنع عن الدخول يقال لمن امتنع عن الدخول في امر
خرج منه واخرج نفسه منه وان لم يكن دخل فيه فعصمة الله تعالى المؤمنين عن
الدخول في ظلمات الضلال اخراج لهم منها وتزيين قرناء الكفار لهم الباطل الذي
يصدّونهم به عن الحق اخراج لهم من نور الهدى ولانّ ايمان اهل الكتاب بالنبيّ

اى دساتير الكفار

عليه السلام قبل ان يظهر كان نورًا لهم وكفرهم به بعد ظهوره خروج منه الى ظلمات
الكفر ولانه لما ظهرت معجزاته عليه كان موافقه ومتّبعه خارجًا من ظلمات الجهل الى نور
العلم ومخالفه خارجًا من نور العلم الى ظلمات الجهل فان قيل كيف انتقل ابرهيم عليه الى
حجّة اخرى وعدل عن نصرة الاولى مع انه لم ينقطع بما عارضه به نمرود من قتل احد
المحبوسين واطلاق الآخر فان ابرهيم عليه ما اراد هذا الاحياء والاماتة قلنا انما لانه رأى
خصمه قاصر الفهم عن ادراك معنى الاحياء والاماتة التي اضافها ابرهيم الى الله تعالى حيث
عارض معارضة لفظية وعمي عن اختلاف المعنيين او لانه علم انه فهم الحجة لكنه قصد
التمويه والتلبيس على اتباعه واشياعه فعدل ابرهيم عليه السلام الى امر ظاهر يفهمه
كل احد ولا يقع فيه تمويه ولا تلبيس فان قيل كيف طبع الله على قلبه فلم يعارض بالعكس
في طلوع الشمس قلنا لانه لو عارض به لم يأت الله بها من المغرب لان ذلك امارة قيام
الساعة فلا يوجد الا قريبًا من قيامها ولانه واتباعه كانوا عالمين ان طلوعها من المشرق
سابق على وجوده فلو ادّعاه لكذّبوه فان قيل كيف قال عزير منكرًا مستبعدًا انّى يحيى
هذه الله بعد موتها وهو نبيّ والنبيّ لا يخفى عليه قدرة الله تعالى على احياء قرية خربة
واعادة اهلها قلنا ما قاله منكرًا مستبعدًا العظم قدرة الله بل متعجبًا من عظم قدرة
الله او طالبًا للرؤية كيفية الاعادة لان انّى بمعنى كيف ايضا وقد نقل عن مجاهد ان المارّ
على القرية القائل ذلك كان رجلًا كافرًا شاكّا في البعث وان كان الاوّل هو المشهور
فان قيل كيف قال الله تعالى لابرهيم عليه السلام اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس

هذا جواب عن سوال آخر عن المذكور وهو انه ادعى الربوبية والقدرة الكاملة لم لم تعلق هذا معنى بان يعنت والى هذا السوال اشار الامام في تفسيره تعالى ان نمرود لما لم يحيى من المعارض الاولى بالقول والتخلية فكيف يؤمن منه ان يقول هذا منى وتقريره الجواب انا تباعه كانوا عالمين ان طلوعها من المشرق سابق على وجوده وهو يعلم انهم عالمون بذلك فلو ادعاه لكذبوه هذا تحقيق هذا المقام الآن عند اكثر الكتاب فاصرع منه

ايماناً ملماً للمجيب بما اجاب به فيتحصل به الفائدة الجليلة للسامعين من طلبه لاحياء
الموتى فان قيل كيف يجوز ان يكون النبي غير مطمئن القلب بقدرة الله على احياء الموتى
حتى قال ابرهيم عم ولكن ليطمئن قلبي قلنا معناه ليطمئن قلبي بعلم ذلك عياناً كما اطمان
به برهاناً او ليطمئن بانك اتخذتني خليلا او باني مستجاب الدعوة ولقائل ان يقول على الوجه
الاول كيف يزداد يقيناً بالمشاهدة وقد روي عن علي رضي الله عنه انه قال لو كشف الغطاء
ما ازددت يقيناً وابرهيم عم اعظم رتبة واجل وجوابه ان علياً رضي الله عنه اراد
بذلك قوة يقينه قبل العيان حتى كانت الزيادة الحاصلة بالعيان يسيرة لا يعتد بها
فان قيل ما فائدة قوله تع فصرهن اليك اي فضمهن ولفظ الاخذ مغن عنه قلنا الفائدة
فيه زيادة تاملها ومعرفة اشكالها وصفاتها لئلا يلتبس عليه بعد الاحياء فيتوهم
انها غيرها فان قيل كيف مدح المنفقين بترك المن ونهى عن المن ايضاً مع انه وصف
بالمنان قلنا من بمعنى اعطى ومنه المنان في صفات الله تع وقوله فامنن او امسك
وقوله تع لقد من الله على المؤمنين اي انعم وقوله تع فاما منا بعد اي انعاما
بالاطلاق بغير عوض ومن بمعنى اعتد بالنعمة وذكرها واستعظمها وهو المذموم
فان قيل قوله تع بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان من القسم الثاني قلنا ذكر اعتداد
بنعمة الايمان فلا يكون قبيحاً بخلاف نعمة المال ولانه يجوز ان يكون من صفات الله
تعالى ما هو مدح في حقه ذم في حق العبد كالجبار والمتكبر والمنتقم ونحو ذلك فان قيل
كيف قال ايود احدكم ان يكون له جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات

الربع عشر

مطلب في ان من الصفات ما هو ممدوح في حق الله مذموم في حق العبد

الثمرات قلنا لما كان النخيل والاعناب اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة
منهما وان كان فيها غيرهما تغليبا لهما وتفضيلا فان قيل قوله تع لا يسألون الناس الحافاً يدل
بمفهومه على انهم كانوا يسألون برفق فكيف قال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف قلنا
المراد به نفي السوال والالحاف جميعاً كقوله تعالى لا ذلول تثير الارض وكقول الاعشى لا يغمز
الساق من اين ولا وصب معناه ليس بساقه اين ولا وصب فيغمزها فان قيل كيف قال
الله تع الذين ياكلون الربا الآية الحق الوعيد باكله مع ان كاتبه وموكله وشاهده شركاء
في الاثم سواء قلنا لما كان اكثر الانتفاع واهمه بالمال انما هو الاكل لانه مقصود لا غنى عنه
ولا بد منه عبر عن انواع الانتفاع بالاكل كما يقال اكل فلان ماله كله اذا اخرجه في مصالح
الاكل وغيره فان قيل كيف خص الآكل بذكر الوعيد دون المطعم وكلاهما آثم قلنا لان انتفاعه
الدنيوي بالربا اكثر من انتفاع المطعم فان قيل كيف قال تع انما البيع مثل الربا والكلام في
الربوا ومقصودهم تشبيهه بالبيع فقياسه انما الربوا مثل البيع قلنا جاؤا بالتمثيل
على طريق المبالغة وذلك انه بلغ من اعتقادهم استحلال الربوا انهم جعلوه اصلا في الحل
والبيع فرعاً كقولهم القمر كوجه زيد والبحر ككفه اذا ارادوا المبالغة فان قيل كيف قلتم
ان اهل الكبائر لا يخلدون في النار وقد قال الله تع في حق آكل الربوا ومن عاد فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون قلنا الخلود يستعار بمعنى طول البقاء وان لم يكن بصفة
التابيد يقال خلد الله ملكه فلان في الحبس اذا طال حبسه او نقول تع فاولئك اشارة
الى من عاد الى استحلال الربوا بقوله انما البيع مثل الربوا بعد نزول آية التحريم

مطلب في ان من المقيد يعني عن العبد والتقييد ...

وكذا لو تاب ... في قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها

وذلك يكون كافرا والكافر يخلد في النار. فإن قيل انظار المعسر فرض بالنص والصدقة عليه
تطوع فكيف قال وأن تصدقوا خير لكم قلنا كل تطوع كان محصلا للمقصود من الفرض بوصف
الزيادة كان أفضل من الفرض كما أن الزهد في الحرام فرض وفي الحلال تطوع والزهد في الحلال
أفضل لما بينا كذلك هنا. فإن قيل ما فائدة قوله تعالى بدين وقوله تعالى تداينتم مغن عنه قلنا
فائدته رجوع الضمير إليه في قوله تعالى فاكتبوه إذ لو لم يذكره لقال فاكتبوا الدين والأول أحسن نظما.
الثاني أن تداينتم مشترك بين الإقراض والمبايعة وبين المجازاة وإنما يميز بينهما بقرينة دالة
وذكرها ومنه قوله تعالى مالك يوم الدين يسألون أيان يوم الدين فذكر الدين ليتعين أحد
المعنيين وهو المراد. فإن قيل كيف شرط السفر في الارتهان بقوله تعالى وإن كنتم على سفر الآية
وجواز الرهن لا يختص بالسفر قلنا لم يذكره لتخصيص الحكم به بل لما كان السفر مظنة
عوز الكاتب والشاهد الموثوق بهما أمر على سبيل الإرشاد بحفظ مال المسافرين بأخذ
الرهان. فإن قيل ما فائدة ذكر القلب في قوله تعالى فإنه آثم قلبه مع أن الجملة هي الموصوفة
بالإثم لا القلب وحده قلنا كتمان الشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان ذلك إثما
مقترفا بالقلب ومكتسبا به أسند إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي تعمل بها
أبلغ كما يقال هذا ما أبصرته عيني وسمعته أذني وعلمه قلبي. فإن قيل كيف قال الله تعالى
وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وما تحدث به الإنسان نفسه لا يأثم
ما لم يفعله أو لأنه لا يدخل الاحتراز عنه في الوسع والطاقة أو بالحديث المشهور
قلنا قيل أريد بالآية العموم ثم نسخ بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها وقيل لا نسخ

لا نسخ فيه لأنه خبر ولا أمر ولا نهي بل العموم غير مراد وإنما المراد ما يمكن الاحتراز عنه وهو
العزم القاطع والاعتقاد الجازم لا مجرد حديث النفس والوسوسة ولأنه أخبر عن
المحاسبة لا عن المعاقبة فهو يوم القيامة يخبر العباد بما أبدوا وأخفوا ليعلموا إحاطة
علمه بجميع ذلك ثم قال يغفر لمن يشاء فضلا ويعذب من يشاء عدلا كما أخبر في الآية. فإن قيل أي شرف
للرسول عليه السلام في مدحه بالإيمان مع أنه في مرتبة الرسالة ودرجتها هي أعلى من درجة أهل
الإيمان فما فائدة قوله تعالى آمن الرسول قلنا فائدته أن يبين للمؤمنين زيادة شرف الإيمان حيث
مدح به خواصه ورسله ونظيره في سورة الصافات قوله تعالى في خاتمة ذكر كل نبي إنه من
عبادنا المؤمنين. فإن قيل روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأ وملائكته وكتابه
فسئل عن ذلك فقال كتاب أكثر من كتب فما وجهه قلنا قيل فيه أنه أراد أن الكتاب
جنس والكتب جمع والجنس أكثر من الجمع لأنه حقيقة في الكل على ما ذهب إليه البعض
ويرد على هذا أن يقال الكلام في الجمع المضاف والمفرد المضاف والجمع المضاف لا خلاف
عندنا وشرعا كقوله أكرم أصدقائي وأهن أعدائي وقوله زوجاتي طوالق وعبيدي
أحرار بخلاف قوله صديقي وعدوي وعبدي وامرأتي فظهر أن الجمع المضاف أكثر.
فإن قيل بين لا تضاف إلا إلى اثنين فصاعدا فكيف قال لا نفرق بين أحد من رسله قلنا
أحد هنا بمعنى الجمع الذي هو آحاد كقوله تعالى فما منكم من أحد فإنه ثم بمعنى الجمع بدليل قوله
حاجزين فكأنه يقول لا نفرق بين آحاد من رسله كقولك المال بين آحاد من الناس
ولأن أحدا يصلح للمفرد والمذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما نفيا وإثباتا تقول

يعني يراد ما في أنفسهم من الأفعال القلبية التي لا اختيار في الوقوع بها كالكفر مثلا فإنه عمل بالقلب وهو سبب للخلود في العذاب

ما رايت احدا الا بنى فلان او الا بنات فلان سواء ويقول ان جاءكم احد بكتابى فاعطه درهما يعنى يستوى فيه الكل فالمعنى لا نفرق بين اثنين منهم او بين جماعة منهم ومنه قوله
ما شاء الله النبى لستن كاحد فان قيل من اين دل قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
على ان الاول فى الخير والثانى فى الشر قلنا من هو من كسب واكتسب فان الاول للخير والثانى
للشر وليس يستدل بقوله ومن يكسب خطيئة او اثما وقوله كل نفس بما كسبت رهينة
وقوله او كسبت فى ايمانها خيرا وقوله ومن يقترف حسنة والاقتراف والاكتساب
بمعنى واحد وقيل بل هو من اللام وعلى وليس يستدل ايضا بقوله تعالى اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار
وقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها وقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة اللهم الا ان يدعى ان اللام وعلى عند الاطلاق يقتضيان ذلك كما فى هذه الآية لا مقرونين
بذكر الحسنة والسيئة او الحسن والقبيح ويدل عليه قوله تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها
اطلقه واراد به الشر بدليل ما بعده ويقال الدهر يومان يوم لك ويوم عليك ويقال يشهد
فلان لك وفلان يشهد عليك ويقول الرجل لصاحبه هذا الكلام حجة عليك لا لك وقال الشاعر
على انني راض بان احمل الهوى واخلص منه لا على ولا ليا واما قوله من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها وان كان مفيدا للامرين فيه دلالة ايضا من جهة اللام وعلى لكن
القيد شامل لطرفيه فان قيل كيف قال الله تعالى نزل
عليك الكتاب بالحق ثم قال تعالى وانزل التوراة والانجيل قلنا لان القرآن نزل منجما والتوراة
والانجيل نزلا جملة كذا اجاب الزمخشري وغيره ويرد عليه قوله بعد ذلك وانزل

وبتعبير اخر ان اللام حقيقة في النفع وعلى في الشر ولا يقع ذلك استعمال كل منهما في مقام الاخر اما الاول فكله كما في قوله تعالى والسلام عليها او ما شابه ذلك ثم ان هذا الفرق انما هو في تعدية الفعل الذي يتعدى بكل منهما كاصل وكا... واما في الافعال التي يتعدى احدهما كما في رحم وصلى فلا ... هامش

مطلب
في الفرق بين الانزال والتنزيل

وانزل الفرقان فان الزمخشري قال اراد جنس الكتب السماوية لا الثلاثة المذكورة خصوصا
او اراد به الزبور او اراد به القرآن وكرر ذكره تعظيما ويرد عليه قوله بعد ذلك هو الذي انزل عليك
الكتاب منه آيات محكمات وقوله والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وقوله وقال
الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة والذي وقع لي فيه والله اعلم ان التضعيف في
نزل والهمزة في انزل كلاهما للتعدية لكن نزل فعل لازم في نفسه واذا كانا للتعدية لا يكون لمعنى
آخر وهو التكثير او نحوه لانه لا نظير له فانما جمع بينهما والمعنى واحد وهو التعدية جريا على
عادة العرب في افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه على وجوه شتى ويؤيد هذا قوله تعالى لولا نزل
عليه آية من ربه وقال في موضع آخر لولا انزل عليه آية من ربه فان قيل كيف قال منه آيات
محكمات ومن للتبعيض وقال في موضع آخر كتاب احكمت آياته وهذا يقتضي كون جميع آياته محكمة
قلنا المراد بقوله منه آيات محكمات اي ناسخات واخر متشابهات اي منسوخات وقيل المحكمات
العقليات والمتشابهات الشرعيات وقيل المحكمات ما ظهر معناها والمتشابهات ما كان في معناها
غموض ودقة والمراد بقوله كتاب احكمت آياته ان جميع القرآن صحيح ثابت مصون عن الخلل
والزلل فلا تنافي فان قيل كيف قال هنا واخر متشابهات فجعل بعضه متشابها وقال في موضع
آخر كتابا متشابها وصفه كله بكونه متشابها قلنا المراد بقوله تعالى واخر متشابهات ما سبق ذكره
والمراد بقوله كتابا متشابها انه يشبه بعضه بعضا في الصحة وعدم التناقض وتأييد بعضه
ببعض فلا تنافي فان قيل ما فائدة انزال المتشابه بالمعنى الاخير والمقصود من انزال
القرآن انما هو البيان والهدى والغموض والدقة في المعاني ينافي هذا المقصود او

يوجد هذا ما ذكره ابن الشامي في شرح ... حيث قال انما يفيد التشديد التكثير اذا لم يكن الفعل موضوعا عليه كما في حدث وهو ... لافادة تعدية القاصر الى المفعول كما في ... ولا التعدي لواحد الى التعدي لاثنين ... قلت ... وكرمت وحولت وطوفت ...

مطلب
في بيان المحكم

مطلب
في بيان المتشابه

يُبْعِدُه فلما لما كان كلامُ العرب ينقسم الى ما يفهم معناه سريعا ولا يحتمل غير ظاهره والى ما هو مجاز وكناية واشارة والمعاني فيه متعارضة ومتزاحمة وهذا القسم هو المستحسن عندهم والمستبدع في كلامهم نزل القرآن بالنوعين تحقيقا لمعنى الاعجاز كأنه قال عارضوه بأي النوعين شئتم فانه جامع لها او انزل الله محكما ومتشابها ليختبر مَن يؤمن بكلّه ويردّ علم ما تشابه منه الى الله فيثيبه ومَن يرتاب فيه ويشكّ وهو المنافق فيعاقبه كما ابتلى عباده بنهر طالوت وغيره او اراد ان يشتغل العلماء بردّ المتشابه الى المحكم بالنظر والاستدلال والبحث والاجتهاد فيثابون على هذه العبادة ولو كان كله ظاهرا جليا لاستوى فيه العلماء والجهّال ولماتت الخواطر لعدم البحث والاستنباط فان نار الفكر انما تقدح بزيادة المشكلات ولهذا قال بعض الحكماء عيبُ الغنى انه يورث البلادة ويميت الخاطر وفضيلة الفقر انه يبعث على اعمال الفكر واستنباط الحيل في الكسب فان قيل قوله يرونهم مثليهم رأي العين اي ترى الفئة الكافرة الفئة المسلمة مثلي عدد نفسها او بالعكس على اختلاف القولين وكيف ما كان فهو مناف لقوله في سورة الانفال واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم لانه يدل على ان الفئتين تساوتا في استقلال كل واحدة منهما للاخرى قلنا التقليل والتكثير في حالين مختلفين فقلّل الله المشركين في نظر المؤمنين اولا والمؤمنين في نظر المشركين حتى اجترأت كل فئة على قتال صاحبتها فلما التقتا كثّر الله المؤمنين في نظر المشركين حتى جبنوا وفشلوا فغلبوا او كثّر الله المشركين في نظر المؤمنين وادام اياهم على ما هم عليه وكانوا في الحقيقة اكثر من المؤمنين ليعلموا صدق ما وعدهم الله تعالى

مطلب في ان الغنا يورث البلادة ويميت الخاطر

مطلب في التكثير والتقليل

بقوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين الآية فان المؤمنين غلبوهم في هذه الغزاة وهي غزاة بدر مع انهم كانوا اضعاف عدد المؤمنين وقيل اري الله المسلمين المشركين مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثة امثالهم لكنه قللهم في اعين المسلمين واراهم اياهم بقدر ما اعلمهم انهم يغلبون فيه لتتقوى قلوبهم بما سبق من الوعد ان المائة من المؤمنين تغلب المائتين منهم فان قيل ما فائدة تكرار قوله لا اله الا هو في قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو قلنا الاول قول الله والثاني حكاية قول الملائكة واولي العلم وقال جعفر الصادق رضي الله عنه الاول وصف والثاني تعليم اي قولوا واشهدوا كما شهدوا فان قيل ما فائدة قوله وهم معرضون في قوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون والتولي والاعراض واحد كما سبق مرة قلنا معناه يتولون عن الداعي ويعرضون عما دعاهم اليه وهو كتاب الله او يتولون بأبدانهم ويعرضون عن الحق بقلوبهم او كان الذين تولوا علماؤهم والذين اعرضوا اتباعهم فان قيل كيف قال بيدك الخير فخص الخير بالذكر وبيده تعالى الخير والشر والنفع والضر قلنا لان الكلام انما ورد ردّا على المشركين فيما انكروه مما وعد الله به نبيه على لسان جبرئيل عليهم من فتح بلاد الروم وفارس ووعد النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بذلك فلما كان الكلام في الخير خصه بالذكر باعتبار الحال او اراد الخير والشر فاكتفى بأحدهما لدلالته على الآخر كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وانما خص الخير بالذكر لانه المرغوب فيه المطلوب للعباد من الله فان قيل كيف قال تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل والايلاج الشيء في

مطلب في قوله تعالى لا اله الا هو

مطلب في قوله تعالى وهم معرضون

مطلب في قوله تعالى بيدك الخير

لا يبعد ان يقال الشر ايضا وان كان بيده تعالى لكن العادة الالهية جرت على عدم التصريح باسناد الشرور الى جنابه سبحانه كما علم في قوله واذا مرضت فهو يشفين بعد قوله يطعمني ويسقين ويميتني ويحيين فلذلك اكتفى في مقام الاداء الكريم ايضا في شان كون جميع الامور بيده تعالى بقوله انك على كل شيء قدير ولم يصرح بالشرور والله تعالى اعلم

مطلب في تولج الليل

الشيء يقتضي اجتماع حقيقتيهما بعد الايلاج كايلاج الخيط في الإبرة والأصبع في الخاتم ونحوها
وحقيقة الليل والنهار لا يجتمعان فلما الايلاج فقد يكون كما ذكر وقد يكون مع تبدل صفة احدهما
لغلبة صفة الآخر عليه مع بقاء ذاته فيه كايلاج يسير من حبر في لبن كثير او بالعكس فان
الخمسة مجتمعان ذاتا وصفة احدهما غالبة على الآخر كذلك الليل والنهار اذا كان الليل اربع
عشرة ساعة بالنسبة الى زمن الاعتدال ففيه من النهار ساعتان قطعا وكذلك على العكس
او معناه يولج زمن الليل في زمن النهار وبالعكس او يولج النهار في الليل وبالعكس باعتبار
ان ليل قوم هو نهار آخرين وبالعكس او معناه انه خلق ليلا صرفا خالصا ونهارا صرفا خالصا
وخلق ما هو ممتزج منهما وهو ما قبيل طلوع الشمس وقبيل غروبها والجواب الثالث والرابع
يعمان جميع السنة فان قيل ما فائدة قولها وليس الذكر كالانثى وهو معلوم من غير ذكره قلنا
هي ظنت ان ما في بطنها ذكر ولهذا نذرت ان تجعله خادما في البيت المقدس وكان من شرعهم
صحة هذا النذر في الذكور خاصة فلما وضعت انثى استحيت حيث خاب ظنها ولم تتقبل نذرها فقالت
ذلك معتذرة تعني ليست الانثى بصالحة لما يصلح له الذكر من خدمة المسجد لا انها ارادت
ان الانثى ليست كالذكر صورة او قوة او نحو ذلك فلا فائدة لكن منكسرة خجلة من الله عليها
بتخصيص مريم بقبولها في النذر وغيرها من الاناث وقال فتقبلها ربها بقبول حسن فان قيل
المستعمل في مثله اذا كان حرف النفي على الناقص وحرف التشبيه على الكامل كقولهم ليس الفضة
كالذهب وليس العبد كالحر ونحو ذلك وليس الانثى كالذكر فلما لما كان جعل الاصل فرعا
والفرع اصلا في التشبيه في حال الاثبات يقتضي المبالغة في المشابهة كقولهم القمر كوجه

كوجه زيد والبحر ككفه كان جعل الاصل فرعا والفرع اصلا في حال النفي يقتضي نفي المبالغة في المشابهة
لا نفي المشابهة وذلك هو المقصود هنا لان المشابهة واقعة بين الذكر والانثى في انواع الاوصاف
واغلبها ولهذا يتحد احدهما بالآخر وانما ارادت ام مريم نفي المشابهة بينهما في صحة النذر به
خادما في البيت المقدس لا غير فلذلك عكست الثاني انه ذكر قول الله تعالى والمعنى ليس الذكر
الذي طلبت ان يكون خادما للكنيسة كالانثى التي وهبت لما علم الله تعالى من جعلها وابنها
آية للعالمين وهو تفسير للتعظيم والتفخيم المجازي فقال تعالى والله اعلم بما وضعت وهي لا تعرف
مقدار شرفها واللام في الذكر والانثى للعهد هذا كله قول الزمخشري وتمامه في الكشاف
وقال الفقيه ابو الليث قال بعضهم هذا قول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اي وليس الذكر كالانثى
يا محمد وقال بعضهم هو من كلام ام مريم فان قيل كيف نادت الملائكة زكريا وهو قائم يصلي
في المحراب واجابه وهو في الظهر كما قال تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب
الآية قلنا المراد بعضها مع قوله تعالى اي يدعو كعادته ولا يحتج بعدل اكثر ولا يخفى بيانا اي بلغ اكثر
فان قيل ما فائدة تخصيص يحيى على بعد ما ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وكل
واحد من المؤمنين مصدق بجميع كلمات الله تعالى قلنا معناه مصدقا بعيسى الذي
كان وجوده بكلمة من الله وهي كن من غير واسطة اب وكان تصديق يحيى بعيسى
اسبق من تصديق كل واحد في الوجود او في المرتبة فان قيل زكريا سأل الله الولد بقوله تعالى
هب لي من لدنك ذرية طيبة والله تعالى بشره بيحيى على لسان الملائكة فكيف انكر بعد هذا
كله قدرة الله على اعطائه الولد حتى قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي

مطلب في قوله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب

مطلب في قوله تعالى ان الله يبشرك

مطلب في قوله تعالى انى يكون لي غلام

عاقر قلنا قاله على سبيل الاستعظام والتعجب من عظيم قدرة الله تعالى لا على طريق الانكار والاستبعاد
او اشتبه عليه هل يعطى الولد وهو شيخ وامرأته عاقر او تنزل عنهما حالتان الضعفان فسأل
لكشف الحال فعدبره اى يكون تكون لى غلام او قد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر ولعالدان يقول
آخر الآية لا يناسب هذا الجواب فان قيل ما فائدة تكرار ذكر الاصطفاء فى قوله تعالى ان الله
اصطفاك وطهرك واصطفاك قلنا الاصطفاء الاول للعبادة التى هى خدمة البيت المقدس
وتخصيصها بقبولها فى النذر مع كونها انثى والاصطفاء الثانى لولادة عيسى عليه السلام او اعيد ذكر
الاصطفاء ليتصل بعالمين على نساء العالمين فيندفع وهم انها مصطفاة على الرجال فان قيل
كيف نفى حضور النبى صلى الله عليه وسلم فى زمن مريم بقوله وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم
الآية ولم يذكر معلوم عندهم لا شك فيه وترك نفى استماعه ذكر الخبر من حفاظه وهو الذى
كانوا يتوهمونه قلنا كان معلوما انتفاء عندهم علما يقينا انه ليس من اهل القراءة والرواية
وكانوا منكرين للوحى فلم يبق الا المشاهدة والحضور وهى فى غاية الاستحالة فنفيت على
طريق التهكم بالمنكرين للوحى مع علمهم انه لا قراءة له ولا رواية ونظيره قوله وما كنت بجانب
الغربى وما كنت بجانب الطور فان قيل كيف قال اسمه المسيح عيسى ابن مريم والخطاب
مع مريم وهى تعلم ان الولد الذى بشرت به يكون ابنها قلنا لان الابناء ينسبون
الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى
امه فان قيل اى معجزة لعيسى عليه السلام فى تكليم الناس كهلا واى خصوصية له فى هذا حتى قال
ويكلم الناس فى المهد وكهلا قلنا معناه ويكلم الناس فى هاتين الحالتين كلام الانبياء

مطلب فى تكرار الاصطفاء

الظاهر عندى ان الاصطفاء الاول بمعنى الاختيار والقبول والثانى بمعنى الترجيح والتفضيل كما دل على ذلك تعديته بعلى فلا يلزم التكرار والله تعالى اعلم

مطلب فى قوله عيسى ابن مريم

نظر ... اصطفاء على نساء العالمين

الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التى تستحكم فيها العقول وتنبأ فيها
الانبياء فكأنه قال ويكلم الناس فى المهد كما يكلم كهلا وقال الزجاج هذا اخرج مخرج البشارة
لمريم انه عليه السلام يبقى الى زمان الكهولة فهو بشارة لها بطول عمره وقيل المقصود منه ان الزمان
لا يؤثر فيه كما يؤثر فى غيره ويتنقل من حال الى حال ولو كان الكلام يجرى عليه التغيير فان قيل كيف قال
تعالى انى متوفيك ورافعك الى والله تعالى رفعه ولم يتوفه قلنا لما هدده اليهود بالقتل
بشره بانه انما يقبض روحه بالوفاة لا بالقتل والواو لا تفيد الترتيب فلا يلزم من الآية موته
قبل رفعه الثانى ان فيه تقديما وتأخيرا تقديره انى رافعك ومتوفيك الثالث ان معناه قابضك
من الارض تاما وافيا اى اعضائك وجسدك لم ينالوا منك شيئا من قولهم توفيت حقى على فلان
اذا استوفيته تاما وافيا الرابع ان معناه انى منومك متوفيك نفسك بالنوم من قوله الله يتوفى
الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ورافعك وانت نائم حتى لا تخاف بل تستيقظ
وانت فى السماء آمن مقرب فان قيل كيف قال الله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه وآدم
خلق من غير اب وام وعيسى من ام قلنا المراد به التشبيه فى وجه واحد بغير واسطة اب
والتشبيه لا يقتضى المماثلة من جميع الوجوه بل من بعضها فان قيل كيف خص اهل الكتاب بان
منهم امينا وخائنا بقوله ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك الآية والمسلمون غيرهم
من اهل الكتاب كذلك منهم الامين والخائن قلنا انما خصه باعتبار واقعة الحال فان
سبب نزول الآية ان عبد الله بن سلام اودعه الف ومائتى اوقية من الذهب فادى
الامانة فيها وفنحاص بن عازوراء اودع دينارا فخانه ولان خيانة اهل الكتاب المسلمين

مطلب فى قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم

مطلب فى قوله ومن اهل الكتاب

مطلب في قوله تعالى وله أسلم من في السموات والأرض

يكون عن استحلال بدليل آخر الآية بخلاف خيانة المسلم المسلم فلذلك خصهم بالذكر فإن قيل كيف
قال الله تعالى وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وأكثر الجن والإنس كفرة قلنا المراد
به الاستسلام والانقياد لما قضاه عليهم وقدره من الحياة والموت والمرض والصحة
والشقاوة والسعادة ونحو ذلك

مطلب في قوله تعالى إن الذين كفروا

فإن قيل كيف قال الله تعالى إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم
ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم ومعلوم أن المرتد كيفما ازداد كفرا فإنه مقبول التوبة
قلنا الآية نزلت في قوم ارتدوا ثم أظهروا التوبة بالقول لستر أحوالهم في الكفر في
ضمائرهم قاله ابن عباس وقيل نزلت في قوم تابوا من ذنوبهم غير الشرك وقيل معناه
لن تقبل توبتهم وقت حضور الموت

مطلب في قوله تعالى إن أول بيت

فإن قيل كيف قال تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي
ببكة وكم من بيت بني قبل الكعبة من زمن آدم إلى زمن إبراهيم عليهما السلام قلنا
معناه إن أول بيت وضع قبلة للناس ومكان عبادة لهم أو وضع مباركا للناس وإن
ابن عباس قال أول من بناه آدم عليه السلام لما أهبط من السماء أوحى الله إليه ابن لي
بيتا في الأرض واصنع حوله كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي فبناه وجعل يطوف
حوله فإن قيل كيف قال الله تعالى كنتم خير أمة ولم يقل أنتم خير أمة قلنا كنتم في
سابق علم الله أو كنتم يوم أخذ الميثاق على الذرية فأراد الإعلام بكون ذلك صفة
أصلية فيهم لا عارضة متجددة أو معناه خلقتم ووجدتم فهي كان التامة وخير أمة
نصب على الحال وتمام الكلام في كان ذكرناه في قوله تعالى إنه كان فاحشة ومقتا فإن قيل

مطلب في قوله تعالى ولو آمن

كيف قال ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ولا شبهة أن تعالى هذا خير من ذلك إلا إذا
كان في كل منهما خير قلنا معناه إيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم مع إيمانهم بموسى وعيسى عليهما السلام
خير من إيمانهم بموسى وعيسى عليهما السلام فقط

مطلب في قوله تعالى مثل ما ينفقون

فإن قيل كيف قال الله تعالى مثل ما ينفقون في هذه
الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر الآية المقصود تشبيه نفقة الكفار أموالهم في تحصيل المفاخر
وطلب الصيت والسمعة أو ما ينفقونه في الطاعات مع وجود الكفر أو ما ينفقونه في
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزرع الذي أصابته ريح شديدة البرد فأهلكته فضاع ولم
ينتفع به فالتشبيه في الحقيقة بالزرع وفي لفظ الآية بالريح قلنا فيه إضمار تقديره مثل
إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح فيها صر أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح ونظيره قوله تعالى
مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت الآية وقوله تعالى ومثل الذين كفروا
كمثل الذي ينعق الآية وقال ثعلب فيه تقديم وتأخير تقديره كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم
أصابته ريح فيها صر فأهلكته

مطلب في قوله تعالى إن تمسسكم حسنة

فإن قيل كيف قال تعالى إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة
يفرحوا بها فوصف الحسنة بالمس والسيئة بالإصابة قلنا المس مستعار بمعنى الإصابة
فكان المعنى واحدا ألا ترى إلى قوله تعالى إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة وقوله
تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقوله تعالى إن الإنسان خلق
هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا

مطلب في قوله تعالى وسارعوا

فإن قيل كيف قال وسارعوا إلى
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن قلنا قد استثنى
النبي صلى الله عليه وسلم خمسة مواضع فقال الآني التوبة من الذنب وقضاء الدين الحال وتزويج البكر
البالغ ودفن الميت وإكرام الضيف إذا نزل والمسارعة المأمور بها في الآية

خمسة مواضع يحمد فيها الاستعجال

فى المبادرة الى التوبة وهى معنا هامن اسباب المغفرة فان قيل كيف قال الله تعالى والذين
اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم عطف عليه بكلمة او ويفعل الفاحشة داخل فى ظلم
النفس بل هو من انواع ظلم النفس قلنا اريد بالفاحشة نوع من انواع ظلم النفس وهو
الزنا او كل كبيرة مخصص بهذا الاسم بينهما عارا اى قبيحة واريد بظلم النفس ما وراءه من
الذنوب فان قيل كيف قال هنا ومن يغفر الذنوب الا الله وقال فى موضع آخر واذا ما غضبوا هم
يغفرون قلنا معناه ومن يستر الذنوب من جميع الوجوه الا الله ومثل هذا الغفران
لا يوجد الا من الله تعالى فان قيل كيف قال أفإن مات او قتل وهلا اقتصر على قوله افان مات
وكان القتل يدخل فيه فانه موت قلنا القتل وان كان موتا لكن اذا اطلق الميت فى العرف
لا يفهم منه المقتول فلذلك عطفه احدهما على الآخر فان قيل كيف قال الله تعالى ومن يغلل
يأت بما غل يوم القيمة وقال فى موضع ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة قلنا معناه
يأتى به مكتوبا فى ديوانه او يأت حاملا اثمه ومعنا فرادى منفردين عن الاموال
والاهل او عن الشركاء اى الغى او عن الالهة المعبودة من دون الله وتمام الآية
يشهد للكل فان قيل قد جاء فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الغال يأتى يوم
القيمة حاملا على عنقه ما غله على عنقه حاملا ما كان او ناطقا هذا معنى الحديث فاندفع
الجواب قلنا على هذا يكون لكلا الآيتين الاخرى فرادى عن مال واهل يتعززون
بهما ويستنصرون ويشهد بصحته تمام الآية فان قيل كيف قال هم درجات عند الله
والعبيد ليسوا انفس الدرجات قلنا فيه اضمار تقديره هم ذوو درجات او

مطلب فى قوله هم درجات

او اهل درجات فحذف المضاف لعدم الالتباس وقيل المراد بالدرجات الطبقات فلا يكون فيه اضمار
بل معناه انهم طبقات عند الله متفاوتون كتفاوت الدرجات فان قيل كيف جعل لكلا الفريقين
درجات واهل الفريقين لهم دركات لا درجات قلنا الدرجات شعار فى الفريقين
بدليل قوله تعالى فى سورة الاحقاف بعد ذكر الفريقين ولكل درجات مما عملوا وتحقيقه ان
بعض اهل النار اخف عذابا ومكانه فيها اعلاه وبعضهم اشد عذابا ومكانه فيها اسفله
ولو سلم اختصاص الدرجات باهل الجنة كان معناه هم درجات وراجعا اليهم خاصة بعد قوله
افمن اتبع رضوان الله وهم درجات عند الله كمن باء بسخط من الله وهم دركات الا انه
حذف البعض لدلالة المذكور عليه فان قيل الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء كانوا فى
زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ذلك لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا
فكيف قال سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء اى ونكتب قتلهم الانبياء وهم لم يقتلوا نبيا
قط قلنا لما رضوا بفعل اسلافهم الانبياء كان كانهم باشروا ذلك فاضيف اليهم وقد
تكرر هذا المعنى فى القرآن كثيرا فان قيل كيف قال وان الله ليس بظلام للعبيد
وظلام صيغة مبالغة من الظلم ولا يلزم من نفى الظلام نفى الظلم وعلى العكس يلزم
فهلا قال ليس بظالم ليكون ابلغ فى نفى الظلم عن ذاته المقدسة قلنا صيغة المبالغة جئ
بها لكثرة العبيد لا لكثرة الظلم كما قال الله تعالى ولا يظلم ربك احدا وقال عالم الغيب وعلام
الغيوب لما افرد المفعول لم يأت بصيغة المبالغة ولما جمع اتى بصيغة المبالغة ونظيره
قولهم زيد ظالم العبد وعمرو ظلام لعبيده فهما فى الظلم سيان وكذا قال الله تعالى

مطلب فى قوله الذين قالوا

مطلب فى قوله وان الله ليس بظلام للعبيد

مختلفين ذو تسليم فشدد لكثرة الفاعلين لا لكثرة الفعل الثاني ان العذاب من العظيم القادر وكبير
العدل لولا سبق الجناية يكون افحش واقبح من الظلم ممن ليس عظيم القدر كبير
العدل فيطلق عليه اسم الظلام باعتبار زيادة قبح الفعل منه لا باعتبار تكرره فحاصله
ان صيغ المبالغة تارة تكون باعتبار زيادة ذات الفعل وتارة باعتبار زيادة صفة فاعل
الظلم لو وجد من الله تعالى وتقدس لكان اعظم من الظلم يوجد من عبيده باعتبار زيادة
وصف القبح ونظيره قوله تعالى وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا على ما يأتي بيانه في موضعه
ان شاء الله تعالى فان قيل في قوله تعالى فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك من حق الجزاء ان
يتعقب الشرط وهذا سابق له قلنا معناه وان يكذبوك فتأسّ بتكذيب الرسل قبلك
فوضعًا للسبب وهو تكذيبهم موضع المسبب وهو التأسي بهم فان قيل ما فائدة قوله تعالى
ولا تكتمونه في قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
والاول مغنٍ عن الثاني قلنا معناه لتبيننه في الحال وتدومون على ذلك البيان فلا تكتمونه
في المستقبل الثاني ان ضمير الاول للكتاب والثاني لنعت النبي صلعم وذكره فانه قد سبق
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قبيل هذا فان قيل متى بينوا الكتاب لزم منه بيانه بيان صفة
النبي صلى الله عليه وسلم وذكره لانه من جملة الكتاب الذي هو التوراة والانجيل فقوله
بعد ذلك ولا تكتمونه تكرار قلنا على هذا يكون تأكيدا فان قيل كيف قال ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته وقال في موضع آخر يوم لا يخزي الله النبي والذين
آمنوا معه ويلزم من هذا ان لا يدخل المؤمنون النار كما قال المعتزلة والخارجية

مطلب في قوله تعالى فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك

مطلب في قوله تعالى ولا تكتمونه

والخارجية قلنا اخزيته بمعنى اذللته واهنته من الخزي وهو الذل والهوان وقوله
يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه من الخزاية وهي النكال والفضيحة فكل من
يدخل النار يذل وليس كل من يدخلها ينكل به ويفتضح او المراد بالآية الاولى ادخال
الاقامة والخلود لا ادخال تحلة القسم المدلول عليها بقوله تعالى وان منكم الا واردها وادخال
التطهير الذي يكون لبعض المؤمنين بقدر ذنوبهم وقيل ان قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي
كلام تام وقوله تعالى والذين آمنوا معه كلام مبتدأ غير معطوف على ما قبله فان قيل
كيف قال سمعنا مناديا ينادي والمسموع نداء المنادي وقوله لا نفس المنادي قلنا
لما قال مناديا ينادي صار بتقدير نداء مناد كما يقال سمعت زيدا يقول كذا اي سمعت
قول زيد فان قيل ما فائدة قوله تعالى ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتكفير
السيئات داخل في غفران الذنوب قلنا الغفران مجرد فضل والتكفير محو
السيئات بالحسنات فان قيل ما فائدة قوله تعالى وتوفنا مع الابرار مع انهم لا ينفعهم توفيهم
مع الابرار بل النافع لهم كونهم من الابرار سواء توفاهم معهم او قبلهم او بعدهم
قلنا معناه وتوفنا مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم كما يقال اعطاني الامير
مع اصحاب الخلع والجوائز اي جعلني من جملتهم وان تقدم اعطاؤه عنهم او تأخر
فان قيل كيف قالوا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي على لسان رسلك دعوه بانجاز
الوعد مع علمهم وقطعهم انه لا يخلف الميعاد قلنا انه وعد من الله تعالى على
السنة الرسل للمؤمنين عام يحتمل ان يراد به الخصوص كما في اكثر عمومات

قف

القرآن فاسألوا الله تعالى ان يجعلهم من الداخلين في حكم الوعد الثاني انهم سألوا تعجيل النصر الذي
وعدوا فان الله تعالى وعدهم النصر على اعدائهم غير موقت بوقت مخصوص خاص فان قيل
كيف يجوز ان يغتر الرسول بتقلب الذين كفروا حتى نهي عن الاغترار بقوله تعالى لا يغرنك تقلب الذين
كفروا في البلاد اي تصرفهم فيها بالتجارة متنعمين قلنا معناه لا يغرنكم ايها المؤمنون فان
رئيس القوم ومقدمهم يخاطب بشيء والمراد به اتباعه وجماعته الثاني انه عليه السلام كان غير مغتر
بحالهم فقيل له ذلك تأكيدا لما كان عليه وتثبيتا على الدوام عليه كما قيل له فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ولا تكونن من المشركين فلا تطع المكذبين فان قيل كيف نهى التقلب وهو ليس مما ينهى قلنا
معناه لا تغتر بتقلبهم فيكون تقلبهم قد غره وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان
تقلبهم لو غره لاغتر به فمنع السبب وهو غروره تقلبهم اياه ليمتنع المسبب وهو
اغتراره بتقلبهم فان قيل كيف قال تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ولم يقل
لا يغرنك نعمتهم واموالهم والذي يحذر ان يغتر الرسول والمؤمنين النعم والاموال
لا التقلب في البلاد قلنا المراد بتقلبهم تصرفهم في التجارات والنعم والتلذذ بالاموال
والفقير انما يتألم ويتكسر قلبه اذا رأى الغني يتقلب في النعم ويتمتع بها فلذلك
ذكر التقلب وقيل معناه لا يغرنك تقلبهم في المعاصي غير مأخوذين بذنوبهم فان
قيل كيف اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب وقال تعالى لهم اجرهم عند ربهم
موضع البشارة بالثواب وسرعة الحساب انما يذكر في موضع التهديد والعقاب قلنا
معناه لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا خوفا من حسابه فانه سريع الحساب

الحساب فهو راجع الى ما قبله فان قيل قوله تعالى وخلق منها زوجها
اذا كانت حواء مخلوقة من آدم ونحن مخلوقون منه ايضا تكون نسبة حواء الى آدم نسبة
الولد لانها متفرعة منه فتكون اختا لنا لا اما قلنا قال بعض المفسرين من لبيان
الجنس لا للتبعيض فمعناه وخلق من جنسها زوجها كما في قوله تعالى لقد جاءكم رسول
من انفسكم الثاني وهو الذي عليه الجمهور انها للتبعيض ولكن خلق حواء من آدم لم يكن
بطريق التوليد كخلق الاولاد من الآباء فلا يلزم منه ثبوت حكم البنتية والاختية فيها
فان قيل كيف قال تعالى وآتوا اليتامى اموالهم واليتيم لا يعطى ماله حتى يبلغ اتفاقا قلنا
المراد به اذا بلغوا وانما سموا يتامى لقرب عهدهم بالبلوغ باعتبار ما كان كما تسمى الناقة
عشراء بعد الوضع وقد يسمى البالغ يتيما باعتبار ما كان كما يسمى الحي ميتا والعنب خمرا
باعتبار ما يكون قال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال اني اراني اعصر خمرا ومنه قولهم
يعني النبي صلعم
للنبي صلى الله عليه وسلم بعد نبوته يتيم ابي طالب فان قيل اكل مال اليتيم حرام وحده
ومع مال الاوصياء فلم ورد النهي مخصصا عن اكله معها بقوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى
اموالكم اي معها قلنا لان اكل مال اليتيم مع الاستغناء عنه اقبح فلذلك خص بالنهي
بالنهي ولانهم كانوا يأكلونه مع الاستغناء عنه فجاء النهي على ما وقع منهم فان قيل لما قال
مما ترك الوالدان والاقربون دخل فيه القليل والكثير فما فائدة قوله تعالى مما قل منه او كثر قلنا
انما قال ذلك على وجه التأكيد والاعلام ان كل تركة تجب قسمتها لئلا يتهاون بالقليل من
التركات ويحتقر فلا يقسم ويتفرد به بعض الورثة فان قيل كيف قال الله تعالى

ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد مع انه لو كان الولد بنتا فللاب
الثلث قلنا الآية وردت لبيان الفرض دون التعصيب وليس للاب مع البنت
بالفرض الا السدس فان قيل كيف قطع على العاصي بالخلود في النار بقوله تعالى ومن
يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها قلنا اراد به ومن يعص الله
برد احكامه وجحودها وذلك كفر والكافر يستحق الخلود في النار فان قيل كيف قال تعالى
حتى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد فصار كانه قال حتى يميتهن الموت
قلنا معناه حتى يتوفاهن ملائكة الموت الثاني معناه حتى ياخذهن الموت ويستوفي
ارواحهن فان قيل كيف قال تعالى انما التوبة على الله ولم يقل انما التوبة على العبد مع ان
التوبة واجبة على العبد قلنا معناه انما قبول التوبة على الله بحذف المضاف الثاني ان
معنى التوبة من الله رجوعه على العبد بالمغفرة والرحمة لان التوبة في اللغة الرجوع
فان قيل كيف قال تعالى بجهالة ولو عمله بغير جهالة ثم تاب قبلت توبته قلنا معناه بجهالة بقدر
قبح المعصية وسوء عاقبتها لا بكونها معصية وذنبا وكل عاص جاهل بذلك حال
مباشرة المعصية معناه انه مسلوب كمال العلم به بسبب غلبة الهوى وتزيين
الشيطان فان قيل كيف قال تعالى ثم يتوبون من قريب مع انهم لو تابوا بعد الذنب من
بعيد قبلت توبتهم قلنا معناه قبل معاينة سلطان الموت كذا قاله ابن عباس رضي الله
فان قيل كيف قال تعالى وآتيتم احداهن قنطارا الآية مع ان حرمة الاخذ ثابتة وان لم
يكن قد اعطاها المهر بل كان في ذمته او في يده قلنا المراد بالايتاء الضمان والالتزام

والالتزام كما في قوله تعالى اذا سلمتم ما آتيتم اي ما ضمنتم والتزمتم فان قيل كيف قال الله تعالى اتاخذونه بهتانا
واخذ مهر المراة ظلم وليس ببهتان لان البهتان الكذب قلنا قال ابن عباس وابن قتيبة
المراد بالبهتان الظلم وقال الزجاج المراد به الباطل والمشهور في كتب اللغة ان البهتان ان
يقول الانسان على غيره ما لم يفعله قالوا فالمراد به ان الرجل ربما رمى امراته بتهمة ليتوصل
بذلك الى ان ياخذ منها مهرها ويفارقها وقيل المراد به انكاره ان لها مهرا في ذمته فان قيل
كيف قال تعالى الا ما قد سلف ولا تنكحوا نهي عن الفعل في المستقبل والا ما قد سلف ماض
فكيف يصح استثناء الماضي من المستقبل قلنا قيل ان الا هنا بمعنى بعد كما في قوله تعالى
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل هو استثناء من محذوف تقديره فانكم تعاقبون
به الا ما قد سلف وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره انه كان فاحشة الآية الا ما قد سلف
فان قيل كيف قال تعالى انه كان فاحشة بلفظ الماضي مع ان نكاح منكوحة الاب فاحشة في الحال
وفي الاستقبال الى يوم القيامة قلنا كان تارة يستعمل للماضي المنقطع كقولك كان زيد
غنيا وكان الخزف طينا وتارة يستعمل للماضي المستمر المتصل وبمعنى الحال كقول
ابي جندب الهذلي . وكنت اذا جاري دعا لمضوفة اشمر حتى ينصف الساق
مئزري . اي واني الآن لانه انما يتمدح بصفة ثابتة له في الحال لا بصفة زائلة ذاهبة
والمضوفة بالفاء الامر الذي يشفق منه والقاف تصحيف ومنه قوله تعالى وكان الله
بكل شيء عليما وكان الله على كل شيء مقتدرا وما اشبه ذلك وما نحن فيه من هذا القبيل وسياتي
تمام الكلام في كان بعد هذا ان شاء الله تعالى في قوله تعالى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

فان قيل كيف قال وربائبكم اللاتي في حجوركم قيد التحريم بكون الربيبة في حجر زوج امها والحرمة
ثابتة مطلقا وان لم تكن في حجره قلنا خرج ذلك مخرج العادة والغالب لا مخرج القيد
والشرط ولهذا اكتفى في موضع الاحلال بنفي الدخول فيما مر فان قيل لما قال من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن ثم قال في آخر الآية واحل لكم ما وراء ذلكم علم من مجموع ذلك ان الربيبة
لا تحرم اذا لم يدخل بامها فما فائدة قوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم قلنا فائدته
ان لا يتوهم ان قيد الدخول خرج مخرج العادة والغالب لا مخرج الشرط كما في قيد الحجر فان
قيل كيف قال في نكاح الاماء فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن والمهر ملك المولى
وانما يجب تسليمه الى المولى لا الى الامة قلنا لما كانت الامة وما في يدها ملك المولى كان
اداؤه اليها كادائه الى المولى الثاني ان معناه وآتوا مواليهن اجورهن بطريق حذف
المضاف فان قيل كيف قال ذلك لمن خشي العنت منكم وجواز نكاح الامة ثابت من غير
خوف العنت عند بعض العلماء قلنا فيه اشارة الى ان تركه اصوب واصلح لمن خشي
العنت منكم فيكون شرطا للاولى الارشد والاصلح كما في قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا
فان قيل كيف قال يريد الله ان يخفف قلنا قد ورد في الكتاب العزيز اللام بمعنى ان
كثيرا قال الله تعالى وامرت لاعدل بينكم وقال وامرنا لنسلم وقال يريدون ليطفئوا نور الله
وقال في موضع آخر يريدون ان يطفئوا [illegible] فان قيل كيف خص التجارة بالذكر في قوله
تعالى الا ان تكون تجارة عن تراض منكم مع ان الهبة والصدقة والوصية والضيافة
وغيرها تقتضي الحل ايضا كالتجارة قلنا انما خصها بالذكر لان معظم تصرف الخلق في

الخلق في الاموال انما هو بالتجارة او لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها فان قيل قوله لو تسوى
بهم الارض قالوا معناه انهم يتمنون يوم القيامة ان يجعلوا ترابا كما جاء في آخر سورة النبا وظاهر
اللفظ يعطي انهم يتمنون ان تجعل الارض مثلهم ناسا كما تقول سويت زيدا بعمرو معناه
جعلت زيدا وهو المسوى مثل عمرو وهو المسوى به قلنا سويت هذا بهذا له معنيان
احدهما اجراء حكم الثاني على الاول كقولك سويت زيدا بعمرو كما تقول ساويت والثاني ان
يكون المسوى مفعولا والمسوى به آلة كقولك سويت القلم بالسكين والثوب بالمقراض
بمعنى اصلحته به فقوله لو تسوى بهم الارض يحتمل الوجهين ان يكون بمعنى ساويت ويكون
من المقلوب اي يسوون بالارض بجعلهم ترابا كقوله تعالى لتنوء بالعصبة وقوله وامسحوا
برؤوسكم في قول من لم يجعل الباء زائدة وقولهم ادخلت الخاتم في اصبعي ونحوه وان يكون بمعنى
الآلة معناه ودوا لو تمهد بهم الارض وتوطأ بان يجعلوا ترابا ويسوى بهم وهادها
وحضيضها لتساوي بقاعها وآكامها وقوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا اي لا انخفاضا
ولا ارتفاعا وان كان يدل على ان الارض يوم القيامة متساوية السطوح فجعلها فجعلها
متساوية السطوح ان كان قبل البعث فاذا بعث الموتى من قبورهم خلت منهم
قبورهم وحفرهم فيحصل في الارض تفاوت وان كان بعد البعث فيجوز ان
يكون هذا التمني سابقا على جعلها متساوية السطوح فان قيل قولنا هذا خير من
ذلك يقتضي ان يكون في كل واحد منهما خير حتى يصح تفضيل احدهما على الآخر لان خيرا في الاصل
افعل التفضيل فكيف قال لكان خيرا لهم واقوم بعد ما سبق من قوله في اول الآية

قلنا المراد بالخير هنا الخير الذي هو ضد الشر لا الذي هو افعل التفضيل كما تقول في فلان
خير فان قيل كيف قال وكان امر الله مفعولا والمفعول مخلوق وامر الله تعالى قوله وقوله
غير مخلوق قلنا ليس المراد بهذا الامر ما هو ضد النهي بل المراد به ما يحدثه من الحوادث
فان الحادثة تسمى ايضا امرا ومنه قوله تعالى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وقوله تعالى اتاها
امرنا ليلا او نهارا فان قيل كيف قال ان الله لا يغفر ان يشرك به مع ان شرك الساهي
والمكره والتائب مغفور قلنا المراد به شرك غير هؤلاء المخصوصين من عموم الآية
بادلة من خارج او نقول قيد المشية معلق بالفعلين المنفي والمثبت كانه قال ان الله
لا يغفر الشرك لمن شاء ويغفر ما دونه لمن يشاء فان قيل هذه الآية تدل على ان غير الشرك
من الذنوب لا يقطع بانتفاء مغفرته بل ترجى مغفرته وقوله تعالى ان الذين كفروا وظلموا
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا يدل على القطع
بانتفاء المغفرة في الكفر والظلم وهما غير الشرك فكيف الجمع بينهما قلنا المراد بالظلم هنا
الشرك قاله مقاتل والشرك يسمى ظلما قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم فكانه قال ان الذين
اشركوا الثاني ان قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ليس قطعا بالمغفرة لغير
الشرك بل هو تعليق المغفرة له بالمشية ثم بين بالآية الاخرى ان الكافر ليس
داخلا في من شاء المغفرة له فيتعين دخوله فيمن لا يغفر له لانه لا واسطة بينهما
الثالث انه عام خص بالآية الثانية كما خص قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا
بالآية الاولى ويؤيد هذا اجماع الامة على ان الكافر والمشرك سواء في عدم المغفرة

عدم المغفرة والتخليد في النار وقوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار
جهنم خالدين فيها فان قيل كيف قال الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء
ذمهم على ذلك وقال فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وقد زكى النبي صلى الله عليه وسلم
نفسه فقال والله اني لامين في السماء امين في الارض ويوسف عليه السلام قال
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم قلنا انما قال ذلك حين قال المنافقون اعدل
في القسمة تكذيبا لهم حيث وصفوه بخلاف ما كان عليه من العدل والامانة واما يوسف
عليه السلام فانما قال ذلك ليتوصل به الى ما هو وظيفة الانبياء وهو اقامة العدل وبسط الحق
وامضاء احكام الله تعالى ولانه علم انه لا احد في ذلك الوقت اقوم منه بذلك العمل فكان
متعينا عليه فلذلك طلبه واثنى على نفسه ومع ذلك كله فانه روي عن النبي صلعم انه قال
رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه
اخر ذلك سنة فان قيل كيف قال الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون
بالجبت والطاغوت الى ان قال اولئك الذين لعنهم الله خصص لعنته بهم لان
هذا الكلام للتخصيص وليست لعنة الله مختصة بهم بل هي شاملة لجميع الكفار قلنا
قوله اولئك اشارة الى القائلين للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا وهذا
القول صدر من جميع الكفار فكانت اللعنة شاملة للجميع فان قيل كيف قال كلما
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب اخبر انه يعذب
جلودا لم تعص مكان الجلود العاصية وتعذيب البريء ظلم قلنا الجلود

المجلدة وإن عذبت فالألم بتعذيبها إنما يحصل للقلوب وهي غير مجلدة بل هي العاصية
باعتقاد الشرك ونحوه الثاني أن المراد بتبديلها إعادة النضيج غير نضيج والجلود هي الجلود
بعينها وإنما قال غيرها باعتبار صفة النضج وعدمه كما قال الله تعالى يوم تبدل الأرض غير
الأرض والسموات وأراد تبدل الصفات لا تبدل الذات وكما قال ان عر
وما الناس بالناس الذين عهدتهم • وما الدار بالدار التي كنت أعهد • فإن قيل كيف
قال وندخلهم ظلا ظليلا وليس في الجنة شمس لتكون فيها حر تحتاج بسببه إلى ظل
ظليل أو غير ظليل قلنا هو مجاز عن المستقر المستلذ المستطاب لأن بلاد الحجاز
شديدة الحر فأطيب ما عندهم موضع الظل فخاطبهم بما يعقلون ويفهمون كما قال
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وليس في الجنة طلوع شمس ولا غروبها لتكون
فيها بكرة وعشي لكن لما كان في عرفهم تمام نعمة الغذاء وكمال وظيفته أن يكون حاضرا
مهيأ في طرفي النهار عبر عن حضوره وتهيئه بذلك فإن قيل كيف قال الله تعالى ومن
يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وهذا مدح لمن يطيع الله والرسول وعادة العرب في
صفات المدح الترقي من الأدنى إلى الأعلى وهذا عكسه لأنه نزول من الوصف
الأعلى إلى الأدنى قلنا هذا ليس من الباب الذي ذكرتموه بل هذا الكلام المقصود
منه الإخبار عن كون المطيعين لله ورسوله يكونون معهم في الجنة مع الأشراف
والخواص ثم كأن سائلا سأل من الأشراف والخواص ففصلوا له زيادة

زيادة في الفائدة بعد تمام المقصود بالذكر بقوله تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم وبدئ في
تفصيلهم بذكر الأشرف فالأشرف والأخص فالأخص إذ هو الغالب في تعديد
الأشراف والخواص كما في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
الأمر منكم وقوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية والدليل على أن المراد من الآية الإخبار
جملة لا تفصيلا أنه لما علم عباده أن يأتوه هذا المعنى أرشدهم إلى طلبه مجملا بقوله تعالى
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فإن قيل كيف قال إن كيد الشيطان كان
ضعيفا وقال في حق النساء إن كيدكن عظيم ومعلوم أن كيد الشيطان أعظم من كيد
النسوان قلنا المراد أن كيد الشيطان ضعيف في جنب نصرة الله تعالى وحفظه لأوليائه
والمخلصين من عباده كما قال الله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال حكاية عن إبليس
إلا عبادك منهم المخلصين والمراد بالآية الأخرى أن كيد النسوان عظيم بالنسبة إلى
الرجال الثاني أن القائل إن كيدكن عظيم هو عزيز مصر لا الله تعالى فلا تناقض
ولا معارضة فإن قيل كيف عاب على المشركين والمنافقين قولهم وإن تصبهم حسنة يقولوا
هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ورد عليهم ذلك بقوله قل كل من
عند الله ثم قال بعد ذلك ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك
أخبر بعين قولهم المردود عليهم قلنا قيل إن الثاني حكاية قولهم أيضا وفيه إضمار تقديره
فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما أصابك الآية وقيل معناه ما أصابك
أيها الإنسان من حسنة أي رخاء ونعمة فمن فضل الله وما أصابك من سيئة أي

فحيط وشدة فبشؤم فعلكم ومعصيتكم لا بشؤم محمد كما زعم المشركون ويؤيده قوله تعالى وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير فان قيل كيف قال ان الشر والمعصية
بارادة الله تعالى والله تعالى يقول وما اصابك من سيئة فمن نفسك قلنا ليس المراد بالحسنة
والسيئة الطاعة والمعصية بل الخصب والقحط او النصر والهزيمة على ما اختلف فيه العلماء
الا ترى انه قال ما اصابك ولم يقل ما عملت من حسنة وما عملت من سيئة فان قيل قوله تعالى
افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا السؤال فيه من وجهين
احدهما انه يدل من حيث المفهوم على ان في القرآن اختلافا قليلا والا لما كان للتقييد بوصف
الكثرة فائدة الثاني انه انما يدل عدم الاختلاف الكثير على انه من عند الله ان لو كان كل كتاب من
عند غير الله فيه اختلاف كثير وليس الواقع كذلك لان المراد بالاختلاف اما الكذب او
التناقض او التفاوت بين بعضه وبعض في الجزالة والبلاغة والحكمة وكثرة الفائدة قلنا
الجواب عن السؤال الاول ان التقييد بوصف الكثرة للمبالغة في اثبات الملازمة فكأنه قال
لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فضلا عن القليل وليس فيه اختلاف كثير
ولا قليل فكيف يكون من عند غير الله فلا يلزم المفهوم من التقييد بوصف الكثرة لا
ان القرآن مشتمل على اختلاف قليل وعن السؤال الثاني ان كل كتاب في فن من العلوم
اذا كان من عند غير الله يوجد فيه اختلاف ما باحد التفاسير المذكورة لا محالة يعرف
ذلك بالاستقراء والقرآن جامع لفنون من العلوم شتى فلو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه بالنسبة الى كل فن اختلافا فيحصل مجموع الاختلاف اختلافا كثيرا

كثيرا فان قيل كيف قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا استثنى القليل
على تقدير انتفاء الفضل والرحمة مع انه لولا فضله بالهداية والعصمة ورحمته لاتبع الكل
الشيطان من غير استثناء قلنا الاستثناء راجع الى ما تقدم قبله من اذاعوا به الا قليلا
وقيل لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا وقيل معناه ولولا فضل الله عليكم بارسال الرسول
لاتبعتم الشيطان في الكفر والضلال الا قليلا منكم كانوا يهتدون بعقولهم الى معرفة الله تعالى
وتوحيده كما فعل قس بن ساعدة ونحوه قبل بعث النبي صلعم فان قيل على الجواب
الاخير اذا كان المراد ان من لوازم نفي الفضل والرحمة بالطريق الخاص وهو الرسول
اتباع الشيطان ونفي الفضل والرحمة بالطريق الخاص معدوم في حق الرسول لانه
لم يرسل الله اليه رسولا ومع هذا لم يتبع الشيطان قلنا لا نسلم انه لم يرسل اليه رسول بل
ارسل اليه الملك وانه رسول الثاني ان المقصود نفي الفضل والرحمة بتعيين الطريق [illegible]
في حق الامة اما في حق الرسول ومن آمن بغير رسول يكون اللفظ باقيا على ظاهره فان قيل
هذه الآية تقتضي وجود فضله ورحمته المانع من اتباع اكثر الناس للشيطان مع
ان الواقع خلافه فان اكثر الناس كفرة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم الاسلام في الكفر
كالشعرة البيضاء في الثور الاسود قلنا الخطاب في هذه الآية للمؤمنين لا لكل الناس فان قيل اذا
كان الخطاب خاصا بالمؤمنين فما معنى الاستثناء فانه ان كان المراد به اتباعه فيما يدعو اليه
ويوسوس من المعاصي فاكثر المؤمنين يتبعونه في ذلك ولو في العمر مرة واحدة في بعض
الكبائر وان كان المراد به اتباعه في دعائه الى الكفر فاحد من المؤمنين لم يتبعه في الكفر

قلنا معناه ولولا فضل الله عليكم ايها المؤمنون ورحمته بالهداية بالرسول لاتبعتم الشيطان
في الكفر وعبادة الاصنام مفرد ذكر الا قليلا كقس بن ساعدة وورقة بن نوفل ونحوهما
فانهم لولا الفضل والرحمة بالرسول لما اتبعوا الشيطان لفضل ورحمة خصهم الله تعالى بها غير
ارسال الرسول وهو زيادة الهداية ونور البصيرة فان قيل كيف قال ومن اصدق من الله
حديثا مع انه لا تفاوت بين صادق وصادق في كونه صادقا كما في القول والعلم لا يقال هذا
القول اقول ولا هذا العلم اعلم ولا هذا الصدق اصدق لان الصدق عبارة عن الاخبار
المطابق للواقع ومتى ثبت انه مطابق للواقع لا يتصور فيه الزيادة والنقصان قلنا
اصدق هنا صفة للقايل لا صفة للقول والقايلان يتفاوتان في الصدق في نفس الامر وان
تساويا في قضية واحدة اخبرا بها وكان كل واحد منهما صادقا فيها وحاصله ان هذا استفهام
معناه النفي كما في قوله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله اي لا احد يغفرها الا الله فمعناه
هنا لا احد اصدق في حديثه من الله فيكون ترجيحا للمحدث على المحدث في الصدق لا ترجيحا
لاحد الطرفين على الآخر ولا شك انه لا احد اصدق في حديثه من الله لان غيره يجوز عليه
غير الصدق عقلا ويقع منه ايضا ولو نادرا والله تعالى منزه عن الامرين جميعا فان قيل
قوله تعالى كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها اركسه وارتكسه اي رده فيصير معناه كلما
ردوا الى الفتنة ردوا فيها وهو تكرار قلنا جوابه ان الفاعل مختلف فانتفى التكرار
وصار المعنى كلما دعاهم قومهم الى الشرك رده الله اليه وقلبهم بشؤم نفاقهم فالرد
الاول بمعنى الدعاء والركس بمعنى الرد والنكس فان قيل كيف قال وما كان لمؤمن

لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ مع انه ليس له ان يقتله خطأ قلنا الا بمعنى ولا كما في قوله تعالى انى
لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم وقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم الثاني
معناه انه ليس له ان يقتله مع تيقن ايمانه بل له ان يقتله اذا غلب على ظنه انه ليس بمؤمن وهو
في صف المشركين وان كان في نفس الامر مؤمنا فان قيل كيف قال ان اهل الكبائر من المؤمنين
لا يخلدون في النار والله تعالى يقول ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله
عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما قلنا معناه متعمدا قتله بسبب ايمانه والذي يفعل ذلك
يكون كافرا الثاني ان المراد بالخلود طول المكث لان الخلود اذا لم يؤكد بالابد يطلق على طول
المكث كما يقال خلد السلطان فلانا في الحبس اذا اطال حبسه فان قيل كيف قال فضل الله
المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ثم قال وفضل الله المجاهدين على القاعدين
اجرا عظيما درجات منه قلنا المراد بالاول التفضيل على القاعدين عن الغزاة بعذر فان
لهم فضلا لكونهم مع الغزاة بالهمة والعزيمة والقصد الصالح ولهذا قال وكلا وعد الله
الحسنى يعني الجنة اي كلا من المجاهدين والقاعدين بعذر والمراد بالثاني التفضيل
على القاعدين عن الغزاة بغير عذر اولئك لا فضل لهم بل هم مقصرون مسيئون فظهر
فضل الغزاة عليهم بدرجات لانتفاء الفضل لهم فان قيل كيف صح قولهم كنا مستضعفين
في الارض جوابا لقول الملائكة فيم كنتم والجواب المطابق ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في
شيء قلنا معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على الهجرة
ولم يهاجروا فصار فيم كنتم مجازا عن قوله لم تركتم الهجرة فقالوا كنا مستضعفين في

الارض اعذارا اعاد بجوابه تعللا فردت عليهم الملائكة ذلك بقولهم الم تكن ارض الله واسعة
فتهاجروا فيها يعني انكم ان كنتم عاجزين عن الهجرة الى المدينة لبعدها عنكم كنتم قادرين
على الخروج من مكة الى بعض البلاد القريبة منكم التي تقدرون فيها على اظهار دين الاسلام
فان قيل كيف قال فقد وقع اجره على الله اي وجب والعبد لا يستحق على مولاه اجرا لانه ليس باجير
له انما هو عبد قن قلنا معناه وجب من جهة انه وعد عباده انه لا يضيع اجر من احسن
عملا والخلف في وعده عز وجل محال فالوجوب من هذه الجهة مع ان ذلك الوعد ابتداء
تفضل منه فان قيل كيف شرط في اباحة القصر للمسافر خوف العدو بقوله واذا ضربتم
في الارض الآية والقصر جائز مع امن المسافر قلنا خرج ذلك مخرج الغالب لا مخرج
الشرط وغالب اسفار رسول الله واصحابه لم تخل من خوف العدو فصار نظير قوله
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقوله ان علمتم فيهم خيرا الثاني ان الكلام قد تم عند قوله ان تقصروا من الصلوة
وقوله ان خفتم كلام مستأنف وجوابه محذوف تقديره فاحتاطوا واقيموا الثالث
المراد به القصر من شروطها واركانها حالة اشتداد الخوف بترك الركوع و
السجود والنزول عن الدابة واستقبال القبلة ونحو ذلك لا من عدد الركعات
وذلك القصر مشروط بالخوف فان قيل كيف قال ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا وكان لفظ دال على المضي والصلوة في الحال والى يوم القيمة ايضا على المؤمنين
فرض موقت قلنا كان في القرآن العزيز على خمسة اوجه كان بمعنى الازل
والابد كما في قوله وكان الله عليما حكيما وكان بمعنى المضي المنقطع كما في قوله وكان في

المدينة تسعة رهط وهو الاصل في معاني كان كما تقول كان زيد صالحا او فقيرا او مريضا
ونحو ذلك وكان بمعنى الحال كما في قوله كنتم خير امة وقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا وكان بمعنى الاستقبال كما في قوله ويخافون يوما كان شره مستطيرا وكان بمعنى
صار كما في قوله وكان من الكافرين فان قيل كيف قال وترجون من الله ما لا يرجون والكافرون
ايضا يرجون الثواب في محاربة المؤمنين لانهم يعتقدون ان دينهم حق وانهم ينصرون
دين الله ويذبون عنه ويقاتلون اعداءه كما يعتقد المؤمنون فالرجاء مشترك قلنا قيل
ان الرجاء بمعنى الخوف كما في قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا وقوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين
لا يرجون ايام الله وقول الشاعر اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وعلى قول من قال
انه بمعنى الامل نقول قد بشر الله المؤمنين في القرآن ووعدهم باظهار دينهم على الدين
كله ومثل هذه البشارة والوعد لم توجد في سائر الكتب فافترقا وقيل الرجاء ما يكون مستندا
الى سبب صحيح ومقدمات حقيقية والطمع ما يكون مستندا الى خلاف ذلك فالرجاء للمؤمنين
واما الكافرون فلهم طمع لا رجاء فان قيل ما فائدة قوله او يظلم نفسه بعد قوله ومن يعمل سوءا
وظلم النفس من عمل السوء فهلا اقتصر على الاول لان الثاني داخل فيه قلنا او بمعنى الواو
معناه ويظلم نفسه بذكر السوء حيث دساها بالمعصية وقيل المراد بعمل السوء ما دون
الشرك وبظلم النفس الشرك وقيل المراد بعمل السوء الذنب المتعدي ضرره الى الغير وبظلم
النفس الذنب المقتصر ضرره على فاعله فان قيل قوله ولولا فضل الله عليك ورحمته
لهمت طائفة منهم ان يضلوك ظاهره ينفي وجود الهم منهم باضلاله والمنقول في التفاسير

انهم هموا باضلاله وذا دواعي الهم الذي هو القصد القول المفصل ايضا نعرف ذلك من تفسير
اول القصة وهو قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين
خصيما واستغفر الله قلنا قوله تعالى لهمت ليس جواب لولا بل هو كلام مقدم على لولا
وجوابها اي المقدر مقول على طريق القسم وجواب لو محذوف تقديره لقد همت طائفة
منهم ان يضلوك ولولا فضل الله عليك ورحمته لا يضلوك فان قيل النجوى فعل ومن
اسم فكيف صح استثناء الاسم من الفعل في قوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر
بصدقة قلنا فيه اضمار تقديره الا نجوى من امر بصدقة فيكون استثناء الفعل من
الفعل ونظيره قوله تعالى ولكن البر من امن بالله تقديره بر من امن بالله فان قيل كيف
قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلنا ذكر الامر بالخير ليدل به على خيرية
الفاعل له بالطريق الاولى ثم ذكر الفاعل ووعده الاجر العظيم اظهارا لفضل الفاعل
المؤتمر به على الامر الثاني انه اراد ومن يامر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما
يعبر به عن سائر انواع الفعل واذا كان الامر موعودا بالاجر العظيم كان الفاعل
موعودا به بالطريق الاولى فان قيل كيف قال ان يدعون من دونه الا اناثا اي
ما يعبدون من دون الله الا اللات والعزى ومناة ونحوها وهي مؤنثة ثم قال
وان يدعون الا شيطانا مريدا اي ما يعبدون الا الشيطان قلنا معناه ان
عبادتهم الاصنام هي في الحقيقة عبادة للشيطان اما لانهم اطاعوا الشيطان فيما
سول لهم وزين من عبادة الاصنام بالاغواء والاضلال او لان الشيطان

الشيطان موكل بالاصنام يدعو الكفار الى عبادتها شفاها وتزيينا للعبادة فيتكلم لبعضهم فان
قيل كيف قال ان العبد يحكم بكونه من اهل الجنة بمجرد الايمان والله سبحانه وتعالى شرط لذلك
العمل الصالح بظاهر قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من
تحتها الانهار وقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن والا لما
كان في التقييد فائدة قلنا قيل ان المراد بالعمل الصالح الاخلاص في الايمان وقيل الثبات عليه
الى الموت وكلاهما شرط في كون الايمان سببا لدخول الجنة فان قيل كيف قال ومن يعمل
سوءا يجز به والتائب المقبول توبته غير مجازى بعمله وكذلك من عمل سيئة ثم اتبعها
حسنة لانها مذهبة لها وماحية بنص القرآن قلنا المراد من يعمل سوءا ويموت
مصرا عليه الثاني ان المؤمن يجازى في الدنيا بما يصيبه فيها من المرض وانواع
المصايب والمحن كما جاء في الحديث والكافر يجازى في الآخرة فان قيل كيف خص
المؤمنين الصالحين بانهم لا يظلمون بقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات الآية مع
ان غيرهم لا يظلم ايضا قلنا قوله تعالى ولا يظلمون نقيرا راجع الى الفريقين عمال السوء
وعمال الصالحات لسبق ذكر الفريقين الثاني ان يكون من باب الايجاز والاختصار
فاكتفى بذكره عقيب الجملة الاخيرة عند ذكر احد الفريقين لدلالته على اضماره عقيب
الجملة الاخيرة وذكر الفريق الآخر فلا يظلم المؤمنون بنقصان ثواب اعمالهم ولا
الكافرون بزيادة عقاب ذنوبهم الثالث ان المراد بالظلم المنفي نقصان ثواب الطاعات
وهذا مخصوص بالمؤمنين لان الكافر ليس لهم على اعمالهم ثواب ينقص منه فان قيل

طلب الأمان من المؤمن بحصول الكامل فكيف قال يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله الآية
قلنا معناه يا أيها الذين آمنوا بعيسى آمِنوا بالله ورسوله محمد وقيل معناه آمنوا علانية آمِنوا سرًا
فإن قيل قوله تعالى الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين
نصيبٌ لِمَ سمّى ظفر المسلمين فتحًا وظفر الكافرين نصيبًا قلنا تعظيمًا لشأن المسلمين وتحقيرًا
لحظ الكافرين لأن ظفر المسلمين أمرٌ عظيم لأنه متضمن نصرة دين الله وعزّة أهله
تفتح له أبواب السماء حتى ينزل على أولياء الله وظفر الكافرين ليس إلّا حظًّا دنياويًا وعرضًا من
متاع الدنيا يصيبونه وليس متضمّنًا شيئًا مما ذكرنا فإن قيل كيف قال ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلًا وقد نصر الكافرين على المؤمنين في يوم أُحد وفي غيره أيضًا إلى
يومنا هذا قلنا المراد به السبيل بالحجة والبرهان والمؤمنون غالبون بالحجة دائمًا فإن
قيل كيف جعل كان المنافق أشدّ عذابًا من الكافر حتى قال الله تعالى في حقهم إن المنافقين في
الدرك الأسفل من النار مع أن المنافق أحسن حالًا من الكافر بدليل أنه معصوم الدم
وغير محكوم عليه بالكفر ولهذا قال الله تعالى في حقهم مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا
إلى هؤلاء فلم يجعلهم مؤمنين ولا كافرين قلنا المنافق وإن كان في الظاهر أحسن حالًا
من الكافر إلا أنه عند الله تعالى وفي الآخرة أسوء حالًا منه لأنه شاركه في الكفر وزاد
عليه الاستهزاء بالإسلام وأهله والمخادعة لله وللمؤمنين فإن قيل الجهر بالسوء
غير محبوب لله تعالى أصلًا بل المحبوب عنده العفوُ والصفح والتجاوزُ فكيف قال
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلّا مَن ظُلم أي إلّا جهرَ مَن ظُلم قلنا معناه

معناه ولا جهر من ظلم فإلّا بمعنى ولا وقد سبق نظيره وشاهده في قوله تعالى وما كان لمؤمن
أن يقتل مؤمنًا إلا خطأ فإن قيل كيف جاز دخول بين على أحد في قوله تعالى ولم يفرقوا بين أحد
منهم وبين تقتضي اثنين فصاعدًا يقال فرقت بين زيد وعمرو أو بين القوم ولا يقال فرقت
بين زيد قلنا قد سبق هذا السؤال وجوابه في قوله تعالى عوانٌ بين ذلك وفي آخر سورة
البقرة فإن قيل ما فائدة إعادة الكفر في الآية الثانية بقوله تعالى وبكفرهم بعد قوله
فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله الآية قلنا فائدته أنه قد تكرر الكفر منهم فإنهم كفروا بموسى
وعيسى ثم بمحمد فعطف بعض كفرهم على بعض فإن قيل اليهود كانوا كافرين بعيسى
يسمّونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة (كناية عن الزانية) فكيف أقرّوا أنه رسول الله
بقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قلنا قالوه على طريق الاستهزاء كما قال
فرعون إن رسولكم الذي أُرسل إليكم لمجنون فإن قيل كيف وصفهم بالشك بقوله تعالى وإن
الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ثم وصفهم بالظن بقوله تعالى ما لهم به من علم إلا اتّباع الظن
والشك تساوي الطرفين والظن رجحان أحدهما فكيف يكونون شاكّين ظانّين
وكيف استثنى الظن من العلم وليس الظن فردًا من أفراد العلم بل هو قسيمه قلنا
استعمل الظن بمعنى الشك مجازًا لما بينهما من المشابهة في انتفاء الجزم وأما استثناء الظن
من العلم فهو استثناء من غير الجنس كما في قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوًا إلا سلامًا وما
أشبهه فإن قيل كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه
من الأدلة العقلية الموصلة إلى معرفته حتى قال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل

قلنا الرسل والكتب منبّهة من الغفلة وباعثة على النظر في أدلة العقل ومفصّلة لمجمل الدين
وأحوال التكليف التي لا يستقل العقل بمعرفتها فكان ارسالهم ازاحةً للعلة وتتميما لالزام
الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه
له فان قيل كيف قال انزله بعلمه ولم يقل انزله بقدرته او بعلمه وقدرته مع ان الله تع لا يفعل
الا عن علم وقدرة قلنا معناه انزله وفيه علمه اي معلومه اي ما يعلمه من الشرائع والاحكام
وقيل معناه انزله عليك بعلم منه انك اولى بانزاله عليك من سائر خلقه فان قيل كلام الله تعالى
صفة قديمة قائمة بذاته وعيسى عم مخلوق حادث فكيف صح اطلاق الكلمة عليه في قوله تع رسول
الله وكلمته قلنا معناه ان وجوده في بطن امه كان بكلمة الله تع وهي قوله كن من غير واسطة
اب بخلاف غيره من البشر وقيل المراد بالكلمة الحجة فان قيل على الوجه الاول لو كان صح اطلاق
الكلمة على عيسى عم لهذا المعنى لصح اطلاقها على آدم عم لان هذا المعنى فيه اتم واكمل لانه وجد
بهذه الكلمة من غير اب ولا ام ايضا قلنا لا نسلم انه لا يصح اطلاقها عليه بهذا المعنى بل يصح فان قيل
لو صح اطلاقها عليه لجاء به القرآن كما جاء به في حق عيسى عم قلنا انما جاء به لان المجيء به في
حق عيسى عم انما كان للرد على من افترى عليه وعلى امه ونسبه الى اب ولم يوجد هذا المعنى
في حق آدم عم لاتفاق الناس كلهم على انه غير مضاف الى اب ولا الى ام
فان قيل كيف وجه الارتباط والمناسبة بين قوله تع يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود
وقوله تع احلت لكم بهيمة الانعام قلنا المراد بالعقود عهود الله تع عليهم في تحليل حلاله
وتحريم حرامه فبدأ بالمجمل ثم اتبعه بالمفصل من قوله تع احلت لكم بهيمة الانعام وقوله

وقوله تع بعده حرمت عليكم الميتة الآية فان قيل ما اكله السبع عدم وتعذر اكله فكيف يحسن
فيه التحريم حتى قال وما اكل السبع قلنا معناه وما اكل منه السبع يعني الباقي بعد اكله فان
قيل قوله تع اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا يدل بمفهومه
على انه لم يرض لهم بالاسلام دينا قبل ذلك اليوم وليس كذلك فان الاسلام لم يزل دينا مرضيا
للنبي صلعم واصحابه عند الله تع منذ ارسله قلنا قوله اليوم ظرف للجملتين الاوليين لا للجملة
الثالثة لان الواو الاولى للعطف والثانية للابتداء فالجملة الثالثة مطلقة غير موقتة فان قيل قوله
تعالى يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات كيف صلح جوابا لسؤالهم والطيبات غير معلومة
ولا متفق عليها لانها تختلف باختلاف الطباع والبقاع قلنا المراد بالطيبات هنا الذبح
والعرب تسمي الذبيحة طيبا وتسمي الميتة خبيثا فصار المراد معلوما لكنه عام مخصوص
كغيره من العمومات فان قيل ما فائدة قوله تع مكلبين بعد قوله تعالى وما علمتم من الجوارح
والمكلب هو معلم الكلاب الصيد قلنا قد جاء في التفسير المكلب ايضا انه هو المغري
للجارح والمغري له فعلى هذا لا يكون ذكره مكررا وعلى القول الاول نقول انما عمم ثم خصص
فقال مكلبين بعد قوله تع وما علمتم من الجوارح لان غالب صيدهم كان بالكلاب فاخرجه
مخرج الغالب الواقع منهم فان قيل ظاهر قوله تع وما علمتم من الجوارح مكلبين يقتضي
اباحة الجوارح المعلمة وهي حرام قلنا فيه اضمار تقديره وصيد ما علمتم من الجوارح
يؤيده ما في تمام الكلام من قوله تع فكلوا مما امسكن عليكم فان قيل المؤمن به هو الله قف
تعالى لقوله قولوا آمنا بالله فالمكفور به يكون هو الله تع ايضا ويؤيده قوله تعالى

كيف تكفرون بالله واذا ثبت هذا فكيف قال ومن يكفر بالايمان مع انه لا يصح ان يقال آمن
بالايمان فكذا كفر ضده قلنا المراد به ومن يرتد عن الايمان يقال كفر فلان بالاسلام اذا
ارتد عنه فكفر بمعنى ارتد لان الردة نوع من الكفر والباء بمعنى عن كما في قوله سأل سائل بعذاب
واقع وقوله فاسأل به خبيرا وقيل المراد هنا بالايمان المؤمن به تسمية للمفعول بالمصدر كما في
قوله احل لكم صيد البحر اي تصيده وقولهم ضرب الامير ونسج اليمن فان قيل كيف قال وعد
الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم ولم يقل وعملوا السيئات مع ان
الغفران يكون لفاعل السيئات لا لفاعل الحسنات قلنا كل احد لا يخلو عن سيئة صغيرة
او كبيرة وان كان ممن يعمل الصالحات وهي الطاعات فالمعنى ان من آمن وعمل الصالحات الحسنات
غفرت له سيئاته كما قال ان الحسنات يذهبن السيئات فان قيل كيف قال في آخر قوله
تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الآية فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل
مع ان الذي كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل قلنا نعم ولكن الضلال بعد ما ذكر
من النعم اقبح لان قبح الكفر بقدر عظم النعم المكفورة فلذلك خصه بالذكر فان قيل كيف قال
ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل ومن النصارى قلنا لان هؤلاء كانوا كاذبين في
دعواهم انهم نصارى وذلك انهم انما سموا انفسهم نصارى ادعاء لنصرة الله وهم الذين
قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعده نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا
للشيطان فقال ذلك توبيخا لهم فان قيل كيف قال يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير يعني يتجاوز عن كثير مما كتمتموه من الكتاب

من الكتاب فلا يظهره ولا يبين كتمانكم اياه فكيف يجوز للنبي صلعم ان يسكت عن اظهار حق كتموه مما في
كتابهم قلنا انما سكت عن البعض لانه كان يتبع الامر ولا يفعل شيئا من الامور الدينية من تلقاء نفسه
بل اتباعا للوحي فما امر ببيانه بينه وما لم يؤمر ببيانه امسك عنه الى وقت امره ببيانه وعلى هذا الجواب فما
يكون لفظ العفو مجازا عن الترك فيكون قد اعلمه الله به واطلعه عليه ولم يأمره ببيانه لهم فترك
بيانه لهم الثاني ان ما كان في بيانه اظهار حكم شرعي كصفته ونعته والبشارة به وآية الرجم ونحوها بينه
وما لم يكن في بيانه حكم شرعي ولكن فيه افتضاحهم وهتك استارهم فانه عفى عنه الثالث ان عقد الذمة
اقتضى تقريرهم على ما بدلوا وغيروا من دينهم الا ما كان في اظهاره معجزة له وتصديق لنبوته من
صفته ونعته او ما اختلفوا فيه فيما بينهم وتحاكموا اليه فيه كحكم الزنا ونحوه فان قيل كيف قال قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه مع ان العبد ما لم يهده الله اولا
لا يتبع رضوانه فيلزم الدور قلنا فيه اضمار تقديره يهدي به الله من علم انه يتبع رضوانه
او يهدي به الله من يريد ان يتبع رضوانه كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا اي الذين
ارادوا سبل المجاهدة فينا لنهدينهم سبل مجاهدتنا فان قيل لم نر ولم نسمع ان قوما من اليهود
او النصارى قالوا نحن ابناء الله فكيف اخبر الله عنهم بذلك قلنا المراد بقولهم ابناء الله خاصة
الله كما قال ابناء الدنيا وابناء الآخرة وقيل فيه اضمار تقديره ابناء انبياء الله فان قيل كيف صح
الاحتجاج عليهم بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم مع انهم ينكرون تعذيبهم بذنوبهم ويدعون ان
ما يذنبون بالنهار يغفر بالليل وما يذنبون بالليل يغفر بالنهار قلنا هم كانوا مقرين انه
يعذبهم اربعين يوما وهي مدة عبادتهم العجل في غيبة موسى عليه السلام لميقات ربه ولذلك

قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقيل اراد به العذاب الذي اوقعه ببعضهم في الدنيا
من مسخهم قردة كما فعل باصحاب السبت وخسف الارض بهم كما فعل بقارون وهذا
لا ننكره وعلى هذا الوجه يكون المضارع بمعنى الماضي في قوله فلم يعذبكم والاضافة اليهم بمعنى
الاضافة الى آبائهم كانه قال فلم عذب آباءكم فان قيل قوله بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء ان اريد به يغفر لمن يشاء منكم ايها اليهود والنصارى ويعذب من يشاء يلزم
جواز المغفرة لهم وانه غير جائز لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به وان اريد به يغفر لمن
يشاء لا يصح جوابا لقولهم قلنا المراد به يغفر لمن يشاء منهم اذا تاب من الكفر وقيل يغفر لمن
يشاء ممن خلق وهم المؤمنون ويعذب من يشاء وهم المشركون فان قيل كيف قال يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا ولم يكن قوم موسى عليه السلام ملوكا قلنا المراد
جعل منكم ملوكا وهم ملوك بني اسرائيل اثنا عشر ملكا لاثني عشر سبطا لكل سبط ملك وقيل
المراد به انه رزقهم المنازل الواسعة فيها المياه الجارية وقيل المراد به انه رزقهم
الصحة والكفاية والزوجة الموافقة والخادم والبيت فسماهم ملوكا لذلك فان قيل من
اين علم الرجلان انهم غالبون حتى قالا فاذا دخلتموه فانكم غالبون قلنا من جهة وثوقهم
باخبار موسى عليه السلام بذلك بقوله ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقيل
علما ذلك بغلبة الظن وما عهداه من صنع الله بموسى في قهر اعدائه فان قيل
قوله وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين يدل على ان من لم يتوكل على الله لا يكون مؤمنا
والاجماع بخلافه قلنا ليس كذلك قلنا ان هنا بمعنى اذ فيكون بمعنى التعليل كما في قوله

كما في قوله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان قيل كيف التوفيق بين قوله ادخلوا
الارض المقدسة التي كتب الله لكم وبين قوله فانها محرمة عليهم قلنا معناه كتبها لكم بشرط ان
تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم الثاني ان كل واحد منهما عام اريد به
الخاص فالكتابة للبعض وهم المطيعون والتحريم على البعض وهم العاصون الثالث
ان التحريم موقت باربعين سنة والكتابة غير موقتة فيكون المعنى ان بعد مضي الاربعين
يكون لهم وهذا الجواب تام على قول من نصب الاربعين بمحرمة وجعلها ظرفا لها فاما
على قول من جعل الاربعين ظرفا لقوله يتيهون مقدما عليه فانه جعل التحريم مؤبدا فلا ياتي
على قوله هذا الجواب لان التقدير عنده فانها محرمة عليهم ابدا يتيهون في الارض اربعين
سنة وهو موضع قد اختلف فيه المفسرون والقراء من جملة من جوز نصب الاربعين
بمحرمة ويتيهون والزجاج من جملة من منع جواز نصبه بمحرمة ونقل ان التحريم كان
مؤبدا وانهم لم يدخلوها بعد الاربعين ونقل غيره انه دخلها بعد الاربعين من بقي
منهم وذرية من مات منهم ويعضد الوجه الاول كون الغالب في الاستعمال تقدم الفعل
على الظرف الذي هو عدد لا تأخره عنه يقال سافر زيد اربعين يوما واقام اربعين
قيل لم يوما وما اشبه ذلك وقلما يقال على العكس فان قيل كيف قال اذ قربا قربانا ولم يقل قربانين
والذي قرباه كان قربانين لان كل واحد منهما قرب قربانا قلنا اراد به الجنس فعبر عنه
بلفظ الفرد كقوله والملك على ارجائها الثاني ان العرب تطلق الواحد وتريد الاثنين
وعليه جاء قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد وقال الاعرابي فاني وقيار بها لغريب

فان قيل كيف صلح قوله تع انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك قلنا لما كان الحسد
لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له ذلك كناية عن ان حقيقة الجواب
وتعريضا معناه انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها عن لباس التقوى لا من قبلي
فلم تقتلني فان قيل كيف قال هابيل لقابيل اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي تنصرف بهما
مع ان ارادة السوء والوقوع في المعصية للاجنبي حرام فكيف للاخ قلنا فيه اضمار
حرف النفي تقديره اني اريد ان لا تبوء باثمي واثمك كما في قوله تع والقى في الارض رواسي ان
تميد بكم اي ان لا تميد بكم وقوله تع تالله تفتؤ يعني لا تزال تذكر يوسف وقول امرئ القيس
فقلت يمين الله ابرح قاعدا الثاني ان فيه حذف مضاف تقديره اني اريد انتفاء ان
تبوء باثمي واثمك كما في قوله تع واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل الثالث ان
معناه اني اريد ذلك ان قتلتني لا مطلقا الرابع انه كان ظالما وجزاء الظالم تحسن
ارادته من الله تع فيحسن من العبد ايضا فان قيل قوله تع فاصبح من النادمين
يدل على ان قابيل كان تائبا لقوله صلى الله عليه وسلم الندم توبة فلا يستحق النار قلنا لم يكن
ندمه على قتل اخيه بل على حمله على عنقه سنة او على عدم اهتدائه الى الدفن الذي تعلمه
من الغراب او على فقد اخيه لا على المعصية ولو سلمنا ان ندمه كان على قتل اخيه ولكن
يجوز ان الندم لم يكن توبة في شرع من قبلنا بل في شرعنا او نقول التوبة تؤثر في
حقوق الله تع لا في حقوق العباد فلا تؤثر فيه التوبة فان قيل كيف يكون قتل
الواحد كقتل الكل واحياء الواحد كاحياء الكل والدليل يأباه من وجهين احدهما

احدهما ان الجناية كلما تعددت وكثرت كانت اقبح فناسب زيادة الاثم والعقوبة هكذا
هو مقتضى العقل والحكمة الثاني ان المراد بهذا التشبيه اما ان يكون تساوي قتل الواحد
والكل في الاثم والعقوبة او تقاربهما وايا ما كان يلزم منه انه اذا قتل الثاني او الثالث وهلم
جرا لا يكون عليه اثم آخر ولا يستحق عقوبة لغيره لانه اثم اثم قتل الكل واستحق عقوبة قتل
الكل بمجرد قتل الاول او الاول والثاني لان قتل الواحد اذا كان يساوي قتل الكل او يقاربه فقتل
الاثنين يجعل عليه اثم قتل الكل وعقوبة قتل الكل فكيف يزداد بعد ذلك بقتل الثالث
والرابع وهلم جرا ولو قتل الكل لما ازداد على اثم قتل الكل وعقوبة قتل الكل ولا يجوز ان
يستحق بقتل الواحد او الاثنين اثم قتل الكل وبقتل الكل اثم قتل الكل قلنا اقرب ما قيل
فيه ان المراد ان من قتل نفسا واحدة بغير حق كان جميع الناس خصومه في الدنيا ان لم يكن له ولي
وفي الآخرة مطلقا لانهم من اب وام واحدة وقيل معناه من قتل نبيا او اماما عادلا فهو
كمن قتل الناس جميعا من حيث ابطال المنفعة على الكل لان منفعتهما عامة للكل وقيل المراد بمن
قتل هو قابيل فان عليه من الاثم بمنزلة اثم قتل الكل لانه اول من سن القتل فكل قتل يوجد
بعده يلحقه شيء من وزره بعلة التسبيب لقوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة الحديث
وهذا احسن في المعنى ولكن اللفظ لا يساعد عليه وهو قوله تع من اجل ذلك كتبنا على بني
اسرائيل لان هذا المعنى اذا اريد به قابيل لا يختص كتابته ببني اسرائيل فان قيل كيف وجه
قوله تع انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية وحقيقة المحاربة بين العبد والرب
ممتنعة قلنا فيه اضمار تقديره يحاربون اولياء الله وقيل اراد بالمحاربة المخالفة معه

فان قيل كيف قال ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به ولم يقل
بها والمذكور شيئان قلنا قد سبق جواب مثله في قبيل هذا في قوله اذا قربا قربانا وفيها جواب
آخر وهو ان يكون وضع الضمير موضع اسم الاشارة كانه قال ليفتدوا بذلك وذلك يشار به الى
الواحد والاثنين والجمع فان قيل ما فائدة قوله فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وحال
النبي صلى الله عليه وسلم مع اهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لا تخلو عن هذين القسمين لانه اما ان
يحكم بينهم او يعرض عنهم قلنا فائدته تخيير النبي صلعم بين الحكم بينهم وعدمه ليعلم انه لا يجب
عليه ان يحكم بينهم كما يجب عليه ذلك بين المسلمين اذا تحاكموا اليه وقيل ان هذا التخيير منسوخ
بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله يعني بما انزل الله عليك وهو القرآن بدليل اول الآية ولا تتبع
اهواءهم في الحكم بالتوراة فان قيل لما انزل الله القرآن صار الانجيل منسوخا به فكيف قال وليحكم
اهل الانجيل بما انزل الله فيه قلنا معناه لما انزلنا الانجيل قلنا وليحكم اهل الانجيل
بما انزل الله فيه وقيل معناه وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه من صدق نبوة محمد صلعم
بعلاماته المذكورة في الانجيل وذلك غير منسوخ فان قيل كيف قال فان تولوا فاعلم انما يريد الله
ان يصيبهم ببعض ذنوبهم مع ان الكفار معاقبون بكل ذنوبهم قلنا اراد به عقوبتهم في
الدنيا وهو ما عجله من اجلاء بني النضير وقتل بني قريظة وذلك جزاء بعض ذنوبهم لانه
جزاء منقطع واما جزاؤهم على شركهم فهو الخلود في النار وذلك جزاء دائم لا يتصور
وجوده في الدنيا وقيل اراد بذكر البعض ذنب التولي عن الرضا بحكم القرآن وانما
ابهمه تفخيما له وتعظيما فان قيل حسن حكم الله مع وحسنه امر ثابت على العموم بالنسبه

بالنسبه الى المؤمنين وغير المؤمنين فكيف قال ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
قلنا لما كان المؤمنون اكثر انتفاعا به من غيرهم بل هم المنتفعون به في الحقيقة لا غير كانوا
اخص به فاضيف اليهم لذلك ونظيره قوله انما انت منذر من يخشاها فان قيل قوله ومن
يتولهم منكم فانه منهم يقتضي ان يكون من والى اهل الكتاب وحاد قهم كافرا وليس كذلك لقوله
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين الآية قلنا المراد بقوله ومن يتولهم منكم المنافقون
لانها نزلت في شانهم وهم كانوا من الكفار في الدنيا ضرارا واعتقادا ومعناه انه منهم في
الآخرة جزاء وعقابا بل اشد فان قيل كيف قال ان الله لا يهدي القوم الظالمين وكم من
ظالم هداه الله تعالى فتاب واقلع عن ظلمه قلنا معناه لا يهديهم ما داموا مقيمين على ظلمهم
الثاني ان معناه لا يهدي من قضى في سابق علمه انه يموت ضالا الثالث ان معناه لا يهدي
الظالمين يوم القيامة الى طريق الجنة اي المشركين فان قيل كيف قال اذلة على المؤمنين
ولم يقل اذلة للمؤمنين وانما يقال ذل له لا ذل عليه قلنا لانه ضمن الذل معنى الحنو
والعطف فعداه تعديته كانه قال حانين على المؤمنين عاطفين عليهم فان قيل كيف
قال ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون وكم مرة غلب حزب
الله تعالى في زمن النبي صلعم وبعده الى يومنا هذا قلنا المراد به الغلبة بالحجة والبرهان
لا بالدولة والصولة وحزب الله وهم المؤمنون الغالبون بالحجة ابدا فان قيل المثوبة
مختصة بالاحسان فكيف قال قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله الآية قلنا لا نم
ان الثواب والمثوبة مختص بالاحسان بل هو الجزاء مطلقا بدليل قوله تعالى هل ثوب

الكفار ما كانوا يفعلون اي هل جوزوا وهو قوله تع فاتاكم الله فما ابلغ وهو كلفظ البشارة لا اختصاص
له لغة بالخير السار بل هو عام شامل قال الله تع فبشرهم بعذاب اليم فان قيل ما فائدة ارسال
الكتاب والرسول الى اولئك الكفار الذين قال في حقهم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من
ربك طغيانا وكفرا قلنا فائدته الزام الحجة عليهم الثاني تبجيل الكتاب والرسول فان الخطاب
بالكتاب اذا كان عاما والرسول اذا كان مرسلا الى الخلق كلهم كان ذلك افخم واعظم
للرسول والمرسل فان قيل قوله تع ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل الاية يقتضي تعلق
الرخاء وسعة الرزق بالايمان بالكتاب والعمل بما فيه وليس كذلك فان كثيرا من المؤمنين
بالكتب الاربعة العاملين بما فيها ما لم يتسع عيشهم في الدنيا منكر ورزقهم مضيق
قلنا هذا التعليق خاص في حق اهل الكتاب لانهم اشتكوا من ضيق الرزق حتى
قالوا يد الله مغلولة فاخبرهم الله تع ان ذلك التضييق عقوبة لهم بشؤم معاصيهم و
كفرهم والله تعالى يجعل ضيق الرزق وتغيير نعمة في حق بعض عباده ونقمة في
حق بعضهم وكذلك الرخاء والسعة فيعاقب بها على المعصية ويثيب بها على الطاعة ويختلف
ذلك باختلاف احوال الاشخاص فلا يلزم من توسع الرزق الاكرام ولا من تضييقه
الاهانة ولا يلزم عكسه ايضا ولهذا رد الله تع ذكر بعده فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه
الى قوله كلا اي ليس الامر كما ظن الانسان وزعم من ان توسيع الرزق دليل الكرامة
وتضييقه دليل الاهانة بل دليل الكرامة هو الهداية والتوفيق للطاعة ودليل
الاهانة هو الاضلال والخذلان وجه فان التوفيق فان قيل ما فائدة قوله تع يا ايها

يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ومعلوم انه اذا لم يبلغ
المنزل اليه لم يكن قد بلغ الرسالة قلنا المراد حثه على تبليغ ما انزل عليه من معايب اليهود
ومثالبهم بالمعنى بلغ الجميع فان كتمت منه حرفا كنت في الاثم والعقاب كمن لم تبلغ شيئا
البتة فجعل كتمان البعض ككتمان الكل وقيل هو امر بتعجيل التبليغ كانه عليه كان عازما
على تبليغ جميع ما انزل الله اليه الا انه اخر تبليغ البعض خوفا على نفسه وحذرا مع عزمه على
تبليغه في ثاني الحال فامر بتعجيل التبليغ ويؤيد هذا القول والله يعصمك من الناس فان
قيل كيف ضمن الله تع لرسوله العصمة بقوله تع والله يعصمك من الناس ثم انه شج وجهه
يوم احد وكسرت رباعيته قلنا المراد به العصمة من القتل لا من جميع انواع الاذى
فان العصمة من جميع المكاره لا تناسب اخلاق الانبياء عليهم السلام لانهم مبعوثون لمكارم
الاخلاق ومن شرف مكارم الاخلاق تحمل الاذى الثاني ان هذه الاية نزلت بعد
يوم احد لان سورة المائدة من اواخر ما نزل من القرآن فان قيل كيف قال وما للظالمين
من انصار مع ان بعض الظالمين وهم العصاة من المؤمنين يشفع فيهم النبي صلعم
يوم القيامة فيكون ناصرا لهم قلنا المراد بالظالمين هنا المشركون يعلم ذلك من اول الاية
ووسطها فان قيل ما فائدة قوله تع وضلوا عن سواء السبيل بعد قوله قد ضلوا من قبل
قلنا المراد بالضلال الاول ضلالهم عن الانجيل وبالضلال الثاني ضلالهم عن القرآن
فان قيل كيف قال كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه والنهي عن المنكر بعد فعله
ووقوعه لا معنى له قلنا فيه حذف مضاف تقديره كانوا لا يتناهون عن معاودة

منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى الى شأن الامارات
الخوض في الفسق والآية تسوية وتهيئة فتنكر ويجوز ان يريد بعضهم له ينا هون
لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون يقال تناهى عن
الامر وانتهى عنه بمعنى واحد اى امتنع عنه وتركه فان قيل كيف قال ولكن كثيرا منهم فاسقون
والكل بطابع منهم المنافقون او اليهود على اختلاف القولين وكلهم فاسقون قلنا المراد به
فسقهم بموالاة المشركين ودس الاخبار اليهم لا مطلق الفسق وذكر الفسق الكامل مخصوص
بكثير منهم وهم المذكورون في الآية في قوله ترى كثيرا منهم لا شاملا لجميعهم فان قيل كيف قال انما
الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان وهذه الاعيان كلها مخلوقات
الله مع فاين عمل الشيطان في وجودها قلنا فيه اضمار تقديره انما تعاطي (تناول) الخمر والميسر الى آخره
او مباشرته فان قيل مع الاضمار كيف قال من عمل الشيطان وتعاطي الخمر والقمار ونحوهما
من عمل الانسان حقيقة قلنا انما اضيف الى الشيطان مجازا لانه هو السبب في وجود الفعل
بواسطة وسوسته وتزيينه للفساق وجار كما لو اغرى رجل رجلا بضرب آخر فانه يجوز ان
يقال للمغري هذا من عملك فان قيل كيف جمع الخمر والميسر والانصاب والازلام في الآية
الاولى ثم خص الخمر والميسر بالذكر في الآية الثانية قلنا لان العداوة والبغضاء بين
الناس تقع كثيرا بسبب الخمر والميسر وكذلك يشتغلون بهما عن الطاعة بخلاف الانصاب
والازلام فان هذه المفاسد لا توجد فيها وان كانت فيهما مفاسد اخر وقيل انما كرر ذكر
الخمر والميسر فقط لان الخطاب للمؤمنين بدليل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا وهم انما كانوا

انما كانوا يتعاطون الخمر والميسر فقط وانما جمع الاربعة في الآية الاولى ليبين للمؤمنين
ان هذه الاربعة من اعمال الجاهلية وانه لا فرق بين من عبد صنما او اشرك بالله بدعوى علم
الغيب وبين من شرب الخمر او قامر مستحلا لها فان قيل كيف يحسن ان يفعل الله فعلا
يتوسل به الى تحصيل علم حتى قال يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم
ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب قلنا معناه ليميز الله الخائف من غير الخائف عند
الناس وقيل معناه ليعلم عباد الله من يخافه بالغيب وهو قريب من الاول وقيل معناه
ليعلم الخوف واقعا كما علمه منتظرا فان قيل كيف قال ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل
من النعم ووصف العمدية ليس شرطا لوجوب الجزاء فانه لو قتله ناسيا او مخطئا وجب
الجزاء ايضا قلنا عند ابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وصف العمدية
شرط لوجوب الجزاء فلا يرد عليهم السؤال واما على قول الجمهور فانما قيده بوصف العمدية
لان الواقعة التي كانت سبب نزول الآية كانت عمدا على ما روي انه عنّ الصحابة حمار
وحش بالحديبية وهم محرمون فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت الآية
فخرج وصف العمدية مخرج الواقعة لا مخرج الشرط وقال الزهري نزل الكتاب بالعمد
ووردت السنة بالوجوب في الخطأ فان قيل كيف قال هديا بالغ الكعبة مع ان الشرط
بلوغه الى الحرم لا غير قلنا لما كان المقصود من بلوغ الهدي الى الحرم تعظيم الكعبة
ذكر الكعبة تنبيها على ذلك وقيل معناه بالغ حرم الكعبة فان قيل ما معنى جعل الله الكعبة
البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله

اى ليعلم خوفهم حتى يستحقوا الثواب
بخوفهم ان المراد بالعلم هنا علم [illegible]
الجزاء فان الله تعالى يعلم الخائف [illegible]
قبل وقوع الخوف وذكر العلم لا [illegible]
مجازاه في ثواب ولا عقاب فاذا [illegible]
الخوف علم ذلك منهم شهادة فيقع
العلم اسم المطيعين واسم العاصين
يستحقون ثوابهم على قدر علمه ويكون [illegible]
في حال وقوع الفعل منهم شهادة [illegible]
عالم الغيب والشهادة فعلمه به قبل [illegible]
غيب لا يجازى بذلك العلم ثواب ولا [illegible]
وعلمه به حال وقوعه شهادة يتعلق [illegible]
المعنى وقد ليعلم الخوف ليقع عليه [illegible]
خوفهم فيجازي بذلك العلم به كما هو [illegible]
علمه تعالى به قبل وقوعه

يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شي عليم اي ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ... لهذه الامور المذكورة على
علم الله تعالى بما في السموات وما في الارض وبكل شي فلما ذكر اشارة الى كل ما سبق
ذكره من الغيوب في هذه السورة من احوال الانبياء والمنافقين واليهود لا الى المذكور
في هذه الآية الثاني ان العرب كانت تسفك الدماء وتنهب الاموال فاذا دخل الشهر
الحرام او دخلوا الى البلد الحرام كفوا عن ذلك فعلم الله تع انه لو لم يجعل لهم زمانا ومكانا
يقتضي كفهم من القتل ونهب الاموال لهلكوا فظهرت المناسبة فان قيل كيف قال ما جعل الله
من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام والجعل هو الخلق بدليل قوله تع وجعل منها
زوجها وقوله تع وجعل الظلمات والنور وخالق هذه الاشياء هو الله تع قلنا المراد
ما الجعل هنا الايجاب والامر اي ما اوجبها ولا امر بها وقيل المراد ما الجعل التحريم فان
قيل قوله تع يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم يدل على عدم وجوب الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر وهما واجبان قلنا معنى قوله انفسكم اهل دينكم كما قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي
اهل دينكم وقيل المراد به آخر الزمان عند فساد الناس وتعذر الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وليس زماننا هذا فان قيل كيف يقول الرسول لا علم لنا اذا قال الله تع لهم
ماذا اجبتم وهم عالمون بماذا اجيبوا قلنا هذا جواب الدهشة والتحير حين
تطيش عقولهم من زفرة جهنم نعوذ بالله منها ومثله لا يفيد نفي العلم ولا اثباته
الثاني انهم قالوا ذلك تعريضا بالتشكي من قومهم واظهارا للالتجاء الى الله تع في الانتقام
منهم كانهم قالوا انت اعلم بما اجابونا به من التصديق والتكذيب الثالث معناه

معناه لا علم لنا بحقيقة ما اجابونا به لانا نعلم ظاهره وانت تعلم ظاهره ومضمره ويؤيده ما بعده
فان قيل اي معجزة لعيسى عليه في تكليم الناس كهلا حتى قال تكلم الناس في المهد وكهلا قلنا قد سبق
هذا السوال وجوابه في سورة آل عمران مستقصى فان قيل كيف قال الحواريون هل يستطيع ربك
ان ينزل علينا مائدة من السماء شكوا في قدرة الله تع على بعض الممكنات وذلك كفر ووصفوه
بالاستطاعة وذلك تشبيه لان الاستطاعة انما تكون بالجوارح والحواريون خلص اتباع عيسى
عليه السلام والمومنون به بدليل قوله تع حكاية عنهم قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون قلنا هذا
استفهام عن الفعل لا عن القدرة كما يقول الفقير للغني القادر هل تقدر ان تعطيني شيئا
وهذه تسمى استطاعة المطاوعة لا استطاعة القدرة فان قيل لو كان المراد هذا المعنى لما
انكر عليهم عيسى عليه بقوله تع اتقوا الله ان كنتم مومنين قلنا انكاره عليهم انما كان لانهم اتوا بلفظ
يحتمل المعنى الذي لا يليق بالمؤمن المخلص ارادته وان كانوا لم يريدوه فان قيل كيف قال
عيسى عليه ولا اعلم ما في نفسك وكل ذي نفس فهو ذو جسم لان النفس عبارة عن الجوهر القائم
بذاته المتعلق بالجسم تعلق التدبير والله تع منزه عن الجسم قلنا النفس تطلق على معنيين
احدهما هذا والثاني حقيقة الشي وذاته كما يقال نفس الذهب والفضة محبوبة اي ذاتهما والمراد
به في الآية ثانيا هذا المعنى فان قيل كيف قال عيسى عليه ما قلت لهم الا ما امرتني به الآية مع انه
قال لهم كثيرا من الكلام المباح غير الامر بالتوحيد قلنا معناه ما قلت لهم فيما يتعلق بالالهية
فان قيل اذا كان عيسى لم يمت وانما هو حي في السماء فكيف قال فلما توفيتني قلنا اراد بالتوفي
انتهاء مدة اقامته في الدنيا بينهم في الارض وتمامه قد سبق شرحه في قوله تع اذ قال الله يا عيسى

ومعنى انه ... لو كان ... [illegible]

اي ... [illegible]

اى متوقف السوال انما يتوجه على قول من قال ان السوال والجواب وجد يوم رفعه الى السماء واما من
قال ان السوال انما يكون يوم القيمة وعليه الجمهور فالجواب مطابق ولا اشكال فيه فان قيل لو قال عيسى
عليه ان تعذبهم فانك انت العزيز الحكيم وان تغفر لهم فانهم عبادك كان اظهر مناسبة فلما عكسه قال ان
تعذبهم فانهم عبادك وتصرف المالك المطلق المحتمل فى عبيده مباح اى تصرف كان وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الذى لا ينقص من عزته شئ بترك العقوبة ولا نعام ممن عصاه الحكيم فى كل
ما فعله من العذاب والمغفرة فان قيل كيف قال هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم يعنى يوم القيمة
والصدق نافع فى الدنيا والآخرة ولفظ الآية فى قوة الحصر قلنا لما كان نفع الصدق فى الآخرة
هو الفوز بالجنة والنجاة من النار ونفعه فى الدنيا دون ذلك كان كالعدم بالنسبة الى نفعه فى
الآخرة فلم يعتد به فى مقابلته فان قيل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ان اراد به صدقهم
فى الآخرة فالآخرة ليست بدار عمل وان اراد به صدقهم فى الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه
وهو الشهادة لعيسى عليه بالصدق فيما يجيب به يوم القيمة قلنا اراد به الصدق المستمر
بالصادقين فى دنياهم وآخرتهم وعن قتادة رضى الله عنه متكلمان صدقا يوم القيمة ينفع احدهما
صدقه دون الآخر احدهما ابليس قال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم الآية
فصدق يومئذ ولم ينفعه صدقه لانه كان كاذبا قبل ذلك والآخر عيسى عليه كان صادقا فى
الدنيا والآخرة فنفعه صدقه فان قيل فى السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب
العقلاء فقال ولله ملك السموات والارض ومن فيهن قلنا لان كلمة ما تتناول الاجناس
كلها تناولا عاما باصل الوضع ومن لا تتناول غير العقلاء باصل الوضع فكان استعمال ما فى هذا

فى هذا الموضع اولى فان قيل كيف جمع الظلمة وافرد النور فى قوله وجعل
الظلمات والنور قلنا ترك جمعه استغناء عنه بجمع الظلمة قبله فانه يدل عليه كما ترك جمع الارض
ايضا استغناء عنه بجمع السماء قبله فى قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض الثانى ان
الظلمة اسم والنور مصدر نقله المفضل والمصادر لا تجمع فان قيل ما فائدة قوله وجهركم
بعد قوله يعلم سركم ومعلوم ان من يعلم السر يعلم الجهر بالطريق الاولى قلنا انما ذكره للمقابلة كما
فى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فلا اثم عليه فى بعض الوجوه فان قيل كيف
خص السكون بالذكر دون الحركة فى قوله وله ما سكن فى الليل والنهار على قول من فسره بما يقابل
الحركة قلنا لان السكون اغلب الحالتين على كل مخلوق من الحيوان والجماد ولان الساكن من
المخلوقات اكثر عددا من المتحرك او لان كل متحرك يصير الى السكون من غير عكس او لان
السكون هو الاصل والحركة حادثة عليه وطارية وقيل فيه اضمار تقديره ما سكن وتحرك فاكتفى
باحدهما اختصار الدلالة على مقابله كما فى قوله سرابيل تقيكم الحر اى الحر والبرد فان قيل كيف
قال وهو يطعم ولا يطعم ولم يقل وهو ينفع ولا ينفع عليه وهذا اعم لتناوله الاطعام وغيره قلنا
لان الحاجة الى الرزق امس فخص بالذكر الثانى ان كون المعبود آكلا ومتغوطا اقبح من كونه
منتفعا عليه فلذلك ذكره فان قيل قوله قل اى شئ اكبر شهادة قل الله يقتضى ان يسمى الله شيئا ولو
صح ذلك لصح نداؤه به كالحى والعليم ونحوهما قلنا صحة ندائه مخصوصة بما دل على المدح وصفة
الكمال كالحى والسميع ونحوهما لا بكل ما يصح اطلاقه عليه الا ترى ان الموجود والثابت يصح اطلاقه
عليه سبحانه وتعالى ولا يصح نداؤه به كذا هذا فان قيل ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى لا يكفى فى صحة

فان قيل لم ذكر السماء بصيغة الجمع
والارض بصيغة الوحدان مع
الارضين ايضا كثيرة بدليل
ومن الارض مثلهن والجواب
ان السماء جارية مجرى الفاعل
والارض مجرى القابل فلو كان
السماء واحدة لتشابه الاثر
وذلك يخل بمصالح هذا العالم
اما لما كانت كثيرة اختلفت
الاتصالات الكوكبية فحصل
بسببها الفصول الاربعة
وساير الاحوال المختلفة وحصل
بسبب تلك الاختلافات
مصالح هذا العالم اما الارض
فهى قابلة للاثر والقابل الواحد
كاف فى القبول
من تفسير الكبير

دعواه ونبوته فاشرعا حتى لو قال المدعي الله شاهدي لا يكفيه فكيف صح ذكره من النبي صلعم حيث
قال قل الله شهيد بيني وبينكم قلنا انما لم يصح ذكره من غير النبي صلعم لانه لا يقدر على اقامة الدليل على
ان الله تعالى شهد له والنبي صلعم اقام الدليل على ذلك بقوله واوحي الي هذا القرآن لانه معجز فان قيل
في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين كيف يكذبون يوم القيمة بعد معاينة
حقايق الامور وقد بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور قلنا المبتلى يوم القيمة ينطق بما
ينفعه وبما يضره لعدم التمييز بسبب الحيرة والدهش كحال المسلم المعذب في الدنيا يكذب
على نفسه وعلى غيره ويتكلم بما يضره الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود فيها
وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها
فان قيل كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا قلنا للقيامة مواقف
مختلفة ففي بعضها لا يكتمون وفي بعضها يحلفون كاذبين كما قال تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين
عما كانوا يعملون وقال تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقيل ان حلفهم كاذبين
يكون قبل شهادة جوارحهم عليهم ولا يكتمون الله حديثا يكون بعد شهادتها عليهم فان قيل كيف قال
وللدار الآخرة خير للذين يتقون وهي خير لغير المتقين ايضا كالاطفال والمجانين قلنا انما
خصهم بالذكر لانهم الاصل فيها من حيث ان درجتهم اعلى وغيرهم تبع لهم فان قيل كيف قال لمحمد صلعم
فلا تكونن من الجاهلين فخاطبه باغلظ الخطابين وقال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من
الجاهلين فخاطبه بالين الخطابين مع ان محمدا صلعم اعظم رتبة واعلى منزلة قلنا لان
نوحا عليه السلام كان معذورا في جهله لانه تمسك بوعد الله تعالى في انجاء اهله وظن ان ابنه من

اهله ومحمد صلعم ما كان معذورا لانه كبر عليه كفرهم مع علمه ان كفرهم وايمانهم بمشية
الله وانهم لا يهتدون الا ان يهديهم الله فان قيل اذا بعث الله تعالى الموتى من قبورهم فقد رجعوا
اليه بالحيوة بعد الموت فما فائدة قوله تعالى والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون قلنا المراد به
وقوفهم بين يديه للحساب والجزاء وذلك غير البعث وهو احياؤهم بعد الموت فلا تكرار فيه
فان قيل قوله تعالى وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية لو صح من النبي صلعم
هذا الجواب لصح لكل من ادعى النبوة فطولب باية ان يقول ان الله قادر على ان ينزل آية قلنا
اذا ثبتت نبوته بما شاء الله من المعجزة صح له ان يقول ذلك بخلاف ما اذا لم تثبت نبوته والنبي صلعم
كان قد ثبتت نبوته بالقرآن وانشقاق القمر وغيرهما فان قيل ما فائدة قوله تعالى وما من دابة في الارض
والدابة لا تكون الا في الارض لان الدابة في اللغة اسم لما يدب على وجه الارض وما فائدة قوله تعالى
ولا طائر يطير بجناحيه والطائر لا يكون الا بجناح قلنا فيه فوايد الاولى التاكيد كقولهم هذه
نعجة انثى وقوله كلمته بلساني ومشيت اليه برجلي وكما قال الله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين
وقال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم الثانية نفي توهم المجاز فانه يقال طار فلان في امر كذا
اذا اسرع فيه وطار الفرس اذا اسرع الجري الثالثة زيادة التعميم والاحاطة كانه قال
جميع الدواب الدابة وجميع الطيور الطائرة فان قيل قوله تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله
او اتتكم الساعة الى ان قال فيكشف ما تدعون اليه ومن جملة ما ذكر الدعاء فيه عذاب
الساعة وهو لا يكشف عن المشركين قلنا لم يخبر عن الكشف مطلقا بل مقيدا بشرط المشية
وعذاب الساعة لو شاء كشفه عن المشركين لكشفه فان قيل قوله تعالى قل لا اقول لكم عندي

خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك كيف ذكر القول في الجملة الأولى والثالثة وقد لم ذكره في الجملة الثانية قلنا لما كان الإخبار بالغيب كثيرا ما يدعيه البشر كالكهنة والمنجمين وواضع الملاحم ثم إن كثيرا من الجهال يعتقدون صحة أقاويلهم ويعملون بمقتضى أخبارهم بالغ في سلبه عن نفسه بسلب حقيقته عنه بخلاف الألوهية والملكية فإن انتفائهما عنه وعن
أي بالغ النبي صلعم في سلب علم الغيب
غيره من البشر ظاهر فاكتفى في نفيهما بنفي القول إذ غاية الدعوى فيهما لا تتصور في نفس الأمر ولا في زعم الناس بخلاف علم الغيب فافترقا والمراد بقوله لا أقول لكم عندي خزائن الله أي لا أدعي الإلهية كذا قال بعض المفسرين فإن قيل قوله تعالى وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين كيف ذكر سبيل المجرمين ولم يذكر سبيل المؤمنين وكلاهما محتاج إلى بيانه قلنا لأنه إذا ظهر سبيل المجرمين ظهر سبيل المؤمنين أيضا بالضرورة إذ السبيل سبيلان لا غير الثاني أن سبيل المؤمنين مراد تقديرا وإنما حذف اقتصارا للدلالة المذكور عليه كما في قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أي والبرد فإن قيل كيف قال ويعلم ما جرحتم بالنهار أي ما كسبتم وهو يعلم ما جرحوا ليلا ونهارا قلنا لأن الكسب أكثر ما يكون بالنهار لأنه زمان حركة الإنسان والليل زمان سكونه لقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله بعد قوله تعالى من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه فإن قيل كيف قال ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق يعني جميع الخلائق وقال في موضع آخر وأن الكافرين لا مولى لهم قلنا المولى الأول بمعنى المالك أو الخالق أو المعبود والمولى الثاني بمعنى الناصر فلا تنافي بينهما فإن قيل كيف خص كون قوله الحق وله الملك بيوم القيامة فقال قوله الحق وله الملك يوم ينفخ

ينفخ في الصور مع أن قوله الحق في كل وقت وله الملك في كل زمان قلنا لأن ذلك اليوم ليس لغيره فيه ملك بوجه من الوجوه وفي الدنيا لغيره ملك خلافة منه أو هبة منه وإنعاما بدليل قوله تعالى في حق داود عليه وآتاه الله الملك والحكمة وقوله تعالى والله يؤتي ملكه من يشاء وقوله في ذلك اليوم هو الحق الذي لا يدفعه أحد من العباد ولا يشك فيه شاك من أهل العناد لانكشاف الغطاء فيه للكل وانقطاع الدعاوي والخصومات ونظيره قوله تعالى والأمر يومئذ لله وإن كان الأمر له في كل زمان وكذا قوله لمن الملك اليوم فإن قيل كيف قال في معرض الامتنان ووهبنا له إسحق ويعقوب ولم يذكر إسمعيل مع أنه كان هو الابن الأكبر قلنا لأن إسحق وهب له من حرة وإسمعيل من أمة وإسحق وهب له من عجوز عقيم فكانت المنة فيه أظهر فإن قيل كيف قال في وصف القرآن والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وكثير ممن يؤمن بالآخرة من اليهود والنصارى وغيرهم لا يؤمن به قلنا معناه والذين يؤمنون بالآخرة إيمانا نافعا مقبولا هم الذين يؤمنون به إما تصديقا به قبل إنزاله لما بشر به موسى وعيسى عليهما السلام أو اتباعا له بعد إنزاله والآخر كالكفار فإن من لم يصدق موسى وعيسى عليهما السلام في بشارتهما بمحمد والقرآن أو كان بعد بعثه ولم يؤمن به فإيمانه بالآخرة غير معتد به ولا معتبر فإن قيل كيف أفرد قوله أو قال أوحي إلي بالذكر بعد قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا وذلك أيضا افتراء قلنا لأن الأول عام والثاني خاص والمقصود الإنكار فيهما ولا يلزم من وجود العام وجود الخاص قلت في هذا الجواب مغالطة لأنه مسلم أنه لا يلزم من وجود العام وجود الخاص ولكنه يلزم من العدم

على العام وانكاره الذم على الخاص وانكاره لا محالة وما يجئ فيه من هذا القبيل فالجواب
المحقق ان يقال ان هذا الخاص لما كان مخصوصا بمزيد قبح من بين انواع الافتراء خصه
بالذكر تنبيها على مزيد العقاب فيه والاثم فان قيل في قوله تع بديع السموات والارض الآية
ما فائدة قوله تع خالق كل شئ بعد قوله وخلق كل شئ قلنا ذكره اولا استدلالا به على نفي
الولد ثم ذكره ثانيا توطئة وتمهيدا لقوله تع فاعبدوه فان كونه خالق كل شئ يقتضي تخصيصه
بالعبادة والطاعة فكانت الاعادة لفائدة جديدة فان قيل قوله تع لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار كيف خص الابصار بادراكه لها ولم يقل وهو يدرك كل شئ مع انه ابلغ بالتمدح قلنا
لوجهين احدهما مراعاة المقابلة اللفظية فانه نوع من البلاغة الثاني ان هذه الصفة خاصة بينه
وبين الابصار انه يدركها بمعنى الاحاطة بها وهي لا تدركه فاما غيره مما يدرك الابصار فهي تدركه
ايضا ولهذا اخصه بالذكر فان قيل كيف قال وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا ولم يقل وهو الذي
انزل الي مع ان الله تع قال وانزلنا اليك الذكر قلنا لما كان انزاله الى النبي صلعم ليبلغه الى الخلق
ويبينه لهم كان في الحقيقة منزلا اليهم لكن بواسطة النبي صلعم فصحت اضافة الانزال اليه واليهم فان قيل
في قوله تع فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين كيف علق الكون من المؤمنين باكل
الذبيحة المسمى عليها والكون من المؤمنين حاصل وان لم توكل الذبيحة اصلا قلنا المراد اعتقاد
الحل لا نفس الاكل فان بعض من كان يعتقد حل الميتة من العرب كان يعتقد حرمة
الذبيحة فان قيل كيف ابهم فاعل التزيين هنا فقال كذلك زين للكافرين ما كانوا
يعملون وقال في آية اخرى زينا لهم اعمالهم وقال في آية اخرى وزين لهم الشيطان اعمالهم

اعمالهم فمن هو مزين الاعمال للكفار في الحقيقة قلنا التزيين من الشيطان بالاغواء والاضلال
والوسوسة وايراد الشبه ومن الله تع بخلق جميع ذلك فصحت الاضافتان فان قيل كيف قال
يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم والرسل انما كانت من الانس خاصة قلنا المراد برسل
الجن هم الذين سمعوا القرآن من النبي صلعم ثم ولوا الى قومهم منذرين كما قال الله تع واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية الثاني انه كقوله تع يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
والمراد منه احدهما لانه انما يخرج من الملح الثالث انه بعث اليهم رسولا منهم قاله الضحاك
ومقاتل فان قيل كيف كرر ذكر شهادتهم على انفسهم في قوله تع يا معشر الجن والانس الآية والمعنى
فيهما واحد قلنا المعنى والمشهود به متعدد وان كان في الشهادة واحدا لانه في الاولى شهدوا
على انفسهم بتبليغ الرسل وانذارهم وفي الثانية شهدوا على انفسهم بالكفر في الدنيا وهما متغايران
فان قيل كيف اقروا في هذه الآية بالكفر وشهدوا على انفسهم به وجحدوه في قوله تع والله
ربنا ما كنا مشركين قلنا مواقف القيمة ومواطنها مختلفة ففي بعضها يقرون وفي
بعضها يجحدون او يكون المراد هنا شهادة اعضائهم عليهم حين يختم على افواههم كما
قال الله تع اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم فان قيل ما فائدة قوله تع
سفها بغير علم والسفه لا يكون الا عن جهل قلنا معنى قوله تع بغير علم بغير حجة وقيل بغير
علم بمقدار قبحه ومقدار العقوبة فيه وعلى الوجهين لا يكون مستفادا من
الاول فان قيل ما فائدة قوله تع وما كانوا مهتدين بعد قوله تع قد ضلوا قلنا فائدته
الاعلام بانهم بعد ما ضلوا لم يهتدوا مرة اخرى فان من الناس من يضل ثم يهتدي

بعد ضلاله فان قيل ما فائدة قوله تعالى اذا اثمر بعد قوله كلوا من ثمره ومعلوم انه انما يؤكل
من ثمره اذا اثمر قلنا فائدته نفي توهم توقف الاباحة على الادراك والنضج بدلالته على
الاباحة من اول اخراج الثمر فان قيل كيف قال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الآية
وفي القرآن تحريم اكل الربوا ومال اليتيم ومال الغير بالباطل وغير ذلك قلنا نعني محرما
ما كانوا يحرمونه في الجاهلية وقيل ما كانوا يستحلونه فيها فان قيل كيف قال فان كذبوك
فقل ربكم ذو رحمة واسعة والموضع موضع العقوبة فكان يحسن ان يقال فيه ذو عقوبة
شديدة او عظيمة ونحو ذلك قلنا انما قال ذلك نفيا للاغترار بسعة رحمته في الاجتراء
على معصيته وذلك ابلغ في التهديد معناه لا تغتروا بسعة رحمته فان مع ذلك لا يرد
عذابه عنكم وقيل معناه فقل ربكم ذو رحمة واسعة للمطيعين ولا يرد عذابه عن
العاصين فان قيل كيف قال قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم فسره بعشرة احكام خمسة
منها واجبة والتلاوة وصف اللفظ للمعنى كيلا يقال اضدادها محرمة قلنا قوله تعالى اتل ما حرم
ربكم عليكم لا ينفي تلاوة غيره فقد تلا ما حرم وتلا غيره ايضا الثاني ان فيه اضمارا تقديره اتل
ما حرم ربكم عليكم وما اوجب فان قيل كيف خص مال اليتيم بالنهي عن قربانه بغير الاحسن
ومال البالغ ايضا كذلك قلنا انما خصه بالنهي لان طمع الطامعين فيه اكثر لضعف مالكه
وعجزه وقلة الحافظين له والناصرين بخلاف مال البالغ الثاني ان التخصيص لمجموع الحكمين
وهما النهي عن قربانه بغير الاحسن ووجوب قربانه بالاحسن او جواز قربانه بالاحسن
بغير اذن مالكه ومجموع الحكمين مخصوص بمال اليتيم وهذا هو الجواب عن كونه مغيّا

مغيّا ببلوغ الاشد لان المجموع ينتفي ببلوغ الاشد لانتفاء الحكم الثاني وقيل ان الغاية
لمحذوف تقديره حتى يبلغ فسلموه اليه فان قيل كيف خص العدل بالقول فقال واذا قلتم فاعدلوا
ولم يقل واذا فعلتم فاعدلوا والحاجة الى العدل في الفعل امس لان الضرر الناشئ من
الجور الفعلي اقوى من الضرر الناشئ من الجور القولي قلنا انما خصه بالقول ليعلم
وجوب العدل في الفعل بالطريق الاولى كما قال تعالى ولا تقل لهما اف ولم يقل ولا تشتمهما ولا
تضربهما قلنا فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وبين قوله تعالى وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين
يضلونهم بغير علم وقد جاء في الحديث المشهور فعليه وزرها ووزر من عمل بها قلنا
المراد بالآية الاولى وزر لا يكون مضافا اليها بمباشرة او تسبيب ليتحقق اضافته الى غيرها
على الكمال اما اذا لم يكن كذلك فهو وزرها من وجه فتحمله وقيل معناه لا تزره طوعا
كما زعم المشركون بقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى ديننا ونحن كفلاء بما يلحقك من
تبعة في دينك وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم الى قوله
بما كانوا يفترون ومعنى باقي النصوص انما تحمله كرها فلا تنافي بينهما
فان قيل النهي في قوله تعالى فلا يكن في صدرك حرج منه متوجه الى الحرج فما وجهه قلنا
هو من باب قولهم لا ارينك ههنا معناه لا تقم ههنا فاراك انا فمعنى الآية
فكن على يقين منه ولا تشك فيه لان المراد بالحرج الشك فان قيل كيف قال اهلكناها
فجاءها بأسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء البأس وهو العذاب قلنا معناه اردنا

اهلا لها كقوله تع فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله فان قيل ميزان القيمة واحد فكيف قال
فمن ثقلت موازينه ومن خفت موازينه قلنا انما جمعه لانه اراد بالميزان الموزونات
من الاعمال وقيل انما جمعه لان ميزان يقوم مقام موازين وقيل فايدته لانه توزن
به ذوات الاعمال وما كان منها في عظم الجبال فان قيل كيف توزن الاعمال وهي اعراض لا
ثقل لها ولا جسم والوزن من خواص الاجسام قلنا الموزون صحايف الاعمال الثاني
انه قد ورد ان الله تع يجعلها في جواهر واجسام فتصور اعمال المطيعين في صور
حسنة واعمال العاصين في صور قبيحة ثم تزنها والله تع على كل شيء قدير فان قيل كيف
قال تع ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وكلمة ثم للترتيب وخطاب
الملائكة بالسجود سابق على خلقنا وتصويرنا قلنا المراد ولقد خلقنا آباكم ثم صورناه
بطريق حذف المضاف وقيل المراد ولقد خلقنا آباكم ثم صورناكم في ظهره والقول الاول
اظهر فان قيل كيف قال تع لابليس فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها اي في السماء
وليس له ولا لغيره ان يتكبر في الارض ايضا قلنا لما كانت السماء مقر الملائكة المطيعين
الذين لا يوجد منهم معصية اصلا كان وجود المعصية بينهم اقبح فلذلك خص مقرها
ليفسد احوال عباد الله ويغويهم مقرهم بالذكر فان قيل كيف اجيب ابليس
الى الانظار وانما طلب الانظار ليفسد احوال عباد الله ويغويهم قلنا لما في ذلك
من ابتلاء العباد ولما في مخالفته من عظم الثواب ونظيره ذلك ما خلقه الله تع
في الدنيا من اصناف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركبه في الانفس
لذة

في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده فان قيل كيف قال فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري
عنهما من سوآتهما ولم يكن غرضه من الوسوسة كشف عورتهما بل اخراجهما من الجنة ويؤيده قوله
تعالى في سورة البقرة فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه قلنا اللام في قوله تع ليبدي لام
العاقبة والصيرورة لا لام كي كما في قوله تع فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقول
الشاعر لدوا للموت وابنوا للخراب فان قيل اي آية لله تعالى في اللباس والكسوة
حتى قال في آية اللباس والكسوة ذلك من آيات الله قلنا معناه ان خلق اللباس
والكسوة للانسان خاصة علامة من العلامات الدالة على ان الله تع فضله على ساير الحيوان
وقيل معناه ذلك من انعم الله فان قيل كيف قال ينزع عنهما لباسهما والنازع
لباسهما هو الله تع قلنا لما كان ذلك بسبب وسوسته واغوائه اضيف النزع اليه
كما قال اشبعني الطعام واروتني الشراب والمشبع والمروي في الحقيقة انما هو الله تعالى
وهما سبب فان قيل كيف قال كما بدأكم تعودون وهو بدأنا اولا نطفة ثم علقة ثم
مضغة ثم عظاما ثم لحما كما ذكر ونحن لا نعود عند الموت ولا عند البعث بعد الموت
على ذلك الترتيب قلنا معناه كما بدأكم اولا من تراب كذلك تعودون ترابا وقيل معناه
كما اوجدكم اولا بعد العدم كذلك يعيدكم بعد العدم فالتشبيه في نفس الاحياء و
الخلق لا في الكيفية والترتيب وقيل معناه كما بدأكم سعداء واشقياء كذلك تعودون
ويؤيده تمام الآية وقيل معناه كما بدأكم لا تملكون شيئا كذلك تعودون كما قال تع ولقد
جئتمونا فرادى الآية فان قيل كيف قال مخبرا عن الزينة والطيبات من الرزق قل

هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا الواقع المشاهد انها لغير الذين امنوا اكثر واوفر
قلنا فيه اضمار تقديره قل هي للذين آمنوا غير خالصة في الحيوة الدنيا لان المشركين شاركوهم
فيها خالصة للمؤمنين في الآخرة فان قيل كيف قال ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما
كنتم تعملون والميراث عبارة عما ينتقل من ميت الى حي قلنا لما شبه اهل الجنة
واهل النار بالوارث والموروث عنه وذلك ان الله تع خلق في الجنة منازل للكفار على تقدير
الايمان فمن لم يؤمن منهم جعل منزله لاهل الجنة الثاني ان نفس دخول الجنة بفضل الله
ورحمته من غير عوض فاشبه الميراث وان كانت الدرجات فيها بحسب الاعمال
فان قيل كيف قال الا له الخلق والامر اما الخلق بمعنى الايجاد والاحداث فظاهر
انه مختص به سبحانه وتع واما الامر فلغيره ايضا بدليل قوله تع يأمرون بالمعروف وقوله
تعالى وأمر بالمعروف وقوله تع وأمر اهلك بالصلوة قلنا المراد بالامر هنا كلمة كن
عند خلق الاشياء وهذا الامر الذي به الخلق مختص به كالخلق الثاني ان
المراد بالخلق والامر ما سبق ذكرهما في صدر الآية وهو خلق السموات والارض
وامر تسخير الشمس والقمر والنجوم كما ذكر وذلك مختص به عز وجل فان قيل لم قال
نوح ليس بي ضلالة بالتاء ولم يقل ليس بي ضلال كما وصف قومه به وذلك اشد مناسبة
ليكون نافيا عين ما اثبتوه قلنا الضلالة اقل من الضلال فكان نفيها ابلغ في نفي الضلال
عنه كانه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل الك تمر فقلت مالي تمرة كان ذلك ابلغ
في النفي من قولك مالي تمر فان قيل كيف وصف الملأ بالذين كفروا في قصة هود دون

دون قصة نوح قلنا لانه كان في اشراف قوم هود من آمن به منهم عند هذا القول فلم يكن
كل الملأ من قومه قائلين له انا لنريك في سفاهة بخلاف قوم نوح فانه لم يكن فيهم من
آمن به عند قولهم انا لنريك في ضلال مبين فكان كل الملأ قائلين ذلك هكذا اجاب
بعض العلماء وهذا الجواب منقوض بقوله تع في سورة هود في قصة نوح فقال الملأ
الذين كفروا من قومه في سورة المؤمنين وجواب هذا النقض انه يجوز ان القول
كان مرتين المرة الثانية بعد ايمان بعضهم فان قيل كيف قال صالح لقومه بعدما اخذتهم
الرجفة وماتوا يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
ولا يحسن من الحي مخاطبة الميت لعدم الفائدة قلنا هذا مستعمل في العرف فان
من نصح انسانا فلم يقبل منه حتى قتل او ضرب ومر به ناصحه فانه يقول له كم نصحتك
يا اخي فلم تقبل حتى اصابك هذا وفائدة هذا القول حث السامعين له على قبول
النصيحة ممن ينصحهم لئلا يصيبهم ما اصاب المنصوح الذي لم يقبل النصيحة حتى هلك
فان قيل لم قال شعيب عم لقومه ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وهم ما زالوا
كافرين مفسدين لا مصلحين قلنا معناه بعد ان اصلحها الله تع بالامر بالعدل وارسال
الرسل وقيل معناه بعد ان اصلح الله تع اهلها بحذف المضاف وقيل معناه بعد الاصلاح
فيها اي بعد ما صلح فيها الصالحون من الانبياء واتباعهم العاملين بشرايعهم فاضافه
كاضافة قوله تع بل مكر الليل والنهار يعني بل مكرهم في الليل والنهار فان قيل كيف خاطبوا
شعيبا عم بالعود في الكفر بقولهم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من

قرينا او لتعودن في ملتنا وهو اجابهم بقوله تعالى ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو لم
يكن في ملتهم قط لان الانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم شيء من الكبائر خصوصا الكفر قلنا العرب
تستعمل عاد بمعنى صار ابتداء ومنه قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم الثاني انهم قالوا ذلك
على طريق تغليب الجماعة على الواحد لانهم عطفوا على ضمير الذين امنوا منهم بعد كفرهم فجعلوهم
عائدين جميعا اجراء الكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب عليه السلام جوابه ومراده
عود قومه المعطوفين عليه فان قيل لم قال فرعون فأت بها بعد قوله ان كنت جئت بآية
قلنا معناه ان كنت جئت من عند الله تعالى بآية فأتني بها اي احضرها عندي فان قيل كيف
قال هنا قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم وقال في سورة الشعراء قال للملأ
حوله ان هذا لساحر عليم فنسب هذا القول الى فرعون قلنا قاله هو وقالوه هم فحكى قوله
ثَم وقولهم هنا فان قيل السحرة انما سجدوا لله طوعا لما تحققوا معجزة موسى عليه السلام فكيف قال
وأُلقي السحرة ساجدين قلنا لما زالت كل شبهة لهم بما عاينوا من آيات الله تعالى على يد نبيه عليه السلام
اضطرهم ذلك الى مبادرة السجود فصاروا من غاية المبادرة كانهم أُلقوا للسجود تلقيا
لله تعالى ولرسوله فان قيل كيف قال الله تعالى هنا حكاية عن السحرة الذين آمنوا وعن فرعون
قالوا آمنا برب العالمين الى قوله تعالى وتوفنا مسلمين ثم حكى عنهم هذا المعنى في سورة طه
وسورة الشعراء بزيادة ونقصان في الالفاظ المنسوبة اليهم وهذه الواقعة ما وقعت الا
مرة واحدة فكيف اختلفت عباراتهم فيها قلنا الجواب عنه انهم انما تكلموا بذلك بلغتهم
لا بلغة العربية وحكى الله تعالى ذلك عنهم باللغة العربية مرارا لحكمة اقتضت التكرار

التكرار والاعادة نبينها في سورة الشعراء ان شاء الله تعالى ثم من حكاه مطابقا للفظهم في الترجمة
رعاية للفظ ومنهم من ذكر حكاه بالمعنى جريا على عادة العرب في التفنن في الكلام والمخالفة
بين اساليبه لئلا يُمل اذا تمحض تكراره فان قيل كيف قالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها
سمّوها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلنا ما سمّوها آية لاعتقادهم انها آية بل حكاية لتسمية موسى
عليه السلام على طريق الاستهزاء والسخرية فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى ودمرنا ما كان يصنع
فرعون وقومه وما كانوا يعرشون اي اهلكنا وقوله تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون
وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل قلنا معناه ودمرنا اي ابطلنا ما كان يصنع
فرعون وقومه من المكر والكيد في حق موسى عليه السلام وما كانوا يعرشون اي يبنون من الصرح
الذي امر فرعون هامان ببنائه ليصعد بواسطته الى السماء لان التدمير يكون بمعنى
الاهلاك ويكون بمعنى الابطال وقيل هو على ظاهره لان الله تعالى اورث ذكر بني اسرائيل
مدة ثم دمر جميعه فان قيل قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قوله تعالى وفي ذلكم ان كان
اشارة الى الانجاء فليس فيه بلاء بل هو محض نعمة وان كان اشارة الى القتل والأسر
فاضافته الى آل فرعون بقوله تعالى وفي ذلكم بلاء من آل فرعون عظيم اشدّ مناسبة لسياق
الآية وهو الامتنان ولهذا قال يقتلون ويستحيون فاضاف اليهم الفعلين قلنا
البلاء مشترك بين النعمة والمحنة لانه من الابتلاء وهو الاختبار يقال بلاه وابتلاه اي
اختبره والله تعالى يختبر شكر عباده بالنعم ويختبر صبرهم بالمحنة بوتره قوله

تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فمعنى الآية وفى
ذلكم الانجاء نعمة عظيمة من ربكم عليكم فان قيل قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها
بعشر المواعدة كانت امرا بالصوم فى هذا العدد فكيف ذكر الليالى مع انها ليست محلا
للصوم بل يقع فى القلب ان ذكر الايام اولى لانها محل الصوم الذى وقعت به المواعدة
قلنا العرب فى اغلب تواريخها انما تذكر الليالى وان كان مرادها الايام لان الليل هو الاصل فى
الزمان والنهار عارض لان الظلمة سابقة فى الوجود على النور وقيل انه كان فى شريعة موسى
عليه السلام جواز صوم الليل فما فائدة قوله تعالى فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقد علم مجموع الميقات
من قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر قلنا فيه فوائد احدها التاكيد
الثانية ان نعلم ان العشر ليال لا ساعات الثالثة ان لا نتوهم ان العشر التى وقع بها
الاتمام كانت داخلة فى الثلاثين يعنى كانت عشرين واتممت بعشر كما فى قوله تعالى و
بارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام على ما ذكرناه مشروحا فى سورة حم السجدة
فان قيل لم قال موسى عليه السلام وانا اول المؤمنين وقد كانت قبله كثير من المؤمنين وهم
الانبياء ومن آمن بهم قلنا معناه وانا اول المؤمنين بانك لا ترى بالحاسة الفانية
من الجسد الفانى فى دار الفناء وقيل معناه وانا اول المؤمنين من بنى اسرائيل فى
زمانى وقيل اراد بالاول الاقوى والاكمل فى الايمان يعنى لم يكن طلبى للرؤية لشك
عندى فى وجودك او لضعف فى ايمانى بل لطلب مزيد الكرامة فان قيل كيف قال
وأمر قومك يأخذوا باحسنها وهم مامورون بالعمل بكل ما فى التورية قلنا معناه

معناه بحسنها وكلها حسن الثانى انهم أمروا فيها بالخير ونهوا عن الشر ففعل الخير احسن
من ترك الشر الثالث ان فيها حسنا واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر والواجب
والمندوب والمباح فامروا بالاخذ بالعزائم والفضائل وما هو اكثر ثوابا فان قيل كيف قال
واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار واتخاذ العجل انما كان فى زمن موسى
عليه السلام وفى سياق الآيات ما دل على ذلك قلنا معناه من بعد ذهابه الى الجبل وقيل من
بعد عهده عليهم ان لا يعبدوا غير الله فان قيل كيف عبر عن الندم بالسقوط فى اليد فى قوله
تعالى ولما سقط فى ايديهم واى مناسبة بينهما قلنا لان من عادة من اشتد ندمه وحسرته
على فائت ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط
مسند الى قوله تعالى فى ايديهم وهو من كنايات العرب كقولهم للنادم ضرب على اذنه فان
قيل كيف قال غضبان اسفا وهما مترادفان فى المعنى قلنا الاسف الحزين وقيل الشديد
الغضب فيفيد فائدة جديدة فان قيل كيف قال اخذ الالواح وفى نسختها ولم يقل وفيها وانما
تعالى نسختها التى كتب منه ثم نقل فاما اول مكتوب لا يسمى نسخة والالواح لم تنقل
من مكتوب آخر قلنا لما القى الالواح قيل انه انكسر منها لوحان فنسخ ما فيهما فى لوح
ذهب وكان فيها الهدى والرحمة وفى باقى الالواح تفصيل كل شئ وقيل انما قال وفى نسختها
لان الله تعالى لقن موسى عليه السلام التورية ثم امره بكتابتها فنقلها من صدره الى الالواح
فسماها نسخة فان قيل كيف قال واتبعوا النور الذى انزل معه يعنى القرآن والقرآن
انما انزل مع جبرئيل على النبى صلى الله عليه وسلم لا مع النبى قلنا معناه اى مقارنا بزمانه وقيل معه اى

عليه وقيل معه اى اليه ويجوز ان يتعلق معه باتبعوا لا بانزل معناه واتبعوا القرآن
المنزل مع اتباع النبي صلى الله عليه وسلم والعمل بسنته او واتبعوا القرآن كما اتبعه هو
مصاحبين له في اتباعه فان قيل كيف قال هنا فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم
وهم انما بدلوا القول الذي قيل لهم لانه قيل لهم قولوا حطة فقالوا حنطة قلنا قد سبق هذا
السؤال وجوابه في سورة البقرة فان قيل كيف قال قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وانما لهم من
صيرهم الى صورة القردة ليس في قدرتهم قلنا قد سبق هذا السؤال وجوابه في سورة
البقرة فان قيل الحليم من صفات الله تعالى فكيف قال ان ربك لسريع العقاب وسرعة العقاب
تنافي صفة الحلم لان الحليم هو الذي لا يعجل بالعقوبة على العصاة قلنا معناه شديد العقاب
وقيل معناه سريع العقاب اذا جاء وقت عقابه لا يرده عنه احد فان قيل التمسك بالكتاب
يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلوة فكيف قال والذين يمسكون بالكتاب واقاموا
الصلوة قلنا انما خصها بالذكر اظهارا لمزيتها لكونها عماد الدين وناهية عن
الفحشاء والمنكر بالآية فان قيل قوله تعالى فمثله كمثل الكلب تمثيل لحال بلعام فكيف قال بعده ساء
مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا والمثل لم يضرب الا لواحد قلنا المثل في الصورة وان
ضرب لبلعام ولكن اريد به كفار مكة كلهم لانهم صنعوا مع النبي صلعم بسبب ميلهم الى
الدنيا وشهواتها من الكيد والمكر ما يشبه فعل بلعام مع موسى عليه السلام الثاني ان ساء مثلا
القوم راجع الى قوله تعالى ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا الى اول الآية فان قيل كيف
قال ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون وهو عليه السلام كان نذيرا وبشيرا للناس كافة كما قال

كما قال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا قلنا المراد بقوله تعالى لقوم يؤمنون لقوم
كتب لهم في الازل انهم يؤمنون وانما خصهم بالذكر لانهم هم المنتفعون بالانذار والبشارة دون
غيرهم فكانه نذير وبشير لهم خاصة كما قال انما انت منذر من يخشاها ويجوز ان يكون متعلق النذير
محذوفا تقديره ان انا الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون فاستغنى بذكر احدهما عن
الآخر كما استغنى بالجملة عن التفصيل في تلك الآية لان المعنى وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين فان قيل كيف قال الله تعالى حكاية عن آدم وحواء جعلا
له شركاء فيما آتاهما وقال تعالى فتعالى الله عما يشركون والانبياء معصومون عن مطلق
الكبائر فضلا عن الشرك الذي هو اكبر الكبائر قلنا المراد بقوله تعالى جعلا له اى جعل
اولادهما بطريق حذف المضاف وكذا قوله تعالى فيما آتاهما اى فيما آتى اولادهما ويؤيد هذا
قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون حيث ذكر ضمير الجمع ولم يقل عما يشركان ومعنى اشراك
اولادهما فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس
ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وقيل الضمير في جعلا للولد
الصالح وهو السليم الخلق وانما قال جعلا لان حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى
وقيل المراد بذلك تسميتهما اياه عبد الحارث والحارث كان اسم ابليس في الملائكة وسبب
تلك التسمية يعرف من تفسير الآية وانما قال شركاء اقامة للواحد مقام الجمع ولم
يذهب آدم وحواء الى ان الحارث ربه بل قصدا انه كان سبب نجاته وقال جماعة
المفسرين قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون في مشركي العرب خاصة وهو منقطع عن قصة آدم

وجواب   فان قيل ما معنى قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت

قلوبهم الى آخر الآيتين يدل على انه من لم يتصف بجميع تلك الصفات لا يكون مؤمنا لان كلمة

انما للحصر قلنا فيه اضمار تقديره انما المؤمنون ايمانا كاملا او انما الكاملوا الايمان كما يقال

الرجل من يصبر على الشدايد يعني الرجل الكامل فان قيل قوله تعالى اولئك هم المؤمنون حقا

ينفي ارادة ما ذكرتم قلنا معناه اولئك هم المؤمنون ايمانا كاملا حقا وقيل ان حقا متعلق

بما بعده لا بما قبله والمؤمنون تمام الكلام فان قيل كيف قال تعالى ان الايمان لا يقبل الزيادة

والنقصان وقد قال الله تعالى واذا تليت عليهم آياته قلنا المراد بالايمان هنا آثار الايمان

من الطمانينة والخوف والخشية ونحو ذلك لان تظاهر الادلة على المدلول مما يزيده

رسوخا في العقايد وثبوتا فاما حقيقة الايمان فهو التصديق والاقرار بوحدانية

الله تعالى وكما ان الالهية والوحدانية لا يقبل الزيادة والنقصان فكذا الاقرار بها

فان قيل قوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق تشبيه فاين المشبه والمشبه به

قلنا معناه امض على ما رايته صوابا من تنفيل الغزاة في قسمة الغنائم وان كرهوا

كما مضيت في خروجك من بيتك بالحق وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله واصلحوا

ذات بينكم فهو خير لكم وان كرهتم كما كان اخراجك من بيتك بالحق خيرا لهم وهم كارهون

وقيل معناه اولئك هم المؤمنون حقا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق فان قيل كيف قال

ليحق الحق ويبطل الباطل وكلاهما متعذر لانه تحصيل الحاصل قلنا المراد بالحق الايمان

وبالباطل الشرك فاندفع السؤال فان قيل ما فائدة التكرار في قوله تعالى ويريد الله ان يحق

ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق قلنا انما ذكره اولا للبيان ان اراده كانت

متعلقة باختيار الطايفة التي كانت فيها الغنيمة وارادة الله تعالى باختيار الطايفة التي كانت

فيها الغنيمة وارادة الله تعالى باختيار الطايفة التي في قهرها نصرة الدين فذكره اولا

للتمييز بين الارادتين ثم ذكره ثانيا لبيان الحكمة في قطع دابر الكافرين فان قيل

كيف قال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ونعلم ان

المؤمنين يوم بدر قتلوا الكفار ورماهم النبي صلى الله عليه وسلم بكف من حصى الوادي

في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا وقع في عينيه شيء من ذلك فشغلوا

بعيونهم وانهزموا فتبعهم المؤمنون يقتلون ويأسرون قلنا لما كان السبب الاقوى

في قتلهم انما هو امداد الملائكة والقاء الرعب في قلوب الكافرين وتثبيت قلوب المؤمنين

واقدامهم وذلك كله فعل الله تعالى نفى الفعل عنهم ونسبه اليه يعني ان كان ذلك في الصورة

منكم فهو في الحقيقة مني فسبيلكم الشكر دون العجب والفخر وكذا الرمية اثبتها للرسول

صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يوجد مثله

عن رمي البشر فعل الله تعالى ونظير هذا قولك لمن تقلد عنه قول حسن او فعل مكروه

بتسليط منك هو اعلى رتبة منه هذا ليس قولك ولا فعلك وقيل معنى قوله تعالى وما

رميت اذ رميت وما رميت الرعب في قلوبهم اذ رميت الحصا في وجوههم ولكن

الله رمى الرعب في قلوبهم ولاهل الحقيقة في هذه الآية وفي نظايرها من الكتاب والسنة

مباحث لا يحتملها هذا المختصر وهي مستقصاة في كتب التصوف فان قيل كيف

قال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه ثنّى في الامر ثم افرد في النهي قلنا
كان ذكر في لغة العرب الاسم المفرد ويراد به الاثنان والجمع فكذا ذكر يذكر ضمير المفرد ويراد
به ضمير الاثنين كقطع انعام فلان ومعروفه نعشني والانعام والمعروف لا ينفع مع فلان
وعلى هذا جاء قوله والله ورسوله احق ان يرضوه اي يرضوهما فكذا هنا بمعناه ولا تولوا عنهما
الثاني ان طاعة الله وطاعة رسوله لما كانت شيئا واحدا جعل لقوله من يطع الرسول فقد اطاع
الله وقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله كان الاعراض عن الرسول اعراضا
عن الله مع ما تقتضي بذكر الثالث ان معناه ولا تولوا عن هذا الامر وعن امثاله فالضمير
للامر لا للرسول صلى الله عليه وسلم الرابع انه انما قيل ولا تولوا عنهما لما يلزم منه الاخلال
بالادب من النبي صلعم عند نهيه للكفار في قرانه بين اسمه واسم الله في ذكرهما بلفظ
واحد من غير تقديم اسم الله كما روي ان خطيبا خطب فقال من اطاع الله ورسوله فقد
رشد ومن عصاهما فقد غوى فقال له النبي صلعم بئس خطيب القوم انت هلا قلت
ومن عصى الله ورسوله فقد غوى فان قيل ما معنى قوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم
الآية قلنا معناه ولو علم الله فيهم تصديقا وايمانا في المستقبل لانطق لهم الموتى يشهدون
بصدق نبوتك كما طلبوا وقيل معنى لاسمعهم لرزقهم الفهم والبصيرة ولو اسمعهم وحالهم
هذه الحال وهو انه لم يعلم فيهم الخير فان قيل لتولوا وهم معرضون قلنا معناه لتولوا
عن الايمان وهم معرضون عن البرهان فلا تكرار فان قيل فما فائدة ذكر السماء في قوله
فامطر علينا حجارة من السماء والمطر انما يكون من السماء قلنا المطر المطلق انما يكون من

لتولوا وهم معرضون

السماء ولكن المطر المضاف هنا وهو مطر الحجارة قد يكون من رؤوس الجبال ومن
حيطان المنازل والقصور وسقوفها فكان ذكر السماء مفيدا لان الحجارة اذا نزلت من السماء
كانت اشد نكاية واكثر ضررا الثاني انه لما كانت الحجارة المسومة للعذاب وهي السجيل معلومة
النزول من السماء ذكر السماء اشارة الى ارادة المعهود من الحجارة كانه قال فامطر علينا حجارة من
سجيل فوضع قوله من السماء موضع قوله من سجيل كما تقول صببت عليه مسرودة من حديد يعني
درعا فان قيل كيف قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ويوم بدر عذبهم الله بالقتل والاسر
وهو فيهم قلنا معناه وانت مقيم بمكة وكان كذلك لان النبي صلعم ما دام بمكة لم يعذبوا فلما اخرجوه
من مكة وحضروا الحرب به عذبوا وقيل معناه وما كان الله ليعذبهم عذاب الاستيصال وانت فيهم
وقيل معناه وما كان الله ليعذبهم العذاب الذي طلبوه وهو امطار الحجارة فان قيل كيف قال اولا
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الآية ثم قال وما لهم الا يعذبهم الله وهو يوهم التناقض قلنا
معناه وما لهم الا يعذبهم بعد خروجك من بينهم وخروج المؤمنين المستغفرين وقيل
المراد بالعذاب الاول عذاب الاستيصال وبالثاني عذاب الآخرة فان قيل كيف قال وما كان
صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية والمكاء الصفير والتصدية التصفيق وهما ليسا
بصلوة قلنا معناه انهم اقاموا المكاء والتصدية مقام الصلوة كما يقول القائل زرت فلانا
فجعل الجفاء صلتي اي اقام الجفاء مقام الصلة ومنه قول الفرزدق اخاف زيادا
ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة سمرا اراد بالاداهم القيود
وبالمحدرجة السياط ووضعها موضع العطاء فان قيل كيف قال قل للذين كفروا

اسم رجل

ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا اوهم لم ينتهوا عن الكفر فكيف قال وان يعودوا
والعود الى الشيء انما يكون بعد تركه والاقلاع عنه قلنا معناه ان ينتهوا عن عداوة رسول
الله صلعم ومحاربته يغفر لهم ما قد سلف من ذلك وان يعودوا الى قتاله وعداوته فقد مضت
سنة الاولين تجبروا على انبيائهم من الامم الماضية وقيل معناه ان ينتهوا عن الكفر بالايمان
يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي كما قال النبي صلعم الاسلام يجب ما قبله وان يعودوا الى
الكفر بالارتداد بعدما اسلموا فقد مضت سنة الاولين من الامم في اخذهم بعذاب
الاستيصال فان قيل الفائدة في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهرة وهي زوال
الرعب من قلوب المؤمنين وتثبيت اقدامهم وزيادة اجترائهم على القتال فما فائدة تقليل
المؤمنين في اعين الكفار حتى قال ويقللكم في اعينهم مع ان في ذلك زوال الرعب من قلوب
الكافرين وتثبيت اقدامهم وزيادة اجترائهم على القتال قلنا فائدته ان لا يستعد الكفار
كل الاستعداد وان يجترئوا على المؤمنين معتمدين على قلتهم ثم تفجؤهم الكثرة فيدهشوا
ويتحيروا وان يكون ذلك سببا يتنبه به المشركون على نصر الحق اذا راوا المؤمنين
مع قلتهم في اعينهم منصورين عليهم وفي التعليل من الطرفين معارضة تعرف بالتامل
فان قيل قوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم يدل على حرمة المنازعة والجدال
ايضا لانه منازعة فكيف تجوز المناظرة وهي منازعة وجدال قلنا المراد بالمنازعة
هنا المنازعة في امر الحرب والاختلاف فيه لا المنازعة في اظهار الحق بالحجة
والبرهان والدليل عليه ذكر مامور به قال الله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن لكن لجواز
ان ع

منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او قد مضت سنة الاولين ح

لجواز المناظرة شروط تندر وجودها في زماننا هذا احدها ان يكون كل القصد منهما
ظهور الحق على لسان اي الخصمين كان كما كانت مناظرة السلف وعلامة ذلك انه لا يفرح
بظهور الحق على لسانه اكثر مما يفرح بظهوره على لسان خصمه فان قيل كيف قال ابليس اني
اخاف الله وهو لا يخاف الله تعالى لانه لو خافه لما خالفه ثم اضل عبيده قلنا قال قتادة صدق
عدو الله في قوله اني ارى ما لا ترون يعني جبريل والملائكة معه نازلين من السماء لنصرة
المسلمين يوم بدر وكذب في قوله اني اخاف الله والله ما به مخافة الله ولكنه علم انه لا قوة
له ولهم وقيل انه لما رأى نزول الملائكة على صورة لم يرها قط خاف قيام الساعة التي هي غاية
انظاره فيحل به العذاب الموعود وقيل معنى اخاف الله اعلم صدق وعده لنبيه
بالنصر وقد جاء الخوف بمعنى العلم ومنه قوله تعالى الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله وقيل
معناه انه يكون خاف ان يحل به من الملائكة ما دون الاهلاك من الاذى ان لم يخف
الاهلاك ثم اقول كيف يعتمد عليه كذبه واجلاه وهو افسق الفسقة واكفر الكفرة
فلا عجب في كذبه وانما العجب في صدقه فان قيل اي مناسبة بين الشرط والجزاء في قوله
ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم قلنا لما اقدم المؤمنون وهم ثلثمائة وبضعة عشر
على قتال المشركين وهم زهاء الف متوكلين على الله وقال المنافقون غر هؤلاء
دينهم حتى اقدموا على ثلاثة امثالهم عددا او اكثر قال الله تعالى ردا على المنافقين وتثبيتا
للمؤمنين ومن يتوكل على الله فان الله عزيز اي غالب يسلط القليل الضعيف
على الكثير القوي وينصره عليه حكيم في جميع افعاله فان قيل كيف قال وان الله

ليس بظلام للعبيد ولم يقل ليس بظالم وهو ابلغ في نفي الظلم عن ذاته المقدسة قلنا
تقدم هذا السؤال وجوابه في سورة آل عمران فان قيل قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة
انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وذكر اشارة الى اهلاك كفار مكة وآل فرعون ولم يكن
لهم حالة مرضية غيروها قلنا كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى
اسخط منها واسوأ واولئك كانوا قبل بعث الرسول اليهم عبدة اصنام فلما بعث
الرسول اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وسعوا في قتله غيروا حالهم الى
اسوأ منها فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب فان قيل ما
فائدة قوله تعالى فهم لا يؤمنون بعد قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا قلنا
فائدته ان تبين ان شر الكفار الذين كفروا واستمروا على الكفر الى وقت الموت فان
قيل ما فائدة تكرار المعنى الواحد في مقاومة الجماعة لاكثر منها قبل التخفيف وبعده
في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الى قوله والله مع الصابرين
قلنا فائدته الدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت بل كما نصر الله
تعالى العشرين على المائتين نصر المائة على الالف وكما نصر المائة على المائتين
نصر الالف على الالفين فان قيل كيف اخبر الله عن هذه الغلبة ونحن نشاهد
الامر بخلافه فان المائة من الكفار قد تغلب المائة من المسلمين بل المائتين في بعض
الاحوال قلنا انما اخبر الله عن هذه الغلبة بشرط الصبر الذي هو الثبات في
مواقف الحرب او الذي هو الموافقة بين المسلمين ظاهرا وباطنا فمتى

فمتى وجد الشرط تحققت الغلبة للمسلمين مع قلتهم لا محالة ولقائل ان يقول ان هذه الغلبة
مخصوصة بطائفة كان النبي صلى الله عليه وسلم احدهم وسياق الآية يدل عليه فان قيل كيف قال والله
يريد الآخرة مع انه اراد الدنيا ايضا لانه لولا ارادته اياها لما وجدت فما فائدة هذا التخصيص
قلنا المراد بالارادة هنا الاختيار والمحبة لا ارادة الوجود والكون فالمعنى تحبون
عرض الدنيا وتختارونه والله يختار لكم ويحب الجنة وهو اعزاز الاسلام بالاثخان
في القتل

سورة التوبة

فان قيل لاي سبب تركت كتابة البسملة في اول
هذه السورة بخلاف سائر السور قلنا لما تشابهت هي والانفال واختلفت الصحابة
في كونهما سورتين او سورة واحدة تركت بينهما فرجة عملا بقول من قال هما سورتان وتركت البسملة بينهما عملا بقول من قال هما سورة واحدة صح
وممن قال بذلك فهي اي نفي الثاني ان اسم الله مع سلام وامان فلا يناسب كتابته
النبذ والمحاربة فان قيل كيف قال وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم
فقاتلوا ائمة الكفر خص الامر بالقتال بائمة الكفر مع ان النكث والطعن ليس
مخصوصا بهم بل هو مسند الى جميع المشركين قلنا المراد بائمة الكفر رؤس المشركين
وقادتهم وقيل كفار مكة لانهم كانوا قدوة جميع العرب في الكفر فكان النكث
والطعن لم يوجد الا منهم لما كانوا هم الاصل فيه فلذلك خصهم بالذكر فان قيل كيف
قال وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ونحن
نسأل اليهود والنصارى ذلك فينكرونه ويجحدونه قلنا طائفة من اليهود
وطائفة من النصارى هم الذين يقولون ذلك لا كلهم فالالف واللام للعهد لا

للجنس او اطلق اسم الكل واراد البعض كما قال تع واذ قالت الملائكة يا مريم وانما
قال له جبرئيل وحده فان قيل ما فائدة قوله تع ذلك قولهم بافواههم وقول كل احد
انما يكون بفمه قلنا معناه انه قول لا يعضده حجة وبرهان انما هو مجرد لفظ
لا اصل له وقيل ذكره ذلك للمبالغة في الرد عليهم والانكار لفعلهم كما يقول الرجل للغريم
انت قلت لي ذلك بلسانك فان قيل دين الحق هو من جملة الهدى فما فائدة
عطفه على الهدى في قوله تع هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق قلنا
المراد بالهدى هنا القرآن وبدين الحق الاسلام وهما متغايران الثاني انه
وان كان داخلا في جملة الهدى ولكنه خصه بالذكر تشريفا له وتفضيلا كما في قوله تعالى
حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوله تع وملائكته وجبريل وميكال فان قيل
كيف قال ليظهره على الدين كله ولم يقل على الاديان كلها مع انه اظهره على الاديان
كلها قلنا المراد بالدين هنا اسم الجنس واسم الجنس المعرف باللام يفيد
معنى الجمع كما في قوله كثر الدرهم في ايدي الناس فان قيل كيف قال
ولا ينفقونها في سبيل الله والمذكور الذهب والفضة فاعاد الضمير على
احدهما قلنا اعاد الضمير على الفضة لانها اقرب المذكورين او لانها اكثر وجودا
في ايدي الناس فيكون كنزها اكثر ونظيره قوله تع واستعينوا بالصبر والصلاة
وانها لكبيرة الثاني انه اعاد الضمير على المعنى لان الكنوز دراهم ودنانير واموال
ونظيره قوله تع وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا لان كل طائفة مشتملة على

على عدد كثير وكذا قوله تع هذان خصمان اختصموا في ربهم يعني المؤمنين والكافرين
الثالث ان العرب اذا ذكرت شيئين شركة في المعنى تكتفي باعادة الضمير
على احدهما استغناء بذكره عن ذكر الآخر لمعرفة السامع باشتراكهما في المعنى لاشتراكهما
ومنه قول حسان بن ثابت ان شرخ الشباب والشعر الاسود ما لم
يعاص كان جنونا ولم يقل ما لم يعاصيا وقول الآخر فمن يك امسى بالمدينة
رحله فاني وقيار بها لغريب ولم يقل لغريبان ومنه قوله تع والله ورسوله احق
ان يرضوه وقوله تع يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وليس
قوله تع واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها ولا قوله تع ومن يكسب خطيئة او اثما
ثم يرم به بريئا من هذا القبيل لان الاخبار ثم عن احدهما لفظة او وهي
لا ثبات احد المذكورين فمن جعله نظير هذا فقد سها الا ان ثبت او في هاتين اَنّ ع
الآيتين بمعنى الواو وفي هاتين الآيتين لطيفة وهي ان الكلام لما اقتضى
اعادة الضمير على احدهما اعاده في الآية الاولى على التجارة وان كانت ابعد ومؤنثة
ايضا لانها اجذب لقلوب العباد عن طاعة الله من اللهو بدليل ان المشتغلين
بها اكثر من المشتغلين باللهو ولانها اكثر نفعا من اللهو ولانها كانت اصلا
واللهو تبعا لانه ضرب بالطبل لقدومها على ما عرف من تفسير الآية
واعاده في الآية الثانية على الاثم رعاية لمرتبة القرب والتذكير فان قيل
ما فائدة قوله تع ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا وهي عند الناس

ايضا كذلك في كل ملة سواء كانت الشهور قمرية او شمسية قلنا فائدته ان نعلم ان
هذا الترتيب والعدد ليس مما احدثه الناس واتبعوه بعقولهم من ذوات انفسهم وابتدعوه
وانما هو امر انزل الله تع في كتبه على السنة رسله فان قيل كيف قال فلا تظلموا
فيهن انفسكم خص الاربعة الحرم بذلك وظلم النفس منهي عنه في كل زمان قلنا
قال ابن عباس رضه الضمير في قوله تع فيهن راجع الى جملة اثني عشر شهرا لا الى الاربعة
الحرم فقط فاندفع السؤال الثاني ان الضمير راجع الى الاربعة الحرم لانها
اقرب اولا قال الفراء ان العرب تقول في العشر وما دونها لثلاث ليال خلون
وايام خلون وخلت هؤلاء فاذا جاوزت العشر قالت خلت ومضت للفرق
بين القليل وهو العشر فما دونها وبين الكثير وهو ما زاد عليها ولهذا قال في
الاثني عشر منها وقال في الاربعة فيهن فعلى هذا يكون تخصيصها بالذكر اما في
المزيد فضلها وحرمتها عند الله في الجاهلية فيكون ظلم النفس فيها اقبح ونظيره
قوله تع فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وان كان ذلك منهيا عنه في غير
الحج ايضا او لان المراد بالظلم النسيء وهو كان مخصوصا بها او قتال الكفار فيها
ابتداء او ترك قتالهم اذا ابتدؤوا وكل ذلك مخصوص بها فان قيل كيف قال
فيهن والشهر مذكر فقياسه فيها قلنا الضمير بالهاء والنون لا يختص
بالمؤنث ولو اختص فالمراد بقوله فيهن ساعات الاشهر وهي مؤنثة
فان قيل كيف قال فلا تظلموا فيهن انفسكم والانسان لا يظلم نفسه بل يظلم

بل يظلم غيره قلنا لا نسلم انه لا يظلم نفسه قال الله تع ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
وقال الله تع ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه الثاني ان معناه فلا يظلم
بعضكم بعضا كما قال الله تع واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم وقال
فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم وقال ولا تلمزوا انفسكم الثالث ان معناه فلا
تنقصوا حظ انفسكم من الآخرة بالمعصية فان من عصى فقد ظلم نفسه بنقص
ثوابها وتوجيه العقاب والذم اليها واليه الاشارة بقوله تع ومن يتعد
حدود الله فقد ظلم نفسه الرابع ان كل ظالم الغير فهو ظالم النفس في الحقيقة
لان ضرر ظلمه في حق المظلوم ينقطع عن قريب لانه لا يتعدى الدنيا و
ضرر ظلمه في حق نفسه يراه في الآخرة حيث لا ينقطع ويكون اشد وادوم
فان قيل قوله تع انما النسيء زيادة في الكفر يدل على قبول الكفر للزيادة والنقصان
فكذلك الايمان الذي هو ضده فيكون حجة للشافعي رح في قوله الايمان يقبل
الزيادة والنقصان قلنا معناه زيادة معصية في الكفر فان قيل قوله تعالى
لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان كان نهيا فاين الجزم
وان كان نفيا فقد وقع المنفي لان كثيرا من المومنين المخلصين استاذنوه
في التخلف عن الجهاد بعذر وبعضه قوله تع انما المومنون الذين آمنوا
بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه قيل
ان المراد به كل امر طاعة اجتمعوا معه عليه مثلا كالجهاد والجمعة

والعيد ونحوها وقلما تكون نهي بصيغة النفي كقوله تع فلا رفث ولا فسوق ولا جدال
في الحج الثاني قال ابن عباس هذه الآية منسوخة بقوله تع لم يذهبوا حتى يستأذنوه الثالث
ان المراد بقوله تع لا يستأذنك الآية الاستيذان في التخلف عن الجهاد من غير
عذر وكذا بالآية التي بعدها وبقوله تع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إباحة الاستيذان
في التخلف عن الامر الجامع بعذر فلا نسخ لامكان العمل بالآيتين لان محل
الحكم مختلف وهو وجود العذر وعدمه فان قيل كيف قال وقيل اقعدوا مع
القاعدين أخبر انهم أمروا بالقعود وذمهم على القعود والتخلف عن الخروج
للجهاد والاستيذان في القعود قلنا ليس في الآية ما يدل على ان الله تع هو الآمر
لهم بقول الآمر لهم بذلك هو الشيطان بالوسوسة والتزيين الثاني ان بعضهم امر
بعضا الثالث ان النبي صلعم قال لهم ذلك غضبا عليهم الرابع أمر توبيخ وتهديد
من الله تع لهم كقوله اعملوا ما شئتم ويعضده فاقعدوا مع القاعدين اي النساء
والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت فان قيل اذا
كان الله تع قد علم ان المنافقين لو خرجوا مع المؤمنين للجهاد ما زادوهم الا
الا خبالا اي فسادا ولاوضعوا خلالكم اي ولأسرعوا السعي بينهم بالنمائم فكيف
أمرهم بالخروج مع المؤمنين قلنا امرهم بالخروج لالزامهم الحجة ولاظهار
نفاقهم فان قيل قوله تع قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما
فاسقين يدل على ان الفسق يمنع قبول الطاعات قلنا المراد بالفسق

بالفسق هنا الفسق بالكفر والنفاق لا مطلق الفسق وذلك محبط للطاعات ومانع
من قبولها ويعضده قوله تع وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الآية فان قيل لم عدل في آية
الصدقات عن اللام الى في في المصارف الاربعة الاخيرة قلنا للتنبيه على انهم
اقوى في استحقاق الصدقة ممن سبق ذكره لان في للظرفية والوعاء فنبه بها على
انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها وذلك لما في فك الرقاب
موضع حسب
من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين من الدين من التخليص والانفكاك
ولجمع الغازي الفقر والمنقطع في الحج الفقر بين الفقر ومثل هذه العبادة
الشاقة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال والمؤلفة
المؤلفة قلوبهم لان بعضهم كفار وبعضهم مسلمون ضعيفو النية في الاسلام فكيف
يعارض بهم من ذكرنا اولان الله تع علم ان وجوب اعطائهم سينسخ فلذلك
جعلهم في القسم المقدم الذي هو اضعف فان قيل لم كرر في في الاربعة الاخيرة
ولم يكرر اللام في الاربعة الاولى قلنا للتنبيه على ترجيح استحقاق المصرفين
الاخيرين على الرقاب والغارمين من جهة ان اعادة العامل يدل على
مزيد قوة وتأكيد كقولك مررت بزيد وبعمرو فان قيل لم عدي فعل الايمان
الى الله تع بالباء والى المؤمنين باللام في قوله تع يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
قلنا لانه قصد التصديق بالله الذي هو ضد الكفر به فعداه بالباء كما تعدى
ضده بها وقصد التسليم والانقياد للمؤمنين فيما يخبرونه به لكونهم صادقين

يؤمن بمعنى الاقرار والوثوق يؤمن بالله
فعدي بالباء ويعني التسليم فعدي
باللام اي ... يسمع آيات الله
ويحملوا اذن ... يصدقها
ويعترف بصدقها ولا ... يسمع الى المسلمين
ويصدقهم ... ويثق بما يقولون
بانهم ... المنافقين اذن
ومنهم بعض ان ... يسمعون آيات الله ولا
ينتفعون بها فيعرضون عنها ... ويسمعون
... سمعوا

عنه فعدّاه بما يعدى به التسليم والانقياد ويعضده قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا ولو كنا
صادقين وقوله تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه
وقوله تعالى انؤمن لك واتبعك الارذلون واما قوله تعالى قال آمنتم له قبل ان آذن لكم فمشكل
الا لانه قال في موضع آخر قال آمنتم به وقال ابن قتيبة في الجواب عن اصل السؤال
ان الباء واللام زائدتان والمراد بالايمان التصديق فمعناه تصدق الله وتصدق
المؤمنين فان قيل قوله تعالى الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا
فيها يدل على تخليد اصحاب الكبائر في النار لان المراد بالمحادة المخالفة والمعاداة قلنا
قوله تعالى الم يعلموا خبر عن المنافقين الذين سبق ذكرهم فيكون المراد به المحادة بالكفر
والنفاق وذلك موجب للتخليد في النار فان قيل كيف قال يحذر المنافقون ان
تنزل عليهم سورة وسورة القرآن انما تنزل على النبي صلعم لا على المنافقين قلنا
معناه ان تنزل فيهم فعلى هنا بمعنى في كما في قوله تعالى على ملك سليمان وقوله كان
ذلك على عهد فلان الثاني ان الانزال هنا بمعنى القراءة فمعناه ان تقرأ عليهم
فان قيل الحذر في هذه الآية واقع على انزال السورة فكيف قال قل استهزءوا
ان الله مخرج ما تحذرون ومناسب اول الآية منزل ما تحذرون قلنا قوله مخرج
ما تحذرون اى مظهر ما تحذرون ظهوره من نفاقكم بانزال السورة وهو
مناسب كقوله تعالى تنبئهم بما في قلوبهم الثاني ان معناه مظهر وقوله ما تحذرون
من انزال السورة فان قيل كيف قال تنبئهم بما في قلوبهم وانباؤهم بما في قلوبهم

بما في قلوبهم تحصيل الحاصل لانهم عالمون به فما فائدته قلنا معناه تنبئهم باسرارهم وما كتموه
من النفاق شايعة ذايعة وتفضحهم بظهورها اعتقدوا انه لا يعرفه غيرهم ولا يطلع
عليه سواهم وهذا ليس تحصيل الحاصل فان قيل كيف قال المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض وقال بعده والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وكلمة
من ادل على المشابهة والمجانسة من حيث انها تقتضي الجزئية والبعضية فكانت
بالمؤمنين اولى واجدر لانهم اشد تشابها وتجانسا في الصفات والاخلاق قلنا
المراد بقوله تعالى بعضهم من بعض اى بعضهم على دين بعض اى على عادتهم وخلقهم
باضمار لفظة الدين او الخلق ونحوه لان من تأتي بمعنى على ومنه قوله تعالى ونصرناه
من القوم الذين كذبوا بآياتنا وقوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون على وطي
نسائهم وهذا المعنى هو المراد في قوله صلعم فمن رغب عن سنتي فليس مني وقوله
صلعم من غشنا فليس منا والمراد بقوله بعضهم اولياء بعض اى انصارهم واعوانهم
في الدين وكل واحدة من العبارتين صالحة للفريقين الا انه خص المنافقين
بتلك العبارة تكذيبا لهم في حلفهم السابق في قوله تعالى ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقريرا
لقوله تعالى وما هم منكم فان قيل اى فائدة في قوله تعالى فاستمتعوا بخلاقهم مع ان قوله
تعالى فاستمتعتم بخلاقكم كما ~~استمتعوا بخلاقهم~~ او كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم
بوضع الظاهر موضع المضمر مغن عنه كما قال تعالى وخضتم كالذي خاضوا من غير
تكرار قلنا فائدته تصدير التشبيه بذم المشبه بهم باستمتاعهم بما اوتوا

يعني كان قوله كالذين خاضوا
اغنى عن ان يقال وخاضوا
فخضتم كالذي خاضوا سا

من حظوظ الدنيا واشتغالهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح
في الآخرة وتعجيب حالهم وتقبيح صفتهم لكون التشبيه بعد ذلك ابلغ في ذم المشبّهين
باولئك الاولين كما تريد ان تنبّه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل
فرعون كان يقتل بغير حق ويظلم ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما قوله تعالى
وخضتم كالذي خاضوا فانه لما كان معطوفا على ما قبله وهو التشبيه المصدّر بتلك المقدمة
اغنى ذكرها عن اعادة تلك المقدمة المذكورة للتقبيح والتعجيب فان قيل ما معنى قوله تعالى
اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة حبوط العمل ان كان عبارة عن بطلان ثوابه
فذلك انما يكون في الآخرة وان كان عبارة عن بطلان منفعته فاعمال المنافقين
في الدنيا ليست باطلة المنفعة لانهم ينتفعون بها في حقن دمائهم واموالهم وجريان
احكام المسلمين عليهم قلنا المراد بالاعمال ان كان نوعي اعمالهم الدنيوية والدينية
فالحبوط في الدنيا راجع الى اعمالهم الدنيوية وهي كيدهم ومكرهم وخداعهم ونفاقهم
الذي كانوا يقصدون به اطفاء نور الله تعالى ودفع آياته وبيناته ويأبى الله الا
ان يتم نوره ولو كره الكافرون فلم ينالوا من ذلك ما املوه وقصدوه من ابطال
دين الله تعالى وستر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحبوط في الآخرة راجع الى
اعمالهم الدينية وهي عباداتهم وطاعاتهم لانهم فعلوها نفاقا ورياء فبطل ثوابها
في الآخرة وان كان المراد باعمالهم محض الاعمال الدينية فحبوطها في الدنيا هو عدم قبولها
لان الله تعالى يتقبل في الدنيا ما يثيب عليها في الآخرة فالمراد بحبوطها في الدنيا عدم
العبادة

عدم قبولها وعدم اطلاق الاسماء الشريفة عليها كالعبادة والقربة والحسنة ونحو ذلك
وهذا ضد قوله تعالى وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين فان للطاعات
اجرا معجلا في الدنيا غير الاجر المؤجل الى الآخرة وهو القبول وحسن الثناء والذكر والقاء
المحبة في قلوب الخلق كما قال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
ودا قيل معناه يحبهم ويحببهم الى عباده من غير سبب بينهم وبينهم يوجب المحبة وكذلك
على العكس حال العصاة والفساق يبغضهم ويبغّضهم الى عباده من غير سبب بينهم وبينهم
يوجب البغض فان قيل ما معنى قوله تعالى وما لهم في الارض من ولي ولا نصير لم خصّ الارض بالنفي مع ان
المنافقين ليس لهم ولي ولا نصير من عذاب الله تعالى ولا في السماء في الدنيا ولا في الآخرة في الارض صح
قلنا لما كان المنافقون لا يعتقدون الوحدانية ولا يصدقون بالآخرة كان اعتقادهم
وجود الولي والنصير مقصورا على الدنيا فعبّر عن الدنيا بالارض وخصها بالذكر لذلك
او اراد بالارض ارض الدنيا والآخرة فكانه قال وما لهم في الدنيا والآخرة من ولي
ولا نصير فان قيل لم خصّ السبعين بالذكر في قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم مع ان الله تعالى لا يغفر للمنافقين ولو استغفر لهم النبي عليه الف
مرة بدليل قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ولانهم مشركون والله
تعالى لا يغفر ان يشرك به قلنا جرت عادة العرب بضرب المثل في الآحاد
بالسبع وفي العشرات بالسبعين استعظاما لها واستكثارا لانهم يريدون بذكرها
الحصر فكانه قال ان تستغفر لهم اعظم الاعداد واكثرها فلن يغفر الله لهم

ونعضد ما ذكرنا بعد ذلك من بيان الصارف عن المغفرة في قوله تعالى ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله
فان قيل لو كان الامر ما ذكرتم لما خفي ذلك على النبي صلعم وهو افصح العرب واعلمهم باساليب
الكلام وتمثيلاته حتى قال لما نزلت هذه الآية ان الله تعالى قد رخص لي فسأزيد على
السبعين وفي رواية اخرى فاستغفر لهم اكثر من السبعين لعل الله ان يغفر لهم
قلنا لم يخف عليه ذلك وانما اراد بما قال اظهار غلبة رحمته ورأفته بمن بعث اليهم كما
وصف الله تعالى بعض ذلك بقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية وفي اظهار النبي صلعم الرحمة والرأفة
لطف لامته وحث لهم على التراحم وشفقة بعضهم على بعض وهذا دأب الانبياء عليهم
السلام الا ترى الى قول ابرهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم فان قيل كيف قال ما على المحسنين
من سبيل والله غفور رحيم والمغفرة والرحمة انما تكون للمسيئين لا للمحسنين قلنا
معناه والله غفور رحيم للمسيئين اذا تابوا فهو متعلق بمحذوف لا بالمحسنين
لانهم قد سدوا باحسانهم طريق العقاب والذم فليس عليهم سبيل فيهما الثاني ان
المحسن من الناس وان تناهى في احسانه لا يخلو عن اساءة بينه وبين الله تعالى
او بينه وبين الناس لكنه اذا احسن باجتناب الكبائر غفر الله له صغائر سيئاته
ورحمه كما قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الآية فان قيل قوله تعالى وسيرى الله عملكم
ورسوله اي سيعلم لان السين للاستقبال والرؤية من الله تعالى بمعنى العلم والله تعالى
عالم بعلمهم حالا ومآلا قلنا معناه سيعلمه واقعا منكم كما علمه غيبا لان الله تعالى يعلم
كل شيء على ما هو عليه فيعلم المنتظر منتظرا ويعلم الواقع واقعا واما في حق الرسول صلعم

فلم نهو على ظاهره فان قيل اذا كان الله تعالى قد وصف العرب بالجهل في القرآن بقوله تعالى
واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله فكيف يصح الاحتجاج بالفاظهم واشعارهم
على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قلنا هذا وصف من الله تعالى لهم بالجهل في احكام
القرآن لا في الفاظه ونحن لا نحتج بلغتهم في بيان الاحكام بل نحتج في بيان معاني الالفاظ بلغتهم صح
معاني الالفاظ لان القرآن والسنة جاءا بلغتهم فان قيل كيف قال هنا في صفة المنافقين
مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم وقال في موضع آخر ولتعرفنهم في لحن القول قلنا
هذه الآية نزلت قبل تلك الآية فلا تناقض لانه نفى علمه بهم في زمان ثم اثبته بعد ذلك
في زمان آخر فان قيل قوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا قد جعل كل واحد منهما مخلوطا
فاين المخلوط به قلنا كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان معناه خلطوا كل واحد
منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه من
المبالغة ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك بالباء جعلت الماء مخلوطا به وبالواو واللبن مخلوطا صح
جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن
بالماء ويجوز ان تكون الواو بمعنى الباء كما في قولهم صح بعت الشاء شاة ودرهما يعنون شاة
بدرهم فان قيل كيف قال تعالى والناهون عن المنكر بالواو وما قبلها من الصفات بغير واو
قلنا لانها صفة ثامنة والعرب تدخل الواو بعد السبعة ايذانا بتمام العدد فان
السبعة عندهم هي العقد التام كالعشرة عندنا فاتوا بحرف العطف الدال على
المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ونظيره قوله تعالى وثامنهم كلبهم بعد ما ذكر

العدد مترتبٌ بغير واو ومع انه في صفة الجنة وفتحت ابوابها بالواو لانها ثمانية وقال
في صفة النار نعوذ بالله منها فتحت ابوابها بغير واو لانها سبعة وليس قوله ثيبات
وابكارا من هذا القبيل لان الواو لو اسقطت فيه لاستحال المعنى لتناقض الصفتين
وقيل انما دخلت الواو على الناهين عن المنكر اعلاما بان الامر بالمعروف ناهٍ عن المنكر
في حال امره بالمعروف فهما صفتان متلازمتان بخلاف باقي الصفات المذكورة فانها ليست
متلازمة ولا ينتقض هذا بقوله الراكعون الساجدون لانهما ليسا صفتين متلازمتين
لان السجود يلزم الركوع اما الركوع لا يلزم السجود بدليل سجود التلاوة وسجود الشكر
والزمخشري رحمه لم يتكلم على هذه الواو فان قيل كيف قال ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون
اي باحسن الذي كانوا يعملون باضمار حرف الجر مع انهم يجزون بحسنه لقوله تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره قلنا معناه بحسن الذي كانوا يعملون وهو الطاعات
كلها لا بسيئه وهو المعاصي فاحسن هنا بمعنى الحسن وسيأتي في سورة الروم في
قوله تعالى وهو اهون عليه ما يوضح هذا ان شاء الله تعالى الثاني ان معناه ليجزيهم الله احسن
من الذي كانوا يعملون فان قيل قوله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا يدل على ان الايمان
يقبل الزيادة قلنا قال مجاهد رحمه الله معناه فزادتهم علما لان العلم من ثمرات
الايمان فجعل مجازا عنه والله اعلم فان قيل كيف قال تعالى
نفصل الآيات لقوم يعلمون والله فصل الآيات للعلماء والجهال ايضا قلنا لما كان
نفع تفصيل الآيات مخصوصا بالعلماء او انتفاعهم بالتفصيل اكثر اضاف التفصيل اليهم

اليهم وخصهم به فان قيل كيف قال وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين مع ان اقوال اهل
الجنة واحوالهم لا آخر لها لان الجنة دار الخلد قلنا معناه وآخر دعواهم في كل مجلس
دعاء او ذكر او تسبيح فان اهل الجنة يسبحون ويذكرون للتنعم والتلذذ بالتسبيح و
الذكر فان قيل قد انكر الله تعالى على الكفار احتجاجهم بمشيئته في قولهم لو شاء الله ما اشركنا
ولا آباؤنا ولهذا لا يجوز للعاصي ان يحتج في فعل المعصية منه بقوله لو شاء الله ما
فعلت هذه المعصية فلا تقيموا على جرها فكيف قال النبي صلعم لو شاء الله ما تلوته عليكم
قلنا النبي صلعم قال هذه الحجة بامر الله لان الله تعالى قال له قل لو شاء الله ما تلوته عليكم وللعبد
ان يحتج بمجرد المشيئة وما اورد نحوه كذلك فان قيل كيف قال فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض
بغير الحق والبغي لا يكون الا بغير الحق لان البغي هو التعدي والفساد من قولهم بغى
الجرح اذا افسد كذا قاله الاصمعي فما فائدة التقييد قلنا قد يكون الفساد بالحق كاستيلاء
المسلمين على ارض الكفار وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع اشجارهم كما فعل
رسول الله صلعم ببني قريظة فان قيل كيف شبه تعالى الحيوة الدنيا بماء السماء دون ماء
الارض فقال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء قلنا لان ماء السماء وهو المطر
لا تاثير لكسب العبد فيه ولا حيلة كما ان الحياة كذلك لا حيلة للعبد في زيادتها
ونقصانها الثاني ان ماء السماء يستوي فيه جميع الخلائق الوضيع والشريف والغني
والفقير وغيرها ايضا كالملوك والجمل والثور والنمر كما ان الحيوة كذلك فكان تشبيه
الحيوة بماء السماء اشد مناسبة ومطابقة فان قيل كيف قال هنا ويوم نحشرهم جميعا

فلا تقيموا ح

بمشيئة الله اذا امره الله ان يحتج بها ابليس لم ان يحتج ح

وهو المطر ح

ثم نقول للذين اشركوا مكانكم وقال في موضع آخر ولا يكلمهم الله يوم القيمة قلنا يوم القيمة مواقف ومواطن ففي موقف لا يتكلم وفي موقف يتكلم ونظيره قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقوله فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون الثاني ان المراد انه لا يكلمهم كلام الاكرام لا كلام توبيخ وتقريع فان قيل قوله قل من يرزقكم من السماء والارض الى آخر الآية يدل على انهم معترفون بان الله هو الخالق والرازق والمدبر لجميع المخلوقات فكيف يعترفون بذلك كله ثم يعبدون الاصنام قلنا كانوا في عبادة الاصنام يتأولون عبادة الله فطائفة كانت تقول نحن لا نتأهل لعبادة الله بغير واسطة لعظمته وجلاله ونقصنا وحقارتنا فجعلوا الاصنام وسائط كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وطائفة كانت تقول نتخذ اصناما على هيئة الملائكة ونعبدها لتشفع لنا الملائكة عند الله وطائفة كانت تقول الاصنام قبلتنا في عبادة الله كما ان الكعبة قبلة في عبادته وطائفة وهي الاكثر كانت تقول على كل صنم شيطان موكل به من عند الله تعالى فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه على وفق مراده بامر الله ومن قصر في عبادة الصنم اصابه الشيطان بنكبة بامر الله فكل الطوائف من عبدة الاصنام كانوا يعتقدون بعبادتهم الاصنام عبادة الله والتقرب اليه ولكن بطرق مختلفة فان قيل كيف قال هل من شركائكم من يبدء الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين ببعض الاعادة اصلا لا من الله ولا من غيره قلنا لما كانت الاعادة ظاهرة الوجود لظهور برهانها وهو القدرة على ابتداء الخلق والاعادة اهون بالنسبة الينا الزمهم

[حاشية] قد تقرر في النحو امتناع العطف بلا على المنفي فالصواب لكن تكلمهم كلام توبيخ

لزمهم الاعتراف بها فصار كانهم مسلمون وجودها من حيث ظهور الحجة ووضوحها فان قيل كيف قال فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون رتب كونه شهيدا على افعالهم على رجوعهم اليه في القيمة مع انه شهيد على افعالهم في الدنيا والآخرة قلنا ذكر الشهادة واراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب والجزاء كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون او مجاز على ما يفعلون كما قال وما تفعلوا من خير يعلمه الله ونظائره في القرآن العزيز كثيرة فان قيل كيف قال بياتا او نهارا ولم يقل ليلا او نهارا وهو اظهر في المطابقة واكثر استعمالا مع النهار في القرآن العزيز وغيره قلنا المعهود المألوف في كلام العرب عند ذكر البطش والاهلاك والوعيد والتهديد ذكر لفظ البيات سواء قرن به النهار او لا فلذلك لم يقل ليلا فان قيل كيف قال ماذا يستعجل منه المجرمون ولم يقل ماذا تستعجلون منه واول الآية للمواجهة قلنا اراد بذكر المجرمين الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويفزع من مجيئه وان ابطأ فضلا عن ان يستعجله فان قيل كيف قال قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ولم يقل فبذلكما والمشار اليه اثنان الفضل والرحمة قلنا قد سبق مثل هذا السؤال وجوابه في سورة البقرة في قوله عوان بين ذلك فان قيل قوله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة تهديد لان فيه محذوفا تقديره وما ظنهم ان الله فاعل بهم يوم القيمة بكذبهم فكيف يناسبه قوله بعده ان الله لذو فضل على الناس قلنا هو مناسب لان معناه ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل والوحي والهداية

[حاشية] فاعلم انه وضع المجرمين موضع الضمير للاشعار بالعلية وان من حق المجرم ان يخاف التعذ…

وتاخير العذاب وفتح باب التوبة فكيف يفترون عليه الكذب مع توافر نعمه عليهم فان
قيل كيف قال تع وما تكون في شان وما تتلو منه من قرآن فافرده ثم قال ولا تعملون من عمل فجمع
والخطاب للنبي صلعم قلنا قال ابن الانباري انما جمع في الفعل الثالث ليدل على ان الامة
داخلون مع النبي صلعم في الفعلين الاولين وقال غيره المراد بالفعل الثالث ايضا النبي
صلى الله عليه وسلم وحده وانما جمع تفخيما له وتعظيما كما في قوله تع افتطمعون أن يؤمنوا لكم على
قول ابن عباس وكما في قوله تع يا ايها الرسل كلوا من الطيبات والمراد به النبي صلعم كذا قاله ابن
عباس والحسن وغيرهما واختاره ابنُ قُتَيْبة والزجاج فان قيل كيف قال تع قدم تعالى الارض
على السماء في قوله تع وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وقدم السماء على
الارض في قوله تع في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في
الارض قلنا حق السماء ان تقدم على الارض مطلقا لانها اشرف لكنه لما ذكر هنا في صدر الآية
شهادته على شؤون اهل الارض واقوالهم واعمالهم ثم اردفه بقوله تع وما يعزب عن ربك
بعد ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا
ناسب ذكر تقديم الارض على السماء الثاني ان العطف بالواو نظير التثنية وحكمه حكمها فلا
يعطى رتبة كالتثنية فان قيل كيف قال هنا ان العزة لله جميعا وقال في موضع آخر ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين قلنا اثبت الاشتراك في نفس العزة التي هي في حق الله تع القدرة
والغلبة وفي حق الرسول صلعم علو كلمته واظهار دينه وفي حق المؤمنين نصرهم على
اعدائهم وقوله تع ان العزة لله جميعا اراد به العزة الكاملة التي تندرج فيها عزة الالهية
والخلق والاماتة والاحياء والبقاء الدائم وما اشبه ذلك فلا تنافي فان قيل اذا كانت

اذا كانت السموات والارض وما فيهما من المخلوقات ومن فيهما وما وراءهما كل ذلك لله تع
ملكا وخلقا فما فائدة التخصيص في قوله تع ألا ان لله من في السموات ومن في الارض قلنا
انما خص العقلاء المميزين بالذكر وهم الملائكة والثقلان ليعلم ان هؤلاء اذا كانوا عبيد الله
وهو ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا للشركة معه فما وراءهم مما لا يعقل كالاصنام
والكواكب ونحوها احق ان لا يكون له ندا وشريكا فان قيل كيف قال لهم موسى اتقولون للحق
لما جاءكم اسحر هذا على طريق الاستفهام وهم انما قالوا ذلك على طريق الاخبار والتحقيق المؤكد
بان واللام لا على طريق الاستفهام قال الله تع فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين
قلنا فيه اضمار تقديره اتقولون للحق لما جاءكم ان هذا لسحر مبين ثم قال اسحر هذا انكر
ما قالوه فالاستفهام من قول موسى عليه لا مفعول لقول لهم فان قيل كيف نوع الخطاب في قوله تع
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة
وبشر المؤمنين فثنى اولا ثم جمع ثم افرد قلنا خوطب اولا موسى وهرون أن يتبوآ
لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما
ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه
بالبشارة تعظيما له او تعظيما لها فان قيل كيف قال قد اجيبت دعوتكما اضافها اليهما
والدعوة انما صدرت من موسى عليه قال الله تع وقال الصحح وقال موسى ربنا انك آتيت
فرعون وملاءه الى آخر الآية قلنا نقل ان موسى عليه كان يدعو وهارون كان يؤمن
على دعائه والتأمين دعاء في المعنى فلهذا اضاف الدعوة اليهما الثاني انه يجوز ان

يكون هارون قد دعا ايضا مع موسى عليه السلام لأن الله تعالى خص موسى بالذكر لانه كان اسبق
بالدعوة او احرص عليها او اكثر الحاحا فيها فان قيل لو كان كذلك لقال دعواتكما بالتثنية قلنا
لما كانت الدعوة مصدرا اكتفى بذكرها في موضع الافراد والتثنية والجمع بصيغة واحدة كسائر
المصادر ونظيره قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة فان قيل كيف قال
فان كنت في شك مما انزلنا اليك الخ مع انه لا يدخل عليه السلام شك قبل البعثة وشك النبي صلعم في القرآن
منتفٍ قطعا قلنا الخطاب ليس للنبي صلعم بل لمن كان شاكا في القرآن وفي نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم فكانه قال فان كنت ايها الانسان في شك فان قيل قوله تعالى مما انزلنا اليك يدل على ان
الخطاب للنبي صلعم لا لغيره قلنا لا يدل قال الله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم
وانزلنا اليكم نورا مبينا وقال يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة الثاني ان الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد غيره كما في قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين
وبعده قوله تعالى ان الله كان بما تعملون خبيرا ويعضد هذا الوجه قوله تعالى بعده قل يا ايها
الناس ان كنتم في شك من ديني الثالث ان يكون انْ بمعنى ما تقديره فما كنت في شك مما انزلنا
اليك فاسأل المعنى لسنا نامرك ان تسأل احبار اليهود والنصارى عن صدق كتابك
لانك في شك منه بل لتزداد بصيرة وتعيينا وطمانينة الرابع ان الخطاب للنبي صلعم مع انتفاء
الشك منه قطعا والمراد به الزام الحجة على الشاكين الكافرين كما في قوله لعيسى عليه السلام أانت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وهو عالم بانتفاء هذا القول منه لالزام الحجة
على النصارى فان قيل قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا ما فائدة قوله جميعا بعد

بعد قوله كلهم وهو يفيد الشمول والاحاطة قلنا كل يفيد الشمول والاحاطة ولا يدل على وجود
الايمان منهم بصفة الاجتماع وجميعا يدل على وجوده منهم في حالة واحدة كما تقول جاء القوم جميعا
اي مجتمعين ونظيره قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون فان قيل قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات
والارض كيف يصح هذا الامر مع انا لا نعلم جميع ما فيهما ولا نراه قلنا هو عام اريد به
ما ندركه بالبصر او بالبصيرة مما فيهما كالشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار والمعادن
والنبات والحيوان ونحوه لكن ما يدل على وجود الصانع وتوحيده وعظيم قدرته فيستدل
به على ما وراءه فان قيل قوله تعالى وان يمسسك الله بضر الآية ما الحكمة في ذكر المس
في احدهما والارادة في الآخر قلنا انما عدل عن لفظ المس المذكور في سورة الانعام
الى لفظ الارادة لان الخير هنا مراد قوله فلا راد لفضله والرد انما يكون فيما لم يقع بعدُ
والمس انما يكون فيما وقع فلهذا قال ثَمّ وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير معناه
فان شاء اداما ذكر الخير وان شاء ازاله فلا تطلب دوامه وزيادته الا منه
فان قيل كيف قال تعالى وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه مع
ان التوبة مقدمة على الاستغفار قلنا المراد استغفروا ربكم من الشرك ثم ارجعوا اليه
بالطاعة كذا قال مقاتل وهذا الاستغفار مقدم على هذه التوبة الثاني ان فيه تقديما
وتاخيرا الثالث قال الفراء ثم هنا بمعنى الواو فلا يفيد ترتيبا فاندفع السؤال فان قيل
من لم يستغفر ولم يتب فان الله تعالى يمتعه متاعا حسنا الى اجله اي يرزقه
ويوسع عليه كما قال ابن عباس او يعمّره كما قال ابن قتيبة فما فائدة قوله وان استغفروا

ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى فلما قال عز شانه التمتيع الحسن المشروط
بالاستغفار والتوبة بنو الحياة في الطاعة والقناعة ومثل هذه الحيوة انما تكون للمستغفر
التائب التقي فان قيل قوله تعالى وما من دابة في الارض كيف لم يقل على الارض مع انه
اشد مناسبة لتفسير الدابة لغة فانها ما تدب على وجه الارض قلنا في هنا بمعنى على
كما في قوله في جذوع النخل وقوله تعالى ام لهم سلم يستمعون فيه الثاني ان في اعم واشمل لانها
تتناول كل دابة على وجه الارض وكل دابة في باطن الارض بخلاف على فان قيل
كيف خص الدابة بذكر ضمان الرزق والطير كذلك رزقه على الله وسوى الدابة بدليل
قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه قلنا انما خص الدابة بالذكر لان
الدواب اكثر من الطيور عددا وفيها ما هو اكبر جثة من كل فرد من افراد الطير كالفيل
والحوت فيكون احوج الى الرزق فلذلك خصه بالذكر فان قيل كيف قال تعالى على
الله رزقها وعلى للوجوب والله تعالى لا يجب عليه شيء وانما رزقها تفضلا منه وكرما
قلنا على بمعنى من كما في قوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الثاني انه ذكره
بصيغة الوجوب ليحصل للعبد زيادة سكون وطمأنينة في حصوله فان قيل كيف قال ليبلوكم
ايكم احسن عملا والخطاب عام للمؤمنين والكافرين فانه امتحن الفريقين بالامر بالطاعة
والنهي عن المعصية واعمال المؤمنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال
الفريقين فتتفاوت الى حسن وقبيح قلنا قوله تعالى ليبلوكم عام اريد به الخاص وهم
المؤمنون تشريفا لهم وتخصيصا فصح قوله احسن عملا فان قيل كيف قال تعالى وحاق به

به صدرك ولم يقل وضيق قلنا للدلالة على انه ضيق عارض غير ثابت لان النبي صلعم كان
افسح الناس صدرا ونظيره قولك زيد سائد وجائد اذا اردت ان السيادة والجود
حادث فيه وعارض له فان اردت وصفه بالسيادة والجود الثابتين المستقرين
قلت زيد سيد وجواد كذا قال الزمخشري فان قيل كيف قال تعالى فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
امرهم بالاتيان بمثله وما يأتون به لا يكون مثله لان ما يأتون به مفترى والقرآن ليس بمفترى
قلنا اراد به مثله في البلاغة والفصاحة وان كان مفترى وقيل معناه مفتريات كما ان القرآن
مفترى في زعمكم واعتقادكم فيتماثلان فان قيل كيف قال تعالى فاتوا افرد ثم جمع فقال
فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا قلنا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الكل ولكنه جمع في قوله
لكم فاعلموا تعظيما له وتفخيما الثاني ان الخطاب الثاني للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لان النبي صلعم للنبي صلعم
واصحابه كانوا يتحدونهم بالقرآن وقوله في موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم يعضد الوجه
الاول الثالث ان يكون الخطاب في الثاني والثالث للمشركين والضمير في يستجيبوا لمن
استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه الى المظاهرة على معارضته لعجزهم
فاعلموا ايها المشركون انما انزل بعلم الله وهذا وجه لطيف فان قيل قوله تعالى وحبط
ما صنعوا فيها يدل على بطلان اعمالهم فما فائدة قوله تعالى وباطل ما كانوا يعملون قلنا المراد
بقوله تعالى وحبط ما صنعوا فيها بطل ثواب ما صنعوا من الطاعات في الدنيا وباطل ما
كانوا يعملون من الرياء فيها فان قيل كيف قال نوح عليه السلام ويا قوم لا اسألكم
عليه بالواو وقال هود عليه السلام يا قوم لا اسألكم عليه بغير واو قلنا لان الضمير في قولها

عليه لتبليغ الرسالة المدلول عليه باول الكلام في القصتين ولكن في قصة نوح عليه وقع
الفصل بين الضمير وما يتصل به وعايد عليه بكلام آخر فجئ بواو الابتداء وفي قصة هود عليه
لم يقع بينهما فصل فلم يحتج الى واو الابتداء هذا ما وقع لي فيه والله اعلم فان قيل قوله تعالى
لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا ان المرحوم لا يناسبه المستثنى في الظاهر وهو قوله الا من رحم لان المرحوم
معصوم فظاهره يقتضي لا معصوم الا من رحم اى لا معصوم من الغرق بالطوفان الا
من رحم الله بالانجاء في السفينة قلنا عاصم هنا بمعنى معصوم كقوله تعالى من ماء دافق اى
مدفوق وقوله تعالى في عيشة راضية اى مرضية وقول العرب سر كاتم اى مكتوم الثاني ان
معناه لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم اى الا الراحم وهو الله تعالى وليس معناه الا
المرحوم فكانه قال لا عاصم الا الله الثالث ان معناه لا عاصم اليوم من امر الله الا مكان
من رحم الله من المؤمنين ونجاهم وهو السفينة ويناسب هذا الوجه قوله تعالى وقال
اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها الى ربى لغفور رحيم وهذا لان ابن نوح لما جعل
الجبل عاصما من الماء رده نوح عليه ذلك ورد له على العاصم وهو الله تعالى او المكان الذي
امر الله تعالى بالالتجاء اليه وهو السفينة فان قيل كيف صح امر السماء والارض بقوله تعالى
وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وهما لا تعقلان والامر والنهي انما يكون لمن
يعقل ويفهم الخطاب قلنا الخطاب لهما في الصورة والمراد الملائكة الموكلين بتدبيرها
الثاني ان هذا امر ايجاد وفي امر الايجاد لا يشترط العقل والفهم لان الاشياء كلها بالنسبة
الى امر الايجاد مطيعة منقادة لله تعالى ومنه قوله تعالى انما امره الشيء اذا اردناه ان نقول له

الخطاب ح

الأمر ايجاد ح

نقول له كن فيكون وقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها كانه ذكر امر ايجاد فان قيل
كيف قال تعالى هنا ونادى نوح ربه فقال رب بالفاء وقال في قصة زكريا اذ نادى ربه نداء
خفيا قال رب بغير فاء قلنا اراد بالنداء هنا ارادة النداء فجاء بالفاء الدالة على السببية
فان ارادة النداء سبب للنداء فكانه قال واراد نوح نداء ربه فقال كيف وكيف
واراد به في قصة زكريا حقيقة النداء فلهذا جاء بغير فاء لعدم ما يقتضي السببية
فان قيل هود كان رسولا ولم يظهر معجزة ولهذا قال له قومه يا هود ما جئتنا ببينة فباى
شئ لزمتهم رسالته قلنا انما يحتاج الى المعجزة من الرسل من يكون صاحب شريعة
ليقاد امته الى شريعته فان في كل شريعة احكاما غير معقولة فيحتاج الرسول
الآتي بها الى معجزة تشهد بصدقه فاما الرسول الذي لا يكون له شريعة ولا يأمر الا
بالعقليات فلا يحتاج الى معجزة لان الناس ينقادون الى ما يأمرهم به لموافقته للعقل
وهود كان كذلك الثاني انه نقل ان معجزة هود كانت الريح الصرصر فانها كانت
مسخرة له فان قيل على الوجه الاول لو كان امره لهم مقصورا على العقليات لما كانوا
كذبوه ونسبوه الى الجنون بقولهم يا هود ما جئتنا ببينة الآية قلنا انما صدر ذلك
القول من قاصري العقول او المعاندين المكابرين كما قيل ذلك لكل رسول
بعد اتيانه بالمعجزات الظاهرات والآيات الباهرات فان قيل هلا قال انى اشهد
الله واشهدكم لتناسب الجملتان قلنا لان اشهاد الله تعالى على البراءة من
الشرك اشهاد صحيح مفيد تاكيد التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما

سؤالا تهكم بهم وتهاون وذلك على قلة المبالاة لانهم ليسوا اهلا للشهادة فعدل به عن اللفظ
الاول واتى به على صورة التهكم والتهاون كما يقول الرجل لصاحبه اذا لا حجة اشهد اني لا
احتفل بكلامك به واستهانة له فان قيل قوله تع فان تولوا فقد ابلغتكم جعل التولي شرطا والابلاغ
جزاء والابلاغ كان سابقا على التولي قلنا ليس الابلاغ جزاء للتولي بل جزاؤه محذوف
تقديره فان تولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ او تقصير فيه ودل على الجزاء المحذوف
قوله فقد ابلغتكم الثاني قال مقاتل تقديره فان تولوا فقل لهم فقد ابلغتكم فان قيل ما فائدة
تكرار التنجية في قوله تع ونجيناهم من عذاب غليظ قلنا اراد بالتنجية الاولى تنجيتهم
من عذاب الدنيا الذي نزل بقومهم وهو سموم ارسلها الله تع عليهم فقطعتهم
عضوا عضوا واراد بالتنجية الثانية تنجيتهم من عذاب الآخرة الذي استحقه
قومهم بالكفر ولا عذاب اغلظ منه واشد فان قيل بعدا معناه عند العرب
الدعاء بالهلاك كذا نقله الزمخشري فما معنى الدعاء عليهم بالهلاك بعد هلاكهم قلنا
معناه الدلالة على انهم مستاهلون له ومستحقون به ونقيضه قول الشاعر اخوتي
لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا اراد بالدعاء لهم بنفي الهلاك بعد هلاكهم
الاعلام بانهم لم يكونوا مستاهلين له ولا مستحقين به فان قيل قوله تع ولا تنقصوا
المكيال والميزان نهي عن النقص فيهما والنهي عن النقص امر بالايفاء معنى فما
فائدة قوله تع بعد ذلك ويا قوم اوفوا المكيال والميزان قلنا صرح اولا بنهيهم عن
النقص الذي كانوا يفعلونه لزيادة المبالغة في تقبيحه وتعييرهم اياه ثم صرح

بالامر بالايفاء بالعدل الذي هو حسن عقلا لزيادة الترغيب فيه والحث عليه
فان قيل قوله تع ولا تعثوا في الارض مفسدين العثو الفساد فيصير المعنى ولا تفسدوا
في الارض مفسدين قلنا قد سبق مثل هذا السؤال وجوابه في سورة البقرة وجواب آخر
هنا معناه ولا تعثوا في الارض بالكفر وانتم تفسدون بنقص المكيال والميزان
فان قيل كيف قال بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين شرط الايمان في كون البقية خيرا لهم وهي
خير لهم مطلقا لان المراد ببقية الله ما يبقى لهم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن وذلك
خير لهم وان كانوا كفارا لانهم يسلمون معه من عقاب البخس والتطفيف قلنا انما
شرط الايمان في خيرية البقية لان خيريتها وفائدتها مع الايمان اظهر وهو حصول
الثواب مع النجاة من العقاب ومع فقد الايمان اخفى لانغماس صاحبها في عذاب
الكفر الذي هو اشد العذاب الثاني ان المراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح لكم
فان قيل كيف قال وما قوم لوط منكم ببعيد ولم يقل ببعيدين والقوم اسم جماعة الرجال وما جاء
في القرآن الضمير العائد اليه الا ضمير جماعة قال الله تع ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم وقال
لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم قلنا فيه اضمار تقديره وما اهلاك قوم
لوط او مكان قوم لوط ومكان قوم لوط كان قريبا منهم واهلاكهم ايضا قريب من زمانهم
الثاني ان فعيلا يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع وقال الجوهري يقال ما انتم منا
ببعيد وقال الله تع والملائكة بعد ذلك ظهير وقال عن اليمين وعن الشمال قعيد
فان قيل فلولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز كلام واقع فيه وفي رهطه

وانهم الا عزة عليهم دونه فكيف مع قوله ارهطي اعز عليكم من الله فلما تهاونتم به وهو نبي
الله تهاونتم بالله فحيث عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى
قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فان
قيل قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه بذكر عاقبة العاملين منه ومنهم
فكان المطابق والموافق في ظاهر الفهم ان يقول من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى
ينصرف من ياتيه عذاب يخزيه اليهم ومن هو صادق اليه قلنا القياس ما ذكرتم ولكنهم
لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان قيل كيف قال
تعالى اذا اخذ القرى وهي ظالمة والقرى لا تكون ظالمة لان الظلم من صفات من يعقل او من
صفات الحيوان دون الجماد قلنا هو من الاسناد المجازي والمراد به اهلها كما قال تعالى
في موضع آخر ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها لكن لما امن اللبس اسند الظلم الى القرية لفظا
كما في قوله واسأل القرية فان قيل كيف التوفيق بين قوله تعالى يوم ياتي لا تكلم نفس الا باذنه
وبين قوله يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون فان الآية الثالثة تناقض الآية الاولى بنفي الاذن وتناقض الآيتين جميعا
بنفي النطق قلنا اما التوفيق بين الآيتين الاوليين فظاهر لان معناه تجادل عن نفسها
باذنه فتوافقت الآيتان واما الآية الثالثة فانها لا تناقض الآية الاولى بنفي الاذن ان قلنا
ان الاستثناء من النفي ليس باثبات لان الآية الاولى لا تقتضي وجود الاذن حينئذ بل تقتضي نفي
الكلام عند انتفاء الاذن فاما ان قلنا ان الاستثناء من النفي اثبات ناقضت الآية الثالثة

الآية الاولى ولا يتناقض الآيتين بنفي النطق لان يوم القيمة يوم طويل فيه مواقف ومواطن
ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم فيه وفي بعضها
يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم وهذا جواب عام
عن مثل هذه الآيات ويرد على هذا ان قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون نفي النطق عنهم يوم
القيمة فيقتضي انتفاءه في جميع اجزائه وذكر الزمان علة بعموم النفي كما يعم النفي جميع اجزاء المكان
في قولنا لا وجود لزيد في الدار فاندفع الجواب باختلاف المواقف والمواطن فيكون الجواب
ان الآية الثالثة اريد بها طائفة خاصة غير الطائفة الاوليين فلا تناقض فان قيل كيف
قال فمنهم شقي وسعيد وكلمة من للتبعيض ومعلوم ان الناس كلهم اما شقي او سعيد فما
معنى التبعيض هنا قلنا التبعيض هنا على حقيقته لان اهل القيامة ثلاثة اقسام شقي وسعيد
وهم اهل النار والجنة كما ذكر في هذه الآية مفصلا وقسم لا شقي ولا سعيد وهم اهل الاعراف
الثاني ان معنى الكلام فمنهم شقي ومنهم سعيد وهذا يقتضي ان يكون الشقي بعض الناس والسعيد
بعض الناس والامر كذلك اذ لا يقتضي ان يكون الشقي والسعيد كلاهما بعض الناس بل كل
واحد منهما بعض وكلاهما كل كما تقول من الحيوان انسان ومن الحيوان غير انسان وكل الحيوان
اما انسان او غير انسان فان قيل كيف قال تعالى ما دامت السموات والارض واراد به بيان دوام
الخلود لان اهل الجنة واهل النار مخلدون فيها خلودا لا نهاية له والسموات والارض
دوامهما منقطع لانها يوم القيمة تنعدم قال الله تعالى كلا اذا دكت الارض دكا دكا
وقال اذا السماء انفطرت وقال يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ونظائره كثيرة .

ما دل على خراب السموات والارض قلنا للعرب في معنى الابد الفاظ منها يقولون
لا افعل كذا ما اختلف الليل والنهار وما دامت السماء والارض وما اطت الابل ويريدون
به لا افعله ابدا مع قطع النظر عن كون الموقت به له نهاية او لا نهاية له الثاني انه
خاطبهم على معتقدهم ان السموات والارض لا تزول ولا تتغير الثالث انه اراد به كون
الفريقين في قبورهم اما متنعمين او معذبين كما جاء في الحديث ان القبر اما روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ومن كان في روضة من رياض الجنة فهو في
الجنة ومن كان في حفرة من حفر النيران فهو في النار فعلى هذا يكون المراد بالتاقيت
بدوام السموات والارض مدة الخلود الى يوم القيمة الرابع المراد به سموات الآخرة
وارضها قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فيكون المعنى لا تزول ولا تفنى
ولانه لا بد لاهل الجنة ما يظلهم ويقلهم اما سماء يخلقها الله تعالى او العرش كما جاء في الاخبار
ان اهل الجنة تحت ظل العرش وكل ما اظلك فهو سماء وجاء في الاخبار ايضا في صفة الجنة
ان ترابها من زعفران فدل على ان لها ارضا فالمراد تلك السماء وتلك الارض فان قيل اذا كان
المراد بهذا التاقيت دوام الخلود دواما لا آخر له فكيف يصح الاستثناء في قوله الا ما شاء
ربك قلنا قال الفراء الا هنا بمعنى غير وسوى معناه خالدين فيها ما دامت السموات
والارض سوى ما شاء الله تعالى من الخلود والزيادة فكانه قال خالدين فيها قدر مدة الدنيا
غير ما شاء الله تعالى من الزيادة عليها الى غير نهاية وهذا القول انما يصح اذا كان المراد سموات
الدنيا وارضها قال ابن قتيبة ومثله في الكلام ان تقول لاسكننك في هذه الدار حولا الا

الا ما شئت تريد سوى ما شئت ان ازيدك على الحول الثاني انه استثناء لا يفعله كما تقول
لاهجرنك الا ان ارى غير ذلك وعزمك على هجرانه ابدا وهو معنى قول ابن عباس الا
ما شاء ربك وقد شاء ان يخلدوا فيها قال الزجاج وفائدة هذا الاستثناء اعلامنا انه لو شاء ان
لا يخلدهم لما خلدهم ولكنه ما شاء الا خلودهم الثالث انه استثناء لزمان البعث والحشر
والوقف للعرض والحساب فان الاشقياء والسعداء في تلك الازمان كلها ليسوا في النار
ولا في الجنة الرابع ان ما بمعنى من والمستثنى من يدخل النار من الموحدين فيعذب بقدر
ذنوبه ثم يخرج من النار ويدخل الجنة وهذا الوجه يختص بالاستثناء من الاشقياء فقط الخامس
ان المستثنى زمان كون اهل الاعراف على الاعراف قبل دخولهم الجنة وهذا الوجه يختص بالاستثناء
من السعداء فقط واهل الاعراف من السعداء لانهم لم يدخلوا النار ولا مصيرهم الا الخلود في
الجنة السادس انه استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة لان
الاشقياء لا يخلدون في عذاب النار بل يعذبون بالزمهرير وغيره من انواع العذاب
سوى النار وكذلك السعداء لهم سوى نعيم الجنة ما هو اجل منها وهو الزيادة التي وعدهم
الله اياها بقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة ثم رضوان الله كما قال تعالى وعد الله
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في
جنات عدن ورضوان من الله اكبر وقال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين فهو المراد بالاستثناء ويعضد هذا الوجه قوله تعالى بعد ذكر الاشقياء ان ربك
فعال لما يريد وقوله تعالى بعد ذكر السعداء عطاء غير مجذوذ يعني انه يفعل باهل

النار ما يريد من انواع العذاب ويعطي اهل الجنة انواع العطاء الذي لا انقطاع له
ما خلاف المقطعين توكيد وصف الاستثناء الى ما ذكرنا فتامل كيف تفسر القرآن
بعضه بعضا فان قيل ما الفائدة في قوله تعالى غير منقوص بعد قوله وانا لموفوهم نصيبهم قلنا التوفية
والايفاء اعطاء الشيء وافيا اي تاما فيعلم الجواب وغيره والتمام لا يكون منقوصا قلنا
هو من باب التاكيد كما في قوله تعالى ولذلك خلقهم اشارة الى ماذا قلنا هو اشارة الى ما عليه
الفريقان من حالي الاختلاف والرحمة فمعناه انه خلق اهل الاختلاف واهل الرحمة اهل
للرحمة وقد فسره ابن عباس رضي الله عنه فقال خلقهم فريقين فريقا رحمهم فلم يختلفوا
وفريقا لم يرحمهم فاختلفوا وقيل هو اشارة الى معنى الرحمة وهو الترحم وعلى هذا يكون
الضمير في خلقهم للذين رحمهم فلم يختلفوا وقيل اشارة الى الاختلاف والضمير في خلقهم
للمختلفين واللام على الوجه الاول والثالث لام العاقبة والصيرورة لا لام كي
وهي التي تسمى لام الغرض والمقصود لان الخلق للاختلاف في الدين لا يليق بالحكمة
ونظير هذه اللام قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقول الشاعر
لدوا للموت وابنوا للخراب وقيل انها لام التمكين والاقدار كما في قوله تعالى جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه وقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها والتمكين والاقدار
حاصل وان لم يسكن بعض الناس في الليل ولم تركب بعض هذه الدواب
ومعنى التمكين والاقدار هنا انه سبحانه وتعالى اقدرهم على قبول حكم الاختلاف
ومكنهم منه وقيل اللام هنا بمعنى على كما في قوله تعالى وتله للجبين وقوله تعالى يخرون

يخرون للاذقان سجدا فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل
وقوله تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك قلنا معناه
وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل هو ما نثبت به فؤادك فما في موضع رفع وقع
خبرا لمبتدا محذوف فلا يقتضي اللفظ قص انباء جميع الانبياء فلا تناقض الآيتان
الثاني ان المراد بالكل هنا البعض كما في قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا وقوله تعالى
وجاءهم الموج من كل مكان وقوله تعالى واوتيت من كل شيء وكل شيء الرشاه طارق غيرهم
وقول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل   وكل نعيم لا محالة زائل وكثير من
الاشياء غير الله حق كالنبي عليه السلام والايمان والجنة وغير ذلك وكذلك نعيم الجنة
والآخرة ليس بزائل ولبيد صادق في هذا البيت لقوله عليه السلام اصدق كلمة قالها
شاعر قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل فان قيل ما فائدة تخصيص هذه السورة بقوله
تعالى وجاءك في هذه الحق مع ان الحق جاء في كل سور القرآن قلنا قالوا فائدة
تخصيص هذه السورة بذلك زيادة تشريفها وتفضيلها مع مشاركة غيرها
اياها في ذلك كما في قوله تعالى وان المساجد لله وقوله وجبريل وميكال بعد قوله وملائكته
وقوله والصلاة الوسطى بعد الصلوات (قوله تعالى) ووجه المشابهة بينهما انه كما حمل قوله وجبريل
وميكال على التشريف والتفضيل عند تعذر حمله على تعلق العداوة
به لئلا يلزم تحصيل الحاصل وكذا في المثال الآخر تعذر حمله على ايجاب المحافظة
لما قلنا وهنا تعذر حمله على حقيقته وهو الجنس او المعهود لان

حقيقة الحصار كل حق في هذه السورة وهو منتف او حمل الحق على معهود سابق
وهو منتف وحمله على بعض الحق يلزم منه وصف هذه السورة بوصف مشترك بينها
وبين كل السور وانه لا يحسن كالو قال وجاءك في هذه آيات او كلام الله او كلام
معجز فيجعل مجازا عن التفضيل والتشريف وقيل الاشارة بهذه الى الدنيا لا الى
السورة والجمهور على القول الاول ولا يقال انما خصت هذه السورة بذلك لان فيها
الامر بالاستقامة بقوله فاستقم كما امرت والاستقامة من اعلى المقامات
عند العارفين لانا نقول الامر بالاستقامة ايضا في سورة حم عسق قال
الله فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم فلا يصلح هذا علة للتخصيص
فان قيل كيف قال اني رايت احد عشر كوكبا والشمس
والقمر ولم يقل ثلاثة عشر كوكبا وهو اوجز واخصر والذي رآه كان احد عشر
كوكبا غير الشمس والقمر قلنا قصد عطفهما على الكواكب تخصيصا لهما بالذكر وتفضيلا
لهما على سائر الكواكب لما لهما من المزية والرتبة على الكل ونظيره تأخير جبريل و
ميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليهم ان قلنا انهما غير مرادين بلفظ الملائكة وكذا قوله
تعالى ان قلنا حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ان قلنا انها غير مرادة
بلفظ الصلوات فان قيل فما فائدة تكرار رأيت قلنا قال الزمخشري ليس ذلك
تكرارا بل هو كلام مستأنف وقع جوابا لسؤال مقدر من يعقوب عليه السلام كانه
قال له بعد قوله والشمس والقمر كيف رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال مجيبا

مجيبا له رايتهم لي ساجدين وقال الزجاج انما كرر الفعل توكيدا لما طال الكلام كما في قوله
وهم عن الآخرة هم غافلون وهم بالآخرة هم كافرون وقال غيره انما كرره تفخيما للرؤية
وتعظيما لها فان قيل كيف اجريت مجرى العقلاء في قوله رايتهم وفي قوله ساجدين
والظاهر انها ساجدة قلنا لما وصفها بما هو من صفات من يعقل وهو السجود
اجرى عليها حكمه كانها عاقلة وهذا شائع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من
بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة ونظيره
وقوله قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا وقوله في وصف السماء والارض قالتا اتينا
طائعين فان قيل كيف قال نرتع ونلعب وكانوا عقلاء بالغين وانبياء ايضا
في بعضهم قول وكيف رضي يعقوب عليه السلام بذلك قلنا على قراءة الياء لا اشكال البعض صح
لان يوسف عليه السلام كان يومئذ دون البلوغ فلا يحرم عليه اللعب وعلى قراءة النون
يقول كان لعبهم المسابقة والمناضلة ليعودوا انفسهم الشجاعة لقتال الاعداء
لا للهو وذلك جائز في الشرع ويعضد هذا قولهم انا ذهبنا نستبق وانما سموه
لعبا لانه في صورة اللعب ويرد على اصل السؤال ان يقال كيف يتورعون عن اللعب
وهم قد فعلوا ما هو اعظم جرما من اللعب واشد وهو القاؤهم اخاهم في الجب
على قصد القتل فان قيل كيف اعتذر اليهم يعقوب عليه السلام بعذرين احدهما قوله
اني ليحزنني ان تذهبوا به لانه كان لا يصبر عنه ساعة واحدة والثاني خوفه
عليه من الذئب فاجابوه عن احد العذرين دون الآخر قلنا حبه

اياه وايثاره له وعدم صبره على مفارقته وهو الذي كان يغيظهم ويؤلمهم فاضربوا عنه
صفحًا ولم يجيبوه عنه فان قيل كيف قال تعالى واوحينا اليه وهو يومئذ لم يكن بالغا والوحي
انما يكون بعد الاربعين قلنا المراد به وحي الالهام لا وحي الرسالة الذي هو مخصوص بما
بعد الاربعين ونظيره قوله تعالى واوحينا الى ام موسى أن ارضعيه وقوله واوحى
ربك الى النحل فان قيل كيف قال هنا ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وقال في حق موسى
عليه السلام ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما قلنا المراد ببلوغ الاشد
دون الاربعين سنة على اختلاف في مقداره والمراد بالاستواء بلوغ الاربعين او الستين
وكان ايتاء كل واحد منهما الحكم والعلم في ذلك الزمان ما اخبر عنه كما وقع فان قيل كيف وحد الباب
في قوله واستبقا الباب بعد جمعه في قوله وغلقت الابواب قلنا لان اغلاق الباب
للاحتياط لا يتم الا باغلاق جميع ابواب الدار سواء كانت كلها في جدار الدار اولا واما
هربهما منها الى الباب فلا يكون الا الى باب واحد ان كانت كلها في جدار الدار لان خروجه
في وقت هربه لا يتصور الا من باب واحد منها وان كان بعض الابواب داخل بعض
فانه اول ما يقصد الباب الادنى لقربه ولان الخروج من الباب الاوسط والباب الاقصى
موقوف على الخروج من الباب الادنى فلذلك وحد الباب فان قيل كيف قال تعالى
وشهد شاهد من اهلها ولم يكن قوله شهادة قلنا لما ادى معنى الشهادة في ثبوت قول
يوسف عليه وبطلان قولها سمي شهادة والمراد بقوله شهد اعلم وبين وحكم فان قيل قدّ
قميصه من دبر يدل على انها كاذبة وانها هي التي تبعته وجذبت قميصه من خلفه

من خلفه فقدّته واما قدّه من قبل كيف يدل على انها صادقة قلنا يدل من وجهين احدهما
انه اذا كان طالبها وهي تدفعه عن نفسها بيدها او برجلها قدّت قميصه من قبل بالدفع
الثاني انه يسرع خلفها وهي هاربة منه فيعثر في مقادم قميصه فيشقه ويرد على الوجه
الثاني انه مشترك الدلالة من جهة العثار الذي هو نتيجة الاسراع لانه يحتمل ان يكون
اسراعا في الهرب منها وهي خلفه فيعثر فينقد قميصه من قبل فان قيل كيف قال
وقالت اخرج عليهن وانما يقال خرجت الى السوق وطرقت على الباب فيحتاج الى
قلنا اذا كان الخروج بقهر وغلبة او بجمال وزينة او آية وامر عظيم فانما يعدّى بعلى ومنه
كقولهم خرج علينا في السفر قطاع الطريق ومنه قوله تعالى فخرج على قومه في زينته وقوله تعالى
فخرج على قومه من المحراب فان قيل كيف شبهن يوسف عليه بالملك بقولهن ان هذا الا
ملك كريم وهن ما رأين الملائكة قط قلنا ان كن ما رأين الملائكة فقد سمعن وصفها
الثاني ان الله تعالى قد ركز في الطباع حسن الملائكة كما ركز فيها قبح الشياطين ولذلك
يشبه كل متناه في الحسن بالملك وكل متناه في القبح بالشيطان فان قيل كيف قال يوسف
عليه اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون وترك الشيء انما يكون بعد
ملابسته والكون فيه يقال ترك فلان شرب الخمر واكل الربا ونحو ذلك اذا كان
فيه ثم اقلع عنه ويوسف عليه لم يكن على ملة الكفار قط قلنا الترك نوعان ترك بعد
الملابسة ويسمى ترك انتقال وترك قبل الملابسة ويسمى ترك اعراض كقوله تعالى في قصة
موسى عليه ويذرك والهتك وموسى عليه ما لابس عبادة فرعون ولا عبادة آلهته

في وقت من الاوقات وما يخص فهو من النوع الثاني وسياتي نظير هذا السوال في سورة
ابرهيم عم في قوله تع او لتعودن في ملتنا فان قيل كيف قال تع امر ان لا تعبدوا الا
اياه فسر الامر بالنهي او بما جزؤه النهي وهما ضدان قلنا فيه اضمار امر آخر تقديره
امر امرا اقتضى ان لا تعبدوا الا اياه وهو قوله تع واياي فاعبدون فانه
باعمال تقديم المفعول في معنى الحصر كانه قال تع لا تعبدوا الا اياي فتعين
الثاني ان فيه اضمار نهي وتقديره امر ونهى ثم فسر الامرين بقوله تع الا تعبدوا
الا اياه الثالث ان قوله ان لا تعبدوا وان كان مضادا للامر من حيث الصورة فهو
موافق له من حيث المعنى فلم قلتم ان تفسير الشيء بما يضاده صورة ويوافقه معنى
غير جائز بيان موافقته معنى من وجهين احدهما ان النهي عن الشيء امر بضده
وعبادة الله تع ضد عبادة غير الله الثاني ان معنى مجموع قوله الا تعبدوا الا اياه
اعبدوه وحده فيكون تفسيرا للامر المطلق ببعض من افراده وانه جائز فان
قيل الانبياء عليهم السلام اعظم الناس زهدا في الدنيا ورغبة في الآخرة فكيف قال يوسف
عليه السلام اجعلني على خزائن الارض طلب ان يكون متمكنا على الخزائن متوليا لها وهو
من اكبر مناصب الدنيا قلنا انما طلب ذلك ليتوصل به الى امضاء احكام الله تعالى
واقامة الحق وبسط العدل ونحوه مما يبعث له الانبياء ولعلمه ان احدا غيره
لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء لوجه الله تع وسعيا في منافع العباد
ومصالحهم لا لحب الملك والدنيا ونظيره قوله تع ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت

وقت
لاستكثرت من الخير يعني لو كنت اعلم اي وقت يكون القحط لادخرت لزمن القحط طعاما
كثيرا لا للحرص لكن لاتمكن من اعانة الضعفاء والفقراء وقت الضرورة والمضايقة
ويحتمل ان يكون عم بعثه لذلك الفعل مكان طلبه واجبا عليه فان قيل كيف جاز ليوسف عم ان
يامر المؤذن ان يقول ايتها العير انكم لسارقون وذلك بهتان وتسريق بالصواع
لمن لم يسرقه وتكذيب للبريء واتهام له قلنا معناه انكم لسارقون تورية عما جرى منهم
مجرى السرقة وتصورت بصورتها من فعلهم بيوسف ما فعلوه اولا الثاني ان ذلك القول
كان من المؤذن بغير امر يوسف عم كذا قال بعض المفسرين الثالث ان حكم هذا
الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله تع لايوب عم
وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وقول ابرهيم عم في حق زوجته هي اختي
ليسلم من يد الكافر وما اشبه ذلك فان قيل كيف تاسف يعقوب عم على يوسف
دون اخيه بقوله يا اسفا على يوسف والرزء الاحدث اشد على النفس واعظم اثرا
قلنا انما يكون اشد اذا تساوت المصيبتان في العظم ولم تتساويا هنا بل فقد
يوسف كان اعظم عليه واشد من فقد اخيه فانما خصه بالذكر على ان الرزء فيه ليدل صح
مع تقادم عهده ما زال غضا طريا فان قيل كيف قال تع وابيضت عيناه من
الحزن والحزن لا يحدث بياض العين لا طبا ولا عرفا قلنا قال ابن
عباس رضي الله عنهما من الحزن اي من البكاء لان الحزن سبب البكاء فاطلق
اسم السبب واراد به المسبب وكثرة البكاء قد تحدث بياضا في العين تغشي

السواد وهكذا جرى ليعقوب عليه وقيل اذا كثرت الدموع محقت سواد
العين وقلبته الى بياض كدر فان قيل كيف قال يعقوب عليه انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون مع ان المؤمنين من ييأس من روح الله
اى من فرجه وتنفيسه او من رحمته على اختلاف القولين اما لشدة مصيبته
او لكثرة ذنوبه كما جاء فى الحديث فى قصة الذى امر اهله اذا مات ان يحرقوه
ويذروا رماده فى البر والبحر ففعلوا به ذلك ثم ان الله تع غفر له كما جاء مشروحا
فى الحديث المشهور وهو من الصحاح مع انه يئس من رحمة الله وضم الى
اياسه ذنبا آخر وهو اعتقاده انه اذا احرق وذرى رماده لا يقدر الله
تعالى على احيائه وتعذيبه ومع هذا كله غفر له قلنا انه لم يمت كافرا فلعله
انما ييأس من روح الله الكافر لا المسلم عملا بظاهر الآية وكل مؤمن تحقق منه
الياس من روح الله فهو كافر فى الحال حتى يعود الى الاسلام الى رجاء
روح الله واما الرجل المغفور له فى الحديث فلا نسلم انه لم يكفر ثم ان الله تع
لما احياه فى الدنيا عاد الى الاسلام بعوده الى رجاء روح الله تع فلذلك غفر له
او يكون قد عاد الى رجاء روح الله تع قبل موته الاولى ولم يتسع له الزمان ان
يرجع عن وصيته التى اوصى اهله بها فمات مسلما فلذلك غفر له فان قيل
فى قوله تع وخروا له سجدا كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله تع قلنا كان
السجود عندهم تحية وتكرمة كالقيام والمصافحة عندنا وقيل كان انحناء

انحناء كالركوع ولم يكن وضع الجبهة على الارض الا ان قوله وخروا يأبى ذلك لان
الخرور عبارة عن السقوط ولا يرد عليه قوله تع وخر راكعا لانهم قالوا اراد به
ساجدا فعبر عن السجود بالركوع كما عبر به عن الصلوة فى قوله تع واركعوا مع
الراكعين اى صلوا مع المصلين وقيل له اى لاجله فاللام للسببية لا لتعدية
السجود الى يوسف عليه فالمعنى وخروا لاجل يوسف عليه سجدا لله تع شكرا على جمع شملهم
وقيل الضمير فى له يعود الى الله تع وهذا الوجه يدفعه قوله يا ابت هذا تاويل رؤياى من
قبل قد جعلها ربى حقا فان قيل كيف ذكر يوسف عليه نعمة الله تع عليه فى اخراجه
من السجن فقال وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن ولم يذكر نعمته عليه فى لم يذكر ح
اخراجه من الجب وهو اعظم نعمة لان وقوعه فى الجب كان اعظم خطرا
قلنا انما ذكر هذه النعمة دون تلك النعمة لوجوه احدها ان محنة السجن ومصيبته
كانت اعظم لطول مدتها فانه لبث فيه بضع سنين وما لبث فى الجب الا مدة
يسيرة الثانى انه انما لم يذكر الجب كيلا يكون فى ذكره توبيخ وتقريع لاخوته بعد
قوله لا تثريب عليكم اليوم الثالث ان اخراجه من السجن كان مقدمة لملكه
وعزه فلذلك ذكره وخروجه من الجب كان مقدمة الذل والرق والاسر
فلذلك لم يذكره الرابع ان مصيبة السجن كانت اعظم عنده لمصاحبة الاوباش
والاراذل واعداء الدين بخلاف مصيبة الجب فانه كان مؤنسه فيه جبريل
وغيره من الملائكة عليهم السلام فان قيل كيف قال يوسف عليه توفنى مسلما وهو

نعلم ان كل نبي لا يموت الا مسلماً فلما يجوز ان يكون قد دعا بذلك في حال غلبة
الخوف عليه غلبة اذهلته عن ذلك العلم في تلك الساعة الثاني انه دعا بذلك مع علمه
اظهاراً للعبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة وتعليما للامة
فان قيل كيف يجتمع الايمان والشرك وهما ضدان حتى قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا
وهم مشركون قلنا معناه وما يؤمن اكثرهم بان الله خالقه ورازقه وقالوا السموات
والارض قولا الا وهو مشرك لعبادة الاصنام فعلا الثاني ان المراد بها المنافقون
يؤمنون بالسنتهم قولا ويشركون بقلوبهم اعتقاداً الثالث ان المراد بها تلبية العرب
كانوا يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فكانوا يؤمنون
باول تلبيتهم بنفي الشريك ويشركون بآخرها باثباته فان قيل هذه التلبية توحيد كلها ولا
شرك فيها لان معنى قولهم الا شريكا هو لك هو مملوك لك موصوفا بانك تملكه وتملك ما ملك الا شريكا هو لك
فاللام هنا للملك لا لعلاقة الشركة وهذا الاستثناء يحتمل ان يكون حقيقيا ويحتمل
ان يكون مجازيا بيان الاول ان قلنا ان اللام حقيقة في المعنى العام في موارده وهو الاختصاص
يكون قولهم لا شريك لك عاما في نفي كل شريك مضاف الى الله تعالى بجهة اختصاص فاندرج
في النفي من جملة اللفظ الشريك المضاف بجهة المملوكية وهو شريك زيد وعمرو ونحوهما فيقع
عليه الاستثناء حقيقيا وان قلنا انها مشترك بين المعاني الثلاثة المتجاوزة في موارد فيكون استثناء ح
استعمالها وهي الملك والاستحقاق وسائر الاختصاص والعلية فقولهم لا شريك لك يكون
عاما ايضا عند من يجوز حمل المشترك على مفهوميه في حالة واحدة فيكون الاستثناء

الاستثناء ايضا حقيقيا كما مر واما على قول من لا يجوز ذلك يكون النفي وارداً على احد
مفهوماته وهو علاقة الشركة فيكون الاستثناء بعده مجازيا من باب تأكيد المدح
بما يشبه الذم وهو نوع من انواع البلاغة مذكور في علم البيان وشاهده قول
الشاعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب معناه
ان كان هذا عيبا ففيهم عيب وهذا ليس بعيب فلا يكون فيهم عيب فكذا هنا
معناه ان كان الشريك المملوك لك يصلح شريكا لك فلك شريك وهو لا يصلح شريكا لك
فلا يكون لك شريك لان كل ما يدعى انه شريك لك فهو مملوك لك وهذا المعنى هو المراد
بقوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم الآية فان قيل على الوجه الاول انه ليس بصحيح لانا لو
جعلنا اللام حقيقة في المعنى العام وهو الاختصاص يلزم منه الكفر حيث جعل
نفي الشريك من غير استثناء لانه يلزم منه نفي ملكه تعالى شريك زيد وعمرو ونحوهما
بالنصب مفعول ملكه وبالجر بدل من ملكه
وهو كفر واللازم منتف لانه ايمان محض بلا خلاف قلنا انما يلزم الكفر مع عموم
وهو مع الشريك لك
لان حقيقته العرفية عند عدم الاستثناء نفي كل شريك مضاف الى الله سبحانه وتعالى
بعلاقة الشركة لا نفي كل شريك مضاف اليه بجهة ما فصارت الحقيقة اللغوية
مهجورة بالحقيقة العرفية عند عدم الاستثناء والجواب عن اصل السؤال انه
سؤال حسن محقق وان هذه التلبية توحيد محض على التقديرين فان صح النقل
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها فانما نهى عنها لانها توهم اثبات الشريك بمقتضى الاستثناء
عند قاصر النظر وهو عوام الناس فلهذه العلة نهى عنها

فان قيل كيف قال ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ولم يقل ومن هو سارب بالنهار
ليساوي معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد ساوى واحدا هو مستخف
وسارب اي ظاهر وليناسب لفظ الجملة الاولى والثانية فانه قال في الجملة الاولى من اسر
القول ومن جهر به قلنا قوله وسارب معطوف على من لا على مستخف فيساوي معنى
الاستواء اثنين الثاني انه وان كان معطوفا على مستخف الا ان من هنا معنى التثنية
كقوله تكن مثل من يا ذئب يصطحبان فكانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب
بالنهار فان قيل كيف قال وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي في ضياع وبطلان والكفار
يدعون الله تع في اوقات الشدائد والاهوال ومشارفتهم الغرق في البحر فيستجيب
لهم قلنا المراد بالدعاء العبادة وما عبادة الكافرين الاصنام الا في ضلال ويعضده قوله تع قبله
والذين يدعون من دونه اي يعبدون فان قيل كيف طابق قولهم لولا انزل عليه آية
من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب قلنا هو كلام جرى مجرى
التعجب من قولهم لان الآيات الباهرة المتكاثرة التي هي اوتيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم تؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية ووراء كل آية فاذا جحدوا آياته ولم
يعتدوا بها وجعلوه كان آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب فكانه قيل لهم ما
اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم فان قيل كيف المطابقة بين قوله تع افمن
هو قائم على كل نفس بما كسبت وقوله وجعلوا لله شركاء قلنا فيه محذوف تقديره
افمن هو رقيب على كل نفس صالحة وطالحة يعلم ما كسبت من خير وشر

لم يوحدوه وجعلوا لله شركاء او تقديره افمن كان بهذه الصفة ...

وشر ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك وهو الصنم ثم ابتدأ فقال وجعلوا لله شركاء او تقديره
افمن هو بهذه الصفة يغفل عن اهل مكة واقوالهم وافعالهم وجعلوا لله شركاء فان قيل كيف
اتصل قوله تع قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله وهو قوله تع ومن الاحزاب من ينكر بعضه
قلنا هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك
به فانكاركم لبعضه انكار لعبادة الله تع وتوحيده كذا اجاب الزمخشري وفيه نظر
فان قيل كيف قال تع وقد مكر الذين من قبلهم اثبت لهم مكرا ثم نفاه بقوله تع فلله المكر
جميعا قلنا معناه ان مكر الماكرين مخلوق له ولا يضر الا بارادته فهذا وجه
صحة اضافته مكرهم اليه الثاني انه جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره لانه
يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة عما يراد فينعكس مكرهم عليهم
فان قيل قوله تع وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم هذا في حق غير النبي صلعم
من الرسل مناسب لان غيره لم يبعث الى الناس كافة بل الى قومه فقط فارسل بلسانهم
ليفقهوا عنه الرسالة ولا يبقى لهم حجة بانا لم نفهم رسالتك فاما النبي صلى الله عليه وسلم فانه
بعث الى الناس كافة قال يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وما ارسلناك الا كافة
للناس فارساله بلسان قومه ان كان لقطع حجة العرب فالحجة باقية لغيرهم من اهل
الالسن الباقية وان لم يكن لغير العرب حجة فلو نزل القرآن بلسان غير العرب لم يكن
للعرب حجة قلنا نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم بلسان واحد كاف لان الترجمة
لاهل بقية الالسن تغني عن نزوله بجميع الالسن وتكفي التطويل كما جرى

اي لا فيه من انواع التطويل

فى القرآن العزيز الثانى ان نزوله بلسان واحد أبعد عن التحريف والتبديل واسلم من
التنافى والاختلاف الثالث انه لو نزل بالسنة كل الناس وكان معجزا فى كل واحد منها
وكلم الرسول العربى كل امة بلسانها كما كلم امته التى هو منها لكان ذلك امرا قريبا وكل
من القرى والالجاء وبعثة الرسل لم تبن على القسر والالجاء بل على التمكين من الاختيار
فلما كان نزوله بلسان واحد كافيا كان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه
وافهم عنه فان قيل كيف قال هنا فى سورة البقرة يذبحون وفى سورة الاعراف يقتلون
بغير واو فيهما وقال هنا ويذبحون بالواو والقصة واحدة قلنا حيث حذف الواو
جعل الذبيح كانه جنس آخر غير العذاب لانه اوفى على بقية انواعه وزاد عليها
زيادة ظاهرة فعلى هذا يكون اثبات الواو ابلغ فان قيل ما معنى التبعيض فى قوله
ليغفر لكم من ذنوبكم قلنا ما جاء هكذا الا فى خطاب الكافرين كقوله فى خطاب المؤمنين
فى سورة الصف يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم الى قوله يغفر لكم ذنوبكم وقال فى آخر
سورة الاحزاب يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر
لكم ذنوبكم وكذا باقى الآيات فى خطاب الفريقين اذا تتبعتها وما ذكر الا للتفرقة بين
الخطابين لئلا يستوى بين الفريقين فى الوعد مع اختلاف رتبتهما الا انه يغفر
للكفار مع بقائهم على الكفر بعض ذنوبهم والذى يويد ما ذكرناه من العلة انه فى سورة
نوح عليه وفى سورة الاحقاف وعدهم مغفرة بعض الذنوب بشرط الايمان لا
مطلقا وقيل معنى التبعيض انه يغفر لهم ما بينهم وبينه لا ما بينهم وبين العباد من

والتقتيل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث انهما جعل الذبيح ح

من المظالم ونحوها وقيل من زائدة فان قيل كيف كرر تعالى الامر بالتوكل وكيف قال اولا
وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال ثانيا وعلى الله فليتوكل المتوكلون قلنا الامر الاول
لاستحداث التوكل والثانى لتثبيت المتوكلين على ما استحدثوا من توكلهم فلهذا كرره
وقال اولا المؤمنون وثانيا المتوكلون فان قيل كيف قالوا للرسل او لتعودن فى ملتنا وهم لم يكونوا
على ملة الكفار والرسل لم يكونوا على ملة الكفار قط والعود هو الرجوع الى ما كان فيه الانسان
قلنا العود فى كلام العرب يستعمل كثيرا بمعنى الصيرورة يقولون عاد فلان لا يكلمنى وعاد
لفلان مال واشباه ذلك ومنه قوله حتى عاد كالعرجون القديم الثانى انهم خاطبوا كل رسول
ومن آمن به فغلبوا فى الخطاب الجماعة على الواحد ونظير هذا السوال ما سبق
فى سورة الاعراف من قوله او لتعودن فى ملتنا وفى سورة يوسف من قوله انى تركت
ملة قوم الآية فان قيل كيف طابق السوال الجواب فى قوله وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء
للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو
هدانا الله لهديناكم قلنا لما كان قول الضعفاء توبيخا وتقريعا وعتابا للذين
استكبروا وعلى استتباعهم اياهم واستغوائهم احالوا الذنب على الله فى ضلالهم
واضلالهم كما قالوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ يقولون ذلك فى الآخرة
كما كانوا يقولونه فى الدنيا كما حكى الله تعالى عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم الآية وقيل معنى جوابهم لو هدانا الله فى الآخرة طريق
النجاة من العذاب لهديناكم اى لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق

انهم خاطبوا الرسل بذكر ... زعمهم الفاسد واعتقادهم ان الرسل كانوا اولا على ملة قومهم ثم انتقلوا عنها الثالث ح

انتم ح

ما اشركنا ولا اباونا ولو شاء الله

الهلكة في الدنيا فان قيل كيف اتصل وارتبط قولهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا بما قبله
قلنا اتصاله به من حيث ان عتاب الضعفاء للذين استكبروا كان جزعا مما هم فيه وقلقا
من الم العذاب فقال لهم رؤساؤهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص يريدون
انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلال التي كانوا مجتمعين عليها في الدنيا كانهم قالوا
للضعفاء ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة فيه كما لا فائدة في الصبر فان الامر اطم من ذلك
واعم فان قيل كيف قال الله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر عبر عنه بلفظ الماضي وذلك
القول من الشيطان لم يقع بعد وانما يوجد ويقع يوم القيمة قلنا يجوز وضع
المضارع موضع الماضي والماضي موضع المضارع اذا امن اللبس قال الله تعالى واتبعوا
ما تتلو الشياطين على ملك سليمان اي ما تلت وقال فلم تقتلون انبياء الله من قبل
وقال الحطيئة شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ان الوليد احق بالعذر فقعا على ملك سليمان
نفي اللبس وكذا قوله من قبل وقول الحطيئة يوم يلقى ربه وقوله تعالى لما قضي الامر
لان قضاء الامر انما يكون يوم القيمة فان قيل كيف قال تعالى ويضل الله الظالمين وقد
راينا كثيرا من الظالمين هداهم الله بالاسلام وبالتوبة وصاروا من الاتقياء قلنا
معناه انه لا يهديهم ما داموا مصرين على الكفر والظلم معرضين عن النظر والاستدلال
الثاني ان المراد منه الظالم الذي سبق له القضاء في الازل انه يموت على الظلم فالله تعالى
يثبته على الضلال يخذله كما يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت وهو كلمة التوحيد
الثالث ان معناه يضل المشركين عن طريق الجنة يوم القيمة فان قيل قال تعالى وجعلوا
كيف ع

وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله والضلال او الاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ
الانداد وهي الاصنام وانما عبدوها لتقربهم الى الله تعالى كما حكى الله عنهم ذلك بقوله ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وقد سبق نظيره في سورة يونس عليه السلام قلنا هذه لام العاقبة
والصيرورة لا لام الغرض والمقصود كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا
وحزنا وقول الشاعر لدوا للموت وابنوا للخراب وقول الآخر فللموت تغذو
الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن والمعنى فيه انه لما افضى بهم اتخاذ
الانداد الى الضلال او الاضلال صار كانهم اتخذوها لذلك وكذا الالتقاط والولادة والبناء
والنظاير كثيرة في القرآن العزيز وفي كلام العرب فان قيل كيف طابق الامر باقامة
الصلوة وانفاق المال وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلنا معناه قل لهم
يقدموا من الصلوة والصدقة متجرا يجدون ربحه يوم لا ينفعهم متاجر الدنيا من
المعاوضات والصداقات التي تجلبونها بالهدايا والتحف لتحصيل المنافع الدنيوية فجاءت
المطابقة فان قيل كيف قال تعالى لا بيع فيه ولا خلال اي لا صداقة وفي يوم القيامة خلال
لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولقوله عليه السلام المرء مع من احب
قلنا معناه لا خلال فيه لمن لم يقم الصلوة ولم يؤت الزكوة فاما المقيمون الصلوة والمؤتون
الزكوة فهم الاتقياء وبينهم الخلال يوم القيامة فيما تلونا من الآية فان قيل كيف قال تعالى
وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار والمسخر للانسان هو الذي
يكون في طاعته وتصرفه كيف يشاء في امره ونهيه كالدابة والعبد والفلك كما

قال تع وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وقال تعالى ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وقال تع
وسخر لكم الفلك ويقال فلان مسخر لفلان اذا كان مطيعا له ممتثلا لاوامره ونواهيه
فلما لما كان طلوعها وغروبها وتعاقب الليل والنهار لنا نفعا متصلا مستمرا
اتصالا لا ينقطع علينا فيه المنفعة ولا يتجاوز سواء شاءت هذه المخلوقات ام
ابت اشبهت المسخر المقهور في ايدينا كالعبد والفلك ونحوها الثاني ان معناه انها
مسخرة لله تعالى لاجلنا ولمنافعنا فاضافة التسخير الى الله تع بمعنى انه فاعل التسخير
واضافة التسخير الينا بمعنى عود نفع التسخير الينا فصحت الاضافتان فان
قيل كيف قال تع وآتاكم من كل ما سألتموه والله تع لم يعطنا كل ما سألناه ولا بعضا من
كل فرد مما سألناه قلنا معناه وآتاكم بعضا من جميع ما سألتموه لا من كل فرد فرد
فان قيل لا يصح هذا الحمل لوجهين احدهما انه لا يحسن الامتنان به الثاني انه
لا يناسبه قوله تع وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قلنا اذا كان البعض الذي
اعطى ما هو اكثر من جميع ما سألناه وهو الاصلح والانفع لنا في معاشنا ومعادنا
بالنسبة الى البعض الذي منع عنا لمصلحتنا ايضا لم لا يحسن الامتنان به ويكون
(اي منع الله البعض)
مناسبا لما بعده وجواب آخر عن اصل السؤال انه يجوز ان يكون قد اعطى جميع
السائلين بعضا من كل فرد ما سأله جميعهم فبهذا المقدار يصح الاخبار في الآية
وان لم يعط كل واحد من السائلين بعضا من كل فرد ما سأله وايضا فذلك لا
ان يكون قد اعطى هذا شيئا مما سأله ذاك واعطى ذاك شيئا مما سأله هذا على
بناء

على ما اقتضته الحكمة والمصلحة في حقهما كما اعطى النبي عليه السلام الرؤية ليلة المعراج وهو
سؤال موسى عليه السلام وما اشبه ذلك فان قيل كيف قال تع وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
والاحصاء والعد بمعنى وهكذا نقله الجوهري فيكون المعنى وان تعدوا نعمة الله
لا تعدوها وانه متناقض كقولك ان تر زيدا لا تبصره اذ الرؤية والابصار واحد قلنا
بعض المفسرين فسر الاحصاء بالحصر فان صح ذلك لغة اندفع السؤال ويؤيده قول ذكر ح
الزمخشري لا تحصوها اي لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها وعلى القول
الاول فيه اضمار تقديره وان تريدوا عد نعمة الله لا تعدوها فان قيل كيف قال تعالى
لا تحصوها وهو يوهم ان نعمة الله علينا غير متناهية فكل نعمة ممتن بها علينا
في مخلوقة وكل مخلوق متناه قلنا لا نسلم انه يوهم انها لا تتناهى وذلك لان المفهوم
منه منحصر في انا لا نطيق عدها وحصر عددها ويجوز ان يكون الشيء متناهيا
في نفسه والانسان لا يطيق عده كرمل القفار وقطر البحار وورق الاشجار
وما اشبه ذلك فان قيل كيف قال ابراهيم عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وعبادة
الاصنام كفر والانبياء معصومون عن الكفر باجماع الامة فكيف حسن منه هذا
السؤال قلنا انما سأل هذا السؤال في حالة خوف اذهله عن ذلك العلم لان
الانبياء عليهم السلام اعلم الناس بالله فيكونون اخوفهم منه فيكون معذورا
بسبب ذلك وقيل ان في حكمة الله تع وعلمه ان لا يبتلي نبيا من الانبياء
بالكفر بشرط ان يكون متضرعا الى ربه طالبا منه ذلك فاجرى على لسانه هذا

السؤال لتحقق شرط العصمة فان قيل كيف قال رب انهن اضللن كثيرا من الناس وجعل
الاصنام مضلة والمضل ضار وقال في موضع آخر ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا
ينفعهم ونظائره كثيرة فكيف التوفيق بينهما قلنا اضافة الاضلال اليها مجاز بطريق
المسببية ووجهه انهم لما ضلوا بسببها فكانها اضلتهم كما قال فتنتكم الدنيا وغرتكم
اي افتتنوا بسببها واغتروا ومثله قولهم دواء مسهل وسيف قاطع وطعام
مشبع وماء مرو وما اشبه ذلك معناه حصول هذه الآثار بسبب هذه الاشياء
وفاعل الآثار هو الله تعالى فان قيل كيف قال تع افئدة من الناس ولم يقل افئدة
الناس وجعل قلوب الناس اظهر استعمالا من قوله قلوبا من الناس قلنا
قال ابن عباس رضه لو قال ابرهيم عم في دعائه افئدة الناس لحجت جميع الملل
وازدحم عليه الناس حتى لم يبق لمؤمن فيه موضع مع ان حج غير المؤمنين
لا يفيد والافئدة هنا القلوب في قول الاكثرين وقيل الجماعة من الناس فان
قيل اذا كان الله تع قد ضمن رزق العباد فلم سأل ابرهيم عم الرزق لذريته
فقال وارزقهم من الثمرات قلنا الله تعالى ضمن الرزق والقوت الذي
لا بد للانسان منه ما دام حيا ولم يضمن كونه ثمرا او حبا او نوعا معينا
فالسؤال كان لطلب الثمر عينا فان قيل قوله تع الحمد لله الذي وهب لي على
الكبر اسمعيل واسحق شكر على نعمة الولد فكيف يناسبه قوله بعده ان ربي
لسميع الدعاء قلنا لما كان قد دعا ربه لطلب الولد بقوله رب هب لي من

لمن الصالحين فاستجاب له ناسب قوله بعده ان ربي لسميع الدعاء اي
لمجيبه من قولهم سمع الملك كلام فلان اذا اجابه وقبله ومنه قوله في الصلوة
سمع الله لمن حمده اي اجابه واثابه فان قيل كيف قال ربنا اغفر لي ولوالدي استغفر
لوالديه وكانا كافرين والاستغفار للكفار لا يجوز ولا يقال ان هذا موضع الاستثناء
المذكور في قوله تع وما كان استغفار ابرهيم لابيه الآية لان المراد بذكر استغفاره
لابيه خاصة بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين والموعدة التي وعدها اياه
كانت له خاصة بقوله سأستغفر لك ربي ولهذا قال الله تع الا قول ابرهيم لابيه
لاستغفرن لك قلنا هذا الاستغفار انما كان مشروطا بايمانهما يعدنوا كانه
قال ولوالدي ان آمنا الثاني انه اراد بهما آدم وحوا عليهما السلام وقرأ ابن عباس
وابي والنخعي والزهري ولولدي يعني اسمعيل واسحق ويعضد هذه القراءة
سبق ذكرهما ولا اشكال على هذه القراءة وقيل ان هذا الدعاء على القراءة المشهورة
كان زلة من ابرهيم عم واليها اشار بقوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم
الدين فان قيل الله تع منزه ومتعال عن السهو والغفلة والنبي عم اعلم
الناس بصفات جلاله وكماله فكيف يحسب النبي عم غافلا حتى نهاه عن
هذاج ذلك بقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قلنا يجوز ان يكون نهيا
لغير النبي عم ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته وقوله تع بعده وانذر
الناس لا يدل قطعا على ان الخطاب الاول للنبي عم لجواز ان يكون ذكر النبي لغرض

هزام
مع ان الامر له الثاني انه مجاز معناه ولا تحسبن الله مهمل الظالمين وتاركهم سدى
لكون هذا من لوازم الغفلة عنهم الثالث ان النهي وان كان حقيقيا والخطاب للنبي عليه السلام
فالمراد به دوامه وثباته على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله تع ولا تكونن
من المشركين وقوله تع ولا تدع مع الله الها آخر ونظير هذا النهي من الامر قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله وقول بعض المفسرين ان معنى الآية يا ايها الذين
آمنوا بموسى او بعيسى آمنوا بمحمد لا تخرج الآية عن كونها نظيرا الا ان الاستدلال
بالايمان بالله باق فتامل فان قيل كيف قالوا يا ايها الذي نزل عليه
الذكر انك لمجنون اعترفوا بنبوته بان الذكر هو القرآن نزل عليه ثم وصفوه بالجنون
قلنا انما قالوا ذلك استهزاء وسخرية لا تصديقا واعترافا كما قال فرعون لقومه ان
رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكما قال قوم شعيب له انك لانت الحليم الرشيد ونظائره
كثيرة الثاني ان فيه اضمارا تقديره يا ايها الذي يدعي انه نزل عليه الذكر فان قيل كيف
قال تعالى وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون والوارث هو الذي يتجدد له
الملك بعد فناء المورث والله تع اذا امات الخلائق لم يتجدد له ملك لانه لم يزل
مالكا للعالم بجميع ما فيه ومن فيه قلنا الوارث في اللغة عبارة عن الباقي بعد فناء
غيره سواء تجدد له بعده ملك او لا ولهذا يصح ان يقال لمن اخبر ان زيدا مات وترك
ورثة هل ترك لهم مالا او لا فمعنى الآية ونحن الباقون بعد فناء الخلائق
الثاني ان الخلائق لما كانوا يعتقدون انهم مالكون ويسمون بذلك ايضا اما مجازا

مجازا عن الله تع كالعبد الماذون والمكاتب ويدل عليه قوله تع يؤتي الملك من يشاء
فاذا امات الخلائق كلهم سلمت الاملاك كلها لله تع عن ذلك القدر من التعلق فبهذا
الاعتبار كان نسبة الوراثة
تامة
ونظير هذا قوله تع لمن الملك اليوم والملك له اولا وابدا فان
قيل قوله تع فسجد الملائكة كلهم دل على الشمول والاحاطة وافاد الكلام فائدة قوله تع
اجمعون قلنا قال سيبويه والخليل هو توكيد بعد توكيد فيفيد زيادة تمكين المعنى
وتقريره في الذهن فلا يكون تحصيل الحاصل بل يكون نسبة اجمعون الى كلهم كنسبة
كلهم الى اصل الجملة وقال المبرد قوله تع اجمعون يدل على اجتماعهم في زمان السجود وكلهم
يدل على وجود السجود من الكل فكانه قال فسجد الملائكة كلهم معا في زمان واحد واختار
ابن الانباري هذا القول واختار الزجاج واكثر الائمة قول سيبويه وقالوا
لو كان الامر كما زعم المبرد لكان اجمعون حالا لا توكيدا لكان فيه وليس بحال
لانه مرفوع ولانه معرفة كسائر الفاظ التاكيد فان قيل ما وجه ارتباط قوله تع ونبئهم
ابرهيم
عن ضيف بما قبله من قوله تع نبئ عبادي اني انا قلنا لما انزل الله تع نبئ
عبادي الآيتان ولم تعين اهل المغفرة واهل العذاب غلب الخوف على الصحابة
رضي الله عنهم فانزل الله تع بعده ذكر قصة ضيف ابرهيم عليه السلام ليزول خوف الصحابة
ويسكن قلوبهم فان ضيف ابرهيم جاؤا ببشارة للولي وهو ابرهيم عليه السلام وعقوبة
للعدو وهم قوم لوط فكذلك تشتمل الآيتين المتقدمتين على الولي والعدو
لا على الولي وحده الثاني ان وجه الارتباط ان العبد وان كان كثير الذنوب والخطايا

غير طامع في المغفرة لا يبعد ان يغفر الله تعالى له على يأسه كما رزق ابرهيم الولد على
يأسه بعد ما شاخ وبلغ مائة سنة او قريبا منها فان قيل كيف قال الملائكة قدرنا
انها لمن الغابرين اى قضينا والقضاء لله تعالى لا لهم قلنا هو مجاز كما يقول خواص
الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا ونهينا عن كذا ويكون الفاعل لجميع ذلك هو الملك
لا هم وانما يظهرون بذلك مزيد قربهم واختصاصهم بالملك فان قيل كيف قال تعالى ولقد
كذب اصحاب الحجر المرسلين واصحاب الحجر قوم صالح والحجر اسم واد يسكنونه او مدينتهم
على اختلاف القولين وقوم صالح لم يرسل اليهم غير صالح فكيف يكذبونه قلنا
من كذب رسولا واحدا فكانما كذب الكل لان كل الرسل متفقون في دعوة الناس
الى توحيد الله تعالى فان قيل كيف قال تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا
يعملون وقال في سورة الرحمن فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان قلنا
الجواب عنه من وجهين احدهما ما ذكرناه في مثل هذا السؤال في سورة هود
والثاني ان المراد هنا انهم يسألون سؤال توبيخ وهو السؤال لم فعلتم والمراد ثم انهم
لا يسألون سؤال استعلام واستخبار وهو سؤال هل فعلتم
فان قيل لم قدمت الاراحة وهي مؤخرة في الواقع على السرح وهو مقدم في
الواقع في قوله تعالى حين تريحون وحين تسرحون قلنا لان الانعام في وقت
الاراحة وهي ردها عشيا الى المراح تكون اجمل واحسن لانها تقبل ملأى
البطون حافلة الضروع متهادية في مشيها يتبع بعضها بعضا بخلاف

وقت السرح وهو اخراجها الى المرعى فان كل هذه الامور تكون على ضد
ذلك فان قيل قوله تعالى لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان اريد به لم تكونوا
بالغيه عليها الا بشق الانفس فلا امتنان فيه وان اريد به لم تكونوا بالغيه
بدونها الا بشق الانفس فهم لا يبلغونه عليها ايضا الا بشق الانفس وهو
مشقتها فما فائدة ذلك قلنا معناه وتحمل اثقالكم اى احمالكم وامتعتكم معكم
الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بدونها بانفسكم من غير امتعتكم الا بجهد
ومشقة فكيف لو حملتم امتعتكم على ظهوركم والمراد بالمشقة التي تنشأ من المشي المشقة ح
او من المشي مع الحمل على الظهور لا مطلق مشقة السفر وهذا مخصوص بحال
فقد الابل فظهر فائدة ذكره فان قيل قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
يقتضي حرمة اكل لحم الخيل كما اقتضاه في البغال والحمير من حيث انه لم ينص
على منفعة لغيرهم فيها غير الركوب والزينة ومن حيث ان التعليل بعلة يقتضي
الانحصار فيها كقوله فعلت هذا لكذا فانه يناقض ان يكون فعلته لغيره او
له مع غيره الا اذا كان احدهما حجة في الاخر قلنا ينتقض بالحمل عليها والحراثة
بها فان ذلك مباح مع انه لم ينص عليه فان قيل انما ثبت ذلك بالقياس على
الانعام فانه منصوص عليه فيها بقوله تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء
ومنافع والمراد به كل منفعة معهودة منها عرفا لا كل منفعة فيثبت مثل
ذلك في الخيل والبغال والحمير قلنا لو كان ثبوته فيها بالقياس على ثبوته

فى الانعام لثبت حل الاكل فى الخيل بالقياس على ثبوته فى الانعام قلنا
لما ثبت لانه لو ثبت فى الخيل لثبت فى البغال والحمير كما ثبت الحل والحرمة
ثبوتا شاملا للكل بالقياس على ثبوته فى الانعام الجواب عن الحجة الثانية
فى اصل السؤال ان هذه ليست لام التعليل بل لام التمكين كما فى قوله جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه ومع هذا يجوز فى الليل غير السكون فان قيل كيف قال تعالى فى وصف ماء السماء ينبت
لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ولم يقل كل الثمرات
مع ان كل الثمرات تنبت بماء السماء قلنا كل الثمرات لا يكون الا فى الجنة وانما
تنبت فى الدنيا بعض منها انموذجا وتذكرة فالتبعيض بهذا الاعتبار فيكون
المراد بالثمرات ما هو انموذج من ثمرات الدنيا ومن يجوز زيادة من فى الاثبات يحمل
ان يجعلها زائدة هنا فان قيل قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق والمراد بمن لا يخلق
الاصنام بدليل قوله تعالى بعده والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا
وهم يخلقون فكيف جيء بمن المختصة باولى العلم والعقل قلنا خاطبهم على
معتقدهم لانهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولى العلم ونظير هذا
قوله تعالى فى الاصنام ايضا الهم ارجل يمشون بها الاية اجرى عليهم ضمير اولى العلم
والعقل لما قلنا ويرد على هذا الجواب ان قوله اذا كان معتقدهم خطأ
وباطلا فالحكمة تقتضى ان ينزعوا عنه ويقلعوا لا ان يبقوا عليه ويقرروا
وفى خطابهم على معتقدهم ايهام لهم ان معتقدهم حق وصواب وجوابه ان

ان الغرض من الخطاب الافهام ولو خاطبهم على خلاف معتقدهم وفهمهم فقال
افمن يخلق كما لا يخلق لما اعتقدوا ان المراد بالثانى غير الاصنام من الجماد
الثانى قال ابن الانبارى انما جاز ذكر من لانها ذكرت مع العالم فغلب عليها حكمه فى
اقتضاء من كما غلب على الدواب فى قوله فمنهم من يمشى على بطنه الآية وكما فى قول
العرب اشتبه على الراكب وجمله فما ادرى من ذا ومن ذا فان قيل هذا الالزام
للذين عبدوا الاصنام وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق
مثل الخالق فظاهر الالزام يقتضى ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق قلنا لما
سووا بين الاصنام وخالقها سبحانه وتعالى فى تسميتها باسمه وعبادتها كعبادته
فقد سووا بين خالقها وبينها قطعا فصح الالزام بتقديم ايهما كان وانما قدم فى الانكار
عليهم ذكر الخالق اما لانه اشرف او لانه هو المقصود الاصلى من هذا الكلام تنزيها
له واجلالا وتعظيما فان قيل ما فائدة قوله فى وصف الاصنام غير احياء بعد
قوله اموات قلنا فائدته انها اموات لا يعقب موتها حياة كالنطفة
والبيض والاجساد الميتة وذلك ابلغ فى موتها كانه قال اموات فى الحال غير
احياء فى المآل الثانى انه ليس وصفا لها بل لعبادها ومعناه وعبادها غير احياء القلوب
الثالث انه انما قال غير احياء ليعلم انه اراد اموات فى الحال لا انها ستموت
كما فى قوله انك ميت وانهم ميتون فان قيل كيف عاب الاصنام او عبادها
بانهم لا يعلمون وقت البعث فقال تعالى وما يشعرون ايان يبعثون والمؤمنون

الموحدون كذلك قيل معناه وما يشعر الاصنام متى تبعث عبادها فكيف يكون
آلهة مع الجهل او معناه وما يشعر عبادها وقت بعثهم لا مفصلا ولا مجملا لانهم ينكرون
البعث بخلاف الموقنين فانهم يشعرون وقت بعثهم مجملا انه يوم القيمة وان
لم يشعروه مفصلا فان قيل قوله تعالى واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين
كيف يعترفون بانه من عند الله مع ان السوال المعاد في ضمن الجواب ثم يقولوا انه
هو اساطير الاولين قلنا قد سبق مثل هذا السوال وجوابه في سورة الحجر في قوله
يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فان قيل كيف قال تعالى هنا ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وقال في موضع آخر ولا تزر
وازرة وزر اخرى قلنا معناه ومن اوزار اضلال الذين يضلونهم فيكون عليهم
وزر كفرهم لمباشرة ووزر كفر من اضلوه تسبيبا فمعنى قوله اوزارهم كاملة يعني
اوزار الذنوب التي باشروها واما قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى معناه
وزرا لا مدخل لها فيه ولا تعلق له بها مباشرة ولا تسبيبا ونظيرها هاتين
الآيتين الآيتان الاخيرتان في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم الى قوله واثقالا مع اثقالهم وجوابهما مثل جواب هاتين
الآيتين فان قيل قوله تعالى انما امرنا لشيء الآية يدل على ان المعدوم شيء ويدل على ان
خطاب المعدوم جائز والاول منتف عند اكثر العلماء والثاني منتف بالاجماع
قلنا اما تسميته شيئا فمجاز باعتبار ما يؤول اليه ونظيره قوله تعالى ان زلزلة الساعة

الساعة شيء عظيم وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون واما الثاني فان هذا خطاب تكوين
يظهر به اثر القدرة فيمتنع ان يكون المخاطب به موجودا قبل الخطاب لانه يكون بالخطاب
فلا يسبقه بخلاف خطاب الامر والنهي فان قيل قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات
وما في الارض من دابة كيف لم تغلب العقلاء من الدواب على غيرهم كما في قوله تعالى
والله خلق كل دابة من ماء الآية وبل اولى لانه ثم وصف ما لا يعقل بخصوصه بلفظة
من وهو الحية والانعام وهنا قال من في السموات ومن في الارض لا يلزم وصف
ما لا يعقل بخصوصه وتعيينه بلفظة من بل المجموع قلنا لانه اراد عموم كل دابة
وشمولها فجاء بما التي تعم النوعين وتشملها ولو جاء بمن لخص العقلاء فان قيل
قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة يقتضي انه لو اخذ الظالمين
بظلمهم لاهلك غير الظالمين من الناس ولاهلك جميع الدواب غير الناس
ومؤاخذة البري بسبب ظلم الظالم لا يحسن بالحكيم قلنا المراد بالظلم هنا الكفر
وبالدابة الدابة الظالمة وهي الكافرة كذا قاله ابن عباس وقيل معناه لو اهلك الآباء
بكفرهم لم يكن الابناء الثاني انه لا يجوز ان يهلك الجميع بشؤم ظلم الظالمين مبالغة
في اعلاء الظلم ونفي [illegible] اثره حتى لا يوجد بعد ذلك من بقية الناس ظلم موجب
للاهلاك كما وجد من الذين اهلكهم بظلمهم ودليل جواز ذلك ما وجد في زمن نوح
عليه السلام فانه اهلك بشؤم ظلم قوم نوح جميع دواب الارض الا من نجي في
السفينة فلم يبق على ظهر الارض دابة وكذا قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن

الذين ظلموا منكم خاصة ثم اذا فعل ذلك للحكمة والمصلحة التي اقتضت فعله عوض البري
في الآخرة بما هو خير وابقى الثالث ان كل انسان مكلف فهو ظالم لنفسه او لغيره لانه لا يخلو
عن ذنب صغير او كبير فلو اهلك الناس بذنوبهم لاهلك الدواب ايضا لانه انما خلق
الدواب لمصالح الناس فاذا اعدم الناس وقع استغناؤهم عن الدواب كلها فان قيل
لا نسلم ان غير الانسان من الحيوان مخلوق لمصالح الانسان وسنده انه كان مخلوقا
قبل خلق الانسان بالنقل عن كتب الشريعة وغيرها وقد جاء مصرحا به في الحديث في
باب الخلق من جامع الاصول سلمنا انه مخلوق لمصلحة الانسان لكن اهلاك غير الانسان
معه تخفيف عليه الم المصيبة لا سيما اذا كان الهالك معه من جنسه ولهذا قيل
المصيبة اذا عمت طابت سلمنا ان اهلاكه عقوبة معه مسلم له لكن لو كان اهلاكه معه
لانه خلق لمصلحته فاهلكه تعالى لاستغنائه عنه او لزيادة الايلام فالنبات ايضا
خلق لمصلحته على قولكم فلم كان اهلاك الحيوان عقوبة للانسان اولى من اهلاك النبات
ولم تقل ما ترك عليها من دابة ونبات او من شيء قلنا الجواب عن الاول قوله تعالى خلق
لكم ما في الارض جميعا وخلقه قبل الانسان لا ينفي خلقه لمصلحة الانسان كما يعد عظماء
الناس الدور والقصور والخدم والحشم والدواب والثياب لاولادهم
واولاد اولادهم قبل وجودهم وعن الثاني انا لا ندعي انه يهلك مع الانسان بل قبله لتوله
مشاهدة هلاك محبوبه ومألوفه وعن الثالث ان المراد ما ترك عليها من دابة بواسطة
منع المطر فيتقدم النبات ثم يتقدم بواسطة عدمه غير الانسان من الحيوان ثم

يتقدم الانسان كذا جاء في تفسير هذه الآية والآية التي في آخر سورة فاطر وهذا
الترتيب ابلغ في العذاب واعظم في العقاب من تقديم اهلاك الحيوان على النبات
لان الانسان اذا ابقي حيوانه بلا علف كان اوجع له مما اذا ابقي علفه بلا حيوان
فان قيل كيف قال تعالى من الجبال بيوتا ومن الشجر ولم تقل في الجبال وفي الشجر
والاستعمال انما هو في يقال اتخذ فلان بيتا في الجبل وفي الصحراء ونحو ذلك قلنا
قال الزمخشري انما اتى بلفظة من لانه اراد معنى البعضية وان لا يبني بيوتها
في كل جبل وكل شجر ولا في كل مكان من الجبل والشجر وانا اقول انه انما ذكر بلفظة
من لانه اراد كون البيت بعض الجبل وبعض الشجر كما نشاهد ونرى من
بناء بيوت النحل لا انه تتخذ من طين او عيدان في الجبل والشجر كما تتخذ
الطيور فلو اتى بلفظة في لم تدل على هذا المعنى ونظيره قوله تعالى وتنحتون من
الجبال بيوتا فان قيل كيف قال والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وازواجنا
ليس من انفسنا لانهن لو كن من انفسنا لكن محرمات علينا فان المتفرعة
من الانسان لا تحل له نكاحها قلنا المراد بهذا انه خلق آدم ثم خلق منه حواء
كما قال تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها الثاني ان المراد من جنسكم
كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم فان قيل كيف قال تعالى ويعبدون من دون الله
ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون عبر عن
الاصنام بالواو والنون وهما من خواص من يعقل قلنا لما كان فيمن يعبدونه

من دون الله من يعقل كعزير وعيسى والملائكة عليهم السلام فغلّبهم فان قيل لم
افرد في قوله تعالى ما لا يملك ثم جمع في قوله ولا يستطيعون قلنا افرد نظرا الى لفظها
وجمع نظرا الى معناها كما قال تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا
على ظهوره فافرد الضمير نظرا الى لفظها وجمع الظهور نظرا الى معناها فان قيل
ما فائدة نفي استطاعة الرزق بعد نفي ملكه والمعنى واحد لان نفي ملك الفعل
هو نفي استطاعته والرزق هنا اسم مصدر بدليل اعماله في شيئا قلنا ليس في
يستطيعون ضمير مفعول هو الرزق بل الاستطاعة منفية عنهم مطلقا ومعناه
لا يملكون ان يرزقوا ولا استطاعة لهم اصلا في رزق او غيره لانهم جماد الثاني انه
لو قدر فيه ضمير مفعول على معنى ولا يستطيعونه كان مفيدا ايضا على اعتبار كون
الرزق اسما للعين لان الانسان يجوز ان لا يملك الشيء ولكن يستطيع ان يملكه
بوجه الا حليه والقدرة على اكتساب ملكه بخلاف هؤلاء فانهم لا يملكون ولا
يستطيعون ان يملكوا فان قيل ما فائدة قوله تعالى مملوكا بعد قوله عبدا وما فائدة
قوله لا يقدر على شيء بعد قوله مملوكا قلنا لفظ العبد يصلح للحر والمملوك لان
الكل عبد الله قال الله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد فقال مملوكا ليتميز
عن الحر وقال لا يقدر على شيء ليتميز عن المأذون والمكاتب فانهما يقدران
على التصرف استقلالا فان قيل المضروب به المثل اثنان وهما المملوك
والمرزوق رزقا حسنا فظاهره ان يقال هل يستويان فكيف قال تعالى

قال تعالى هل يستوون قلنا لانه اراد جنس المالكين وجنس المالكين لا مملوكا
معينا ولا مالكا معينا الثاني انه اجرى الاثنين مجرى الجمع الثالث ان من تقع
على الجمع ولقائل ان يقول على الوجه الثالث يلزم منه ان يصير المعنى ضرب الله مثلا
عبدا مملوكا وجماعة مالكين هل يستوون وانه لا يحسن مقابلة الفرد بالجمع في التمثيل
فان قيل او في الخبر للشك والشك على الله تعالى محال فما معنى قوله الا كلمح البصر او هو اقرب
قلنا او هنا بمعنى بل كما في قوله تعالى الى مائة الف او يزيدون وقوله تعالى فهي كالحجارة او اشد
قسوة وقوله فكان قاب قوسين او ادنى ويرد على هذا ان بل للاضراب والاضراب
رجوع عن الاخبار وهو على الله تعالى محال وقيل هي بمعنى الواو في هذه الآيات وقيل
او للشك في الكل لكن بالنسبة الينا لا الى الله تعالى وكذا في قوله تعالى فكان قاب قوسين
او ادنى يعني بالنسبة الى نظر النبي عليه السلام وقال الزجاج ليس المراد ان الساعة تأتي في
اقرب من لمح البصر ولكن المراد وصف قدرة الله تعالى على سرعة الاتيان بها متى
شاء فان قيل كيف قال تعالى سرابيل تقيكم الحر ولم يقل والبرد مع ان السرابيل وهي الثياب
تلبس لدفع الحر والبرد وهي مخلوقة لهما قلنا حذف ذكر احدهما لدلالة ضده عليه
كما في قوله تعالى بيدك الخير ولم يقل والشر وكما في قول الشاعر وما ادري اذا يممت
ارضا اريد الخير ايهما يليني اي اريد الخير لا الشر او ابتغي الخير واحذر الشر
فان قيل كان ذكر الخير والحر اولى من ذكر الشر والبرد قلنا لان الخير مطلوب
العباد من ربهم ومرغوبهم اليه اولا لانه اكثر وجودا في العالم من الشر واما الحر فلان

الخطاب بالقرآن اول ما يقع مع اهل الحجاز والوقاية من الحر اهم عندهم لان الحر في
بلادهم اشد من البرد فان قيل كيف قال يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم
الكافرون مع ان كلهم كافرون قلنا قال الحسن المراد بالاكثر هنا الجميع وفي هذا
نظر لان بعض الناس لا يجوز اطلاق اسم البعض على الكل لانه ليس لازما له
بخلاف عكسه فان قيل ما فائدة قول المشركين عند رؤية الاصنام ربنا هؤلاء
شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك والله تعالى عالم بذلك قلنا لما انكروا الشرك بقولهم
والله ربنا ما كنا مشركين عاقبهم الله تعالى باصمات السنتهم وانطق جوارحهم فقالوا
عند معاينة آلهتهم ربنا هؤلاء شركاؤنا اي قد اقررنا بعد الانكار وصدقنا
بعد الكذب طلبا للرحمة وفرارا من الغضب فكان هذا القول على وجه الاعتراف
منهم بالذنب لا على وجه اعلام من لا يعلم الثاني انهم لما عاينوا عظم غضب الله تعالى وعقوبته
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا رجاء ان يلزم الله تعالى الاصنام ذنوبهم لانهم كانوا يعتقدون
لها العقل والتمييز فيخفف عنهم العذاب فان قيل لم قالت الاصنام للمشركين
انكم لكاذبون وكانوا صادقين فيما قالوا قلنا انما قالت لهم ذلك لتظهر فضيحتهم
وذلك ان الاصنام كانت جمادا لا تعرف من يعبدها فلم تعلم انهم عبدوها في
الدنيا فظهرت فضيحتهم حيث عبدوا من لا يعلم بعبادتهم ونظير هذا قوله تعالى
واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون
عليهم ضدا فان قيل اذا كان القرآن تبيانا لكل شيء من امور الدين فمن اين

اين وقع بين الامة في احكام الشريعة هذا الخلاف الطويل العريض قلنا انما وقع
الخلاف بين الامة لان كل شيء يحتاج اليه من امور الدين ليس مبينا في القرآن
نصا بل بعضه مبين نصا وبعضه مستنبط بيانه منه بالنظر والاستدلال
وطرق النظر والاستدلال مختلفة فلذلك وقع الخلاف فان قيل كثير من احكام
الشريعة لم تعلم من القرآن نصا ولا استنباطا كعدد ركعات الصلوة ومقادير
ديات الاعضاء ومدة السفر والمسح والحيض ومقدار حد الشرب ونصاب
السرقة وما اشبه ذلك مما يطول ذكره القرآن تبيان لكل شيء من امور الدين   قلنا ح
لانه نص على بعضها واحال على السنة في بعضها بقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله وما ينطق عن الهوى واحال على الاجماع ايضا بقوله
ويتبع غير سبيل المؤمنين الآية واحال على القياس ايضا بقوله فاعتبروا يا اولي
الابصار والاعتبار النظر والاستدلال فهذه اربعة طرق لا يخرج شيء
من احكام الشريعة عنها وكلها مذكورة في القرآن فصح كونه تبيانا لكل شيء فان
قيل كيف وحدت القدم ونكرت في قوله تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها ولم تقل القدم
او الاقدام وسواء مناسبة لجمع الايمان قلنا لما وحدت ونكرت لاستعظام
ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق فكيف باقدام كثيرة فان قيل من ساوى الذكر والانثى
لفظه ويؤيده قوله تعالى من جاء بالحسنة الآية وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
الآية وقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من

استطاع الله سبحانه ونظائره كثيرة فكيف قال تعالى هنا من عمل صالحا من ذكر او انثى وانما
انما صح بذكر النوعين هنا بسبب اقتضى ذكرهن وهو ان النساء قلن ذكر الله الرجال
في القرآن بخير ولم يذكر النساء بخير فلو كان فينا خير لذكرنا به فانزل الله ان المسلمين
والمسلمات الآية وانزل من عمل صالحا من ذكر او انثى فذهب عن النساء وهم تخصيصهن
عن العمومات فان قيل كيف قال تعالى فلنحيينه حيوة طيبة وقد راينا كثيرا من الصلحاء الاتقياء
قطعوا اعمارهم في المصائب والمحن وانواع البلايا اشتد بالامثل فالامثل الى الانبياء
قلنا المراد بالحياة الطيبة الحياة في القناعة وقيل هي الرزق الحلال وقيل هي رزق يوم
بيوم وقيل هي التوفيق بالطاعات وقيل هي حلاوة الطاعات وقيل هي الرضا بالقضاء
وقيل المراد به الحياة في القبر كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل
احياء عند ربهم وقيل المراد به الحياة في الدار الآخرة وهي الحيوة الحقيقية لانها حيوة
لا موت بعدها دائمة في النعيم المقيم والظاهر ان المراد به الحيوة في الدنيا لقوله تعالى
ولنجزينهم اجرهم وعدهم الله ثواب الدنيا والآخرة كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة فان قيل كيف قال تعالى وان الله لا يهدي القوم الكافرين وكثير من
الصحابة وغيرهم كانوا كافرين فهداهم الله تعالى الى الايمان قلنا المراد بهذا الكافرون
الذين علم الله تعالى انهم يموتون على الكفر ويؤيده ما بعده ذكر من الآيتين فان قيل ما معنى
اضافة النفس الى النفس في قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها والنفس ليس
ليس لها نفس اخرى قلنا النفس اسم للجوهر القائم بذاته المتعلق بالجسم تعلق

تعلق التدبير والتصرف وقيل هي اسم لجملة الانسان لقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وقوله تعالى
وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والنفس ايضا اسم لعين الشيء وذاته كما يقال نفس الذهب
والفضة محبوبة اي عينهما وذاتهما فكانه قال يوم تاتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان
غيره كل يقول نفسي نفسي فاختلف معنى النفسين فان قيل كيف قال تعالى فاذاقها الله لباس
الجوع ولم يقل فكساها الله لباس الجوع والاذاقة لا تناسب اللباس وانما يناسبه
الكسوة قلنا الاذاقة تناسب المستعار له وهو الجوع من حيث ان الجوع يقتضي
الاكل فيقتضي الذوق وان كانت لا تناسب المستعار وهو اللباس والكسوة
تناسب المستعار وهو اللباس ولا تناسب المستعار له وهو الجوع وهما من دقائق
علم البيان يسمى الاول منهما تجريد الاستعارة والثاني ترشيح الاستعارة فجاء القرآن
العزيز بتجريد الاستعارة وقد ذكرنا تمام هذا في كتابنا المسمى روضة الفصاحة
ولباس الجوع والخوف استعارة لما ظهر على اهل القرية من اثر الجوع والخوف من
الصفرة والنحول فهو كقوله تعالى ولباس التقوى استعار اللباس لما ظهر على المتقي
من اثر التقوى وقيل ان فيه اضمارا تقديره فاذاقها الله طعم الجوع وكساها
لباس الخوف   فان قيل كيف تعالى يعبده ولم يقل
بنبيه او برسوله او بحبيبه او بصفيه ونحو ذلك مع ان المقصود من ذكره الاسراء
تعظيمه وتبجيله قلنا انما سماه عبدا في ارفع مقاماته واجلها وهو هذا وقوله تعالى
فاوحى الى عبده ما اوحى لئلا يغلط فيه امته وتضل به كما ضلت امة المسيح به

فصاح به ... الذي ... سموا ... بحان ... بيع
... وانما يكون ... على ... الاصنام ...
... الله
... يحكم ... العلم ...
... الذي ... ادا ... اجلس
اللهم اذا كانت ... رحمه الله
قلت قد ذكر الحنبلي
في الاقليد ان الحان انما يكون على
صنف
اذا لم يكن مضافا الا اذا الى
فلا لان العلماء نصاعدوا
مرة اعني مضاف قليلا ...

فلا عنه آنها وقيل لئلا يتطرق اليه الكبر والعجب فان قيل الاسرآء لا يكون الا بالليل
فما فائدة ذكر الليل قلنا فائدته انه ذكر منكرا ليدل على قصر الزمان الذى كان فيه الاسرآء
والرجوع مع انه كان من مكة الى بيت المقدس مسيرة اربعين ليلة وذلك لان التنكير
دل على البعضية ويؤيده قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اى بعض الليل كقوله تعالى
ومن الليل فتهجد به نافلة لك فانه امر بالقيام فى بعض الليل فان قيل اى حكمة
فى نقله عليه السلام من مكة الى بيت المقدس ثم العروج به من بيت المقدس الى السماء
وهلا عرج به من مكة الى السماء دفعة واحدة قلنا لان بيت المقدس محشر
الخلائق فاراد الله تعالى ان يطأها قدمه ليسهل على امته يوم القيمة وقوفهم
عليها ببركة اثر قدمه الثانى ان بيت المقدس مجمع ارواح الانبياء فاراد الله
تعالى ان يشرفهم بزيارته عليه السلام الثالث انه اسرى به الى بيت المقدس ليشاهد
من احواله وصفاته ما يخبر به كفار مكة صبيحة تلك الليلة فيدلهم اخباره بذلك
مطابقا لما راوا وشاهدوا على صدقه فى حديث الاسرآء فان قيل كيف قال تعالى
باركنا حوله ولم يقل باركنا عليه او باركنا فيه مع ان البركة فى المسجد تكون اكثر
من خارج المسجد وحوله خصوصا المسجد الاقصى قلنا اراد البركة الدنيوية
بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وذلك حوله لا فيه وقيل اراد البركة الدينية
فانه مقر الانبياء عليهم السلام ومتعبدهم ومهبط الوحى والملائكة وانما قال تعالى
باركنا حوله لتكون بركته اعم واشمل فانه اراد بما حوله ما احاط به من ارض الشام

الشام وما قارب منها وذلك اوسع من مقدار بيت المقدس ولانه اذا كان هو الاصل
وقد بارك فى لواحقه وتوابعه من البقاع كان هو مباركا فيه بالطريق الاولى بخلاف
العكس وقيل المراد باركنا حوله من بركته نشأت منه فعمت جميع الارض لان
مياه الارض كلها اصل انفجارها من تحت الصخرة التى فى بيت المقدس فان
قيل ما وجه ارتباط قوله تعالى انه كان عبدا شكورا بما قبله ومناسبته له قلنا معناه
لا تتخذوا من دونى ربا فتكونوا كافرين ونوح كان عبدا شكورا وانتم ذرية من
آمن به وحمل معه فتأسوا (اى اقتدوا) به فى الشكر كما تأسى به آباؤكم فان قيل كيف قال تعالى
وان اسأتم فلها ولم يقل فعليها كما قال من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها قلنا
قيل اللام هنا بمعنى على كما فى قوله تعالى وتله للجبين وقوله تعالى ويخرون للاذقان
وقيل معناه فلها رجاء الرحمة او فلها مخلص بالتوبة والاستغفار والصحيح
ان اللام هنا على بابها لانها للاختصاص وكل عامل مختص بجزاء عمله حسنة
كانت او سيئة وقد سبق مثل هذا مستوفى فى تفسير سورة البقرة فى قوله تعالى لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت فان قيل كيف قال تعالى هنا وجعلنا الليل والنهار
آيتين وقال فى قصة مريم وعيسى عليه السلام وجعلناها وابنها آية للعالمين وجعلنا
ابن مريم وامه آية مع ان عيسى عليه السلام كان وحده آيات شتى حيث كلم الناس
فى المهد وكان يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخلق الطير الى غير ذلك
من الآيات وامه وحدها كانت آية حيث حملته من غير فحل قلنا انما

اراد به الآية التي كانت مشتركة بينهما وهي الآية الاولى ولا من غير فجعل بخلاف
الليل والنهار والشمس والقمر الثاني ان الآية الواحدة محذوفة ايجازا واختصارا
تقديره وجعلناها آية وابنها آية وجعلنا ابن مريم آية وامه آية فان قيل كيف قال
وجعلنا آية النهار مبصرة والابصار من صفات ما له حياة والمراد بآية النهار اما
الشمس او النهار نفسه وكلاهما غير مبصر قلنا المبصرة في اللغة بمعنى المضيئة نقله
الجوهري وقال غيره معناه بينة واضحة ومنه قوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة
اي آية واضحة مضيئة وقوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة الثاني معناه مبصرا
بها ان كانت الشمس او فيها ان كانت النهار ومنه قوله تعالى والنهار مبصرا اي مبصرا
فيه ونظيره قولهم ليل نائم ونهار صائم اي ينام فيه ويصام فيه الثالث انه فعل
رباعي منقول بالهمزة عن الثلاثي الذي هو بصر بالشيء اي علم به فهو بصير اي عالم
معناه انها تجعلهم بصراء بكون الهمزة بمعنى بصر وعلى هذا حمل الاخفش
قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة اي تبصرهم فتجعلهم بصراء الرابع ان بعض الناس
زعم ان الشمس حيوان له حيوة وبصر وقدرة وهو متحرك بارادته ممتثل امر
الله تعالى كما يتحرك الانسان فان قيل ما الفائدة في ذكر عدد السنين مع كونه
اقتصر على قوله لتعلموا الحساب ذكر فيه عدد السنين اذ هو من جملة
الحساب قلنا العدد كالموضوع للحساب كبدن الانسان موضوع الطب وافعال
المكلفين موضوع الفقه وموضوع كل علم مغاير له وليس جزءا منه كبدن

كبدن ليس جزءا من الطب ولا افعال المكلفين جزءا من الفقه فكذا العدد
ليس جزءا من الحساب وانما ذكر عدد السنين وقدمه على الحساب لان
المقصود الاصلي من محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة علم عدد الشهور
والسنين ثم يتفرع منه تكرر علم حساب التاريخ وضرب المدة والآجال فان
قيل كيف قال تعالى هنا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال في موضع آخر وكفى بنا
حاسبين قلنا مواقف القيمة مختلفة ففي موقف يكل الله تعالى حسابهم الى انفسهم
وعلمه محيط به وفي موقف يحاسبهم هو وقيل هو الذي يحاسبهم لا غيره وقوله تعالى
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي يكفيك انك شاهد على نفسك بذنوبها عالم بذلك
فهو توبيخ وتقريع لا انه تفويض حساب العبد الى نفسه وقيل من يريد
مناقشته في الحساب يحاسبه بنفسه ومن يريد مسامحته فيه يكل حسابه
اليه فان قيل قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى يرده ما جاء في الاخبار ان في يوم
القيمة يؤخذ من حسنات المغتاب والمديون ويزاد في حسنات رب الدين
والشخص الذي اغتيب فان لم تكن لهما حسنات يوضع عليهما من سيئات خصميهما
وكذلك جاء هذا في سائر المظالم قلنا المراد من الآية انها لا تحمل اختيارا ردا
على الكافرين حيث قالوا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم والآثام
والمراد من الخبر انها تحمل كرها فلا تنافي بينهما وقد سبق هذا مرة في آخر
سورة الانعام فان قيل كيف قال تعالى امرنا مترفيها ففسقوا فيها وقال في آية اخرى

قيل ان الله لا يامر بالفحشاء ولما فيه اضمار تقديره امرناهم بالطاعة ففسقوا قال الزجاج
ومثله قولهم أمرته فعصاني وأمرته فخالفني لا يفهم منه الامر بالمعصية ولا الامر
بالمخالفة الثاني ان معناه كثرنا مترفيها يقال آمرته وأمرته بالقصر والمد بمعنى
كثرته وقد قرئ بهما ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة اى
كثيرة النتاج والنسل الثالث ان معناه امّرنا مترفيها بالتشديد يقال آمرت
فلانا بمعنى امّرته اى جعلته اميرا فمعنى الآية سلطناهم بالامارة ويعضد هذا
الوجه قول من قرأ امّرنا بالتشديد وقال الزمخشري لا يجوز ان يكون
معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا لان حذف ما لا دليل عليه في اللفظ غير جائز فكيف
يقدر حذف ما قام الدليل في اللفظ على نقيضه وذلك لان قوله ففسقوا يدل على ان
المأمور به المحذوف هو الفسق وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام
وامرته فقعد وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المأمور به القيام والقعود والقراءة
بخلاف قولهم امرته فعصاني وامرته فخالفني حيث لا يكون المأمور به المحذوف
المعصية والمخالفة لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر
وينافيه مأمورا به فيكون المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي
وهو المتكلم بهذا لا ينوي لامره مأمورا به بل كان حاله كان مني امر فلم تكن منه
طاعة او فكانت منه مخالفة كما تقول مُر زيدا يطعك وكما تقول فلان يأمر
وينهى ويعطي ويمنع ويصل ويقطع ويضر وينفع فانك لا تنوي فيه مفعولا

مفعولا فان قيل على هذا حقيقة أمرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون من
الله تع فلا يقدر الفسق محذوفا ولا مأمورا به قلنا الفسق المحذوف المقدر مجاز
عن اترافهم وصب النعم عليهم صبا افضى بهم الى جعلها ذريعة الى المعاصي ووسيلة
الى اتباع الشهوات فكأنهم امروا بذلك لما كان السبب في وجدانه الاتراف وفتح
باب النعم فان قيل لم لا يكون ثبوت العلم بان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالطاعة
والعدل والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالطاعة ففسقوا قلنا لو جاز مثل هذا
الاضمار والتقدير لكان المتكلم مريدا من مخاطبه علم الغيب لانه اضمر ما لا دلالة
عليه في اللفظ بل ابلغ لانه اضمر ما في اللفظ ما يناقضه وينافيه وهو قوله ففسقوا فكانه
اظهر شيئا وادعى اضمار نقيضه فكان صرف الامر الى ما ذكرنا من المجاز هو الوجه
هذا كله كلام الزمخشري رح ولا اعلم احدا من ائمة التفسير صار اليه غيره ثم
انه ايده فقال ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة
ما بعده عليه يقول لو شاء فلان لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء
الاحسان لاحسن ولو شاء الاساءة لاساء فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت
وتقول لو شاء الاساءة لاحسن اليك او لو شاء الاحسان لاساء اليك وتقول
قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من اهل الاحسان دائما ومن اهل
الاساءة ابدا فتترك الظاهر المنطوق به وتضمر ما دلت عليه حال صاحب
المشيئة لم تكن على سداد فان قيل على الوجه الاول لو كان المضمر المحذوف الامر

بالطاعة لما كان مخصوصًا بالمترفين لان امر الله بالطاعة عام للمترفين وغيرهم قلنا
امر الله تع بالطاعة وان كان عامًا ولكن لما كان صلاح الامراء والرؤساء وفسادهم
مستلزمًا لصلاح الرعية وفسادها غالبًا خصهم بالذكر ويؤيد هذا ما جاء في الخبر
صلاح الوالي صلاح الرعية وفساد الوالي فساد الرعية فان قيل قوله تع من كان يريد
العاجلة الآية يدل على ان من لم يزهد في الدنيا ولم يتركها كان من اهل النار
والا مخلدًا فيه قلنا المراد من كان يريد باسلامه وطاعته وعبادته الدنيا لا غير
ومثل هذا لا يكون الا كافرًا او منافقًا ولهذا قال ابن جرير هذه الآية لمن لا يوقن
بالمعاد فاما من اراد من الدنيا قدرًا ما يتزود به الى الآخرة فكيف يكون
مذمومًا مع ان الاستغناء عن الدنيا بالكلية وعن جميع ما فيها لا يتصور في
حق البشر ولو كانوا انبياء فعلم ان المراد ما قلنا فان قيل كيف قال تع وما كان
عطاء ربك محظورًا اي ممنوعًا ونحن نرى ونشاهد في الواقع ان واحدًا
اعطاه قناطير مقنطرة وآخر منعه العطاء حتى الدانق والحبة قلنا
المراد بالعطاء هنا الرزق والله تع سوّى في ضمان الرزق وايصاله بين
البر والفاجر والمطيع والعاصي ولم يمنع الرزق عن العاصي بسبب عصيانه
فلا تفاوت بين العباد في اصل الرزق وانما التفاوت بينهم في مقادير
الاملاك فان قيل كيف منع الله تع الكفار التوفيق والهداية ولم يمنعهم
الرزق قلنا لانه لو منعهم الرزق لهلكوا وصار ذلك حجة لهم يوم القيمة

يوم القيمة بان يقولوا لو امهلتنا ورزقتنا لبقينا احياء فآمنا الثاني انه لو اهلكهم بمنع
الرزق لكان قد عاجلهم بالعقوبة فيتعطل معنى اسمه الحليم عن معناه لان الحليم
هو الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه الثالث ان منع الطعام والشراب
من صفات البخلاء الاخساء والله تع منزه عن ذلك وقيل اعطاء الرزق
بجميع العبيد عدل وعدل الله تعالى عام وهبته التوفيق والهداية فضل وان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فان قيل ما فائدة قوله عندك في قوله تع اما يبلغن
عندك الكبر قلنا فائدته انهما يكبران في بيته وكنفه ويكونان كلًّا عليه لا كافل لهما
غيره وربما تولى منهما من المشاق ما كانا يتوليان في حال الطفولية فان قيل كيف قال
تعالى ولا تقربوا الزنا ولم يقل ولا تزنوا قلنا لو قال ولا تزنوا كان نهيًا عن الزنا
لا عن مقدماته كاللمس والمعانقة والقبلة ونحو ذلك ولما قال ولا تقربوا كان
نهيًا عنه وعن مقدماته لان فعل المقدمات قربان للزنى فان قيل الاشارة
بقوله تع كل ذلك كان سيئة الى ما ذا على قراءة التنوين قلنا الاشارة الى كل ما هو
منهي عنه من جميع ما ذكر من قوله تع وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الى هذه الآية لا
الى جميع ما ذكر فان فيه حسنًا وسيئًا وقال ابو علي هو اشارة الى قوله تع ولا تقف
وما بعده لانه لا حسن فيه فان قيل كيف قال تسبح له السموات السبع والارض
ومن فيهن وقوله ومن فيهن يتناول الآدميين كلهم والمراد به العموم كما هو
مقتضى الصيغة بدليل تاكيده بقوله تع بعده وان من شيء الا يسبح بحمده

والتسبيح هو التنزيه والتنزيه من كل ما لا يليق بصفات جلاله وكماله والكفار
يضيفون اليه الزوج والولد والشريك وغير ذلك فاين تسبيحهم فلهذا الضمير في
قوله ومن فيهن راجع الى السموات فقط الثاني انه راجع الى السموات والارض
والمراد بقوله ومن فيهن يعني من المؤمنين فيكون عاما اريد به الخاص وعلى
هذا يكون المراد بالتسبيح المسند الى من فيهن التسبيح بلسان المقال الثالث
ان المراد به التسبيح بلسان الحال حيث يدل على وجود الصانع وعظم قدرته ونهاية
حكمته فكانها تنطق بذلك وتنزهه عما لا يجوز عليه ولا يليق به من السوء
ويؤيده قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده والتسبيح العام لجميع الموجودات
انما هو التسبيح بلسان الحال فان قيل لو كان المراد هو التسبيح بلسان الحال لما
قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم لان التسبيح بلسان الحال مفقوه لنا اي مفهوم الحال ع
ومعلوم فلهذا الخطاب بقوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم للكفار وهم مع تسبيحهم
بلسان الحال لا يفقهون تسبيح الموجودات على ما ذكرنا من التفسير لانهم لما
جعلوا لله شركاء وزوجا وولدا دل ذلك على عدم فهمهم تسبيح الموجودات
وتنزيهها وعدم اتضاح دلائل الوحدانية لهم لان الله تعالى طبع على قلوبهم
فان قيل من فيهن وهم الملائكة والثقلان يسبحون حقيقة والسموات والارض
والجمادات تسبح مجازا فكيف جمع بين ارادة الحقيقة والمجاز من لفظ واحد
وهو قوله تعالى تسبح فلهذا التسبيح المجازي بلسان الحال حاصل من الجميع

من الجمع فيحمل عليه دفعا لما ذكرتم من المحذور فان قيل كيف قال يوم يدعوكم فتستجيبون
بحمده والمستعار التابع دعاه فاستجاب لامره او بامره اي اجاب فلهذا قال ابن
عباس فلهذا المراد بقوله تعالى بحمده بامره وقال سعيد بن جبير اذا دعا الله الخلائق
للبعث يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك وقال غيره وهم يقولون الحمد لله الذي صدقنا وعده فعلى هذا يكون
الباء بمعنى مع كما في قوله تعالى تنبت بالدهن وقوله وسبح بحمد ربك فان قيل كيف اجمل
ذكر الانبياء كلهم بقوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ثم خص داود
وآتينا بالذكر فقال داود زبورا فلهذا لانه اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من الانبياء وهو الرسالة
والكتابة والخطابة والخلافة والملك والقضاء في زمن واحد قال الله تعالى
وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض الثاني ان قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى
تفضيل محمد عليه السلام وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم
الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود عليه السلام والى الاشارة
بقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون
يعني محمدا عليه السلام وامته فان قيل لم نكر الزبور هنا وعرفه في قوله تعالى ولقد كتبنا
في الزبور من بعد الذكر فلهذا يجوز ان يكون الزبور من الاعلام التي تستعمل
بالالف واللام وبغيرهما كالعباس والفضل والحسن والحسين ونحوها

الثاني انه نكّر لانه اراد وآتينا داود بعض الزبور وهي الكتب الثالث انه
نكّر لانه اراد به ما ذكر فيه رسول الله صلعم من الزبور فسمي ذلك زبورا لانه
بعض الزبور كما سمي بعض القرآن قرآنا وقال وقرآنا فرقناه الآية وقال بما اوحينا
اليك هذا القرآن واراد به سورة يوسف عليه وقال وقرآن الفجر اي القرآن المتلو
في صلوة الفجر فان قيل قوله تعالى فلا يستطيعون كشف الضر عنكم مُغنٍ عن قوله تعالى
ولا تحويلا لان تحويل الضر نقله من محل واثباته في محل آخر ومنه تحويل الفراش
والمتاع وغيرهما وكشف الضر مجرد ازالته ومن لا يقدر على الازالة وحدها
فكيف يقدر على الازالة مع الاثبات والمراد بالآية كشف الفقر والمرض والقحط
ونحوها قلنا التحويل له معنيان احدهما ما ذكرتم والثاني التبديل ومنه قولهم
حولت القميص قباء والفضة خاتما واريد بالتبديل هنا الكشف لان في الكشف
المنفي في الآية تبديلا فان المرض متى كشف تبدل بالصحة والفقر متى كشف تبدل
بالغنى والقحط متى كشف تبدل بالخصب وكذا جميع الاضداد فاطلق
التبديل واراد به الكشف الا انه لم يرد به الضر فلا يلزم التكرار بل اراد به
مطلق الكشف الذي هو الازالة يعني فلا يستطيعون كشف الضر عنكم ولا كشفا
تاما ولهذا لم يقل ولا تحويله وهذا الجواب مما فتح الله علي به من خزائن جوده
ونظير ما ذكرنا في سورة النحل في قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم
رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فان قيل قوله تعالى وما منعنا ان

لانهم اذا لم يستطيعوا كشف الضر لا يستطيعون تحويله

نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون الآية فيها اسولة اولها ان الله تعالى لا يمنعه عما
يريده مانع فان اراد ارسال الآيات كيف يمنعه عنه تكذيب الامم الماضية وان لم يرد ارسالها
كان وجود تكذيبهم وعدمه سواء وكان عدم الارسال لعدم الارادة الثاني ان الارسال يتعدى
بنفسه قال الله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه فاي حاجة الى الباء الثالث ان المراد بالآيات
هنا ما اقترحه اهل مكة على رسول الله صلعم من جعل الصفا ذهبا وازالة جبال مكة ليتمكنوا من
الزراعة وانزال كتاب مكتوب من السماء ونحوه وهذه الآيات ما ارسلت الى الاولين
ولا شاهدوها فكيف كذبوا بها الرابع ان تكذيب الاولين لا يمنع ارسالها الى الآخرين
لجواز ان لا يكذب الآخرون الخامس اي مناسبة وارتباط بين صدر الآية وقوله
تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة السادس ما معنى وصف الناقة بالابصار السابع ان
الظلم يتعدى بنفسه قال الله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه فاي حاجة الى الباء وهلا
قال فظلموها يعني بالعقر والقتل الثامن ان قوله تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا
يدل على الارسال بها وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات يدل على عدم الارسال بها قلنا
الجواب عن الاول ان المنع مجاز عبّر به عن ترك الارسال بالآيات الا ان كذب بها الاولون
وعن الثاني ان الباء للتعدية للارسال الى المرسل به لا الى المرسل لان المرسل محذوف وهو الرسول
تقديره وما منعنا ان نرسل الرسول بالآيات والارسال يتعدى الى المرسل بنفسه والى المرسل
به بالباء والى المرسل اليه بالى قال الله تعالى ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى
فرعون وملائه وعن الثالث ان الضمير في قوله تعالى بها عائد الى جنس الآيات المقترحة

لا الى هذه الآيات المقترحة كانه تعالى قال وما منعنا ان نرسل بالآيات التي اقترحها اهل
مكة الا تكذيب من قبلهم بالآيات المقترحة يريد المائدة والناقة ونحوهما مما اقترحه الاولون
على انبيائهم وعن الرابع ان سنة الله تعالى جرت على ان من اقترح على الانبياء آية واتوه بها
ثم لم يؤمن عجل الله هلاكه والله تعالى لم يرد هلاك مشركي مكة لانه تعالى علم انه يولد منهم
من يؤمن اولانه قضى وقدر في سابق علمه بقاء من يبعث اليهم محمد عليه السلام الى يوم القيامة
فلو ارسل بالآيات التي اقترحوها فلم يؤمنوا لاهلكهم وحكمته اقتضت عدم اهلاكهم
فلذلك لم نرسل بها فيصير معنى الآية وما منعنا ان نرسل بالآيات المقترحة عليك الا ان كذب
بالآيات المقترحة الاولون فاهلكوا فربما كذب بها قومك فاهلكوا وعن الخامس انه
تعالى لما اخبر ان الاولين كذبوا بالآيات المقترحة عين منها واحدة وهي ناقة صالح
عليه السلام لان آثار ديارهم المهلكة في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها
صادرهم وواردهم وعن السادس ان معنى مبصرة دالة كما قال الدليل مرشد وهاد
وقيل مبصرا بها كما قال ليل نائم ونهار صائم اي ينام فيه ويصام فيه وقيل معناه مبصرة
يعني انها تبصر الناس صحة نبوة صالح عليه السلام ويعضد هذا قراءة من قرأ مبصرة
بفتح الميم والصاد اي تبصرة وقيل مبصرة صفة لآية محذوفة تقديره آية مبصرة اي مضيئة
بينة وعن السابع ان الباء ليست لتعدية الظلم الى الناقة بل معناه فظلموا انفسهم
بقتلها او بسببها وقيل الظلم هنا الكفر فمعناه فكفروا بها فلما ضمن الظلم معنى الكفر
عداه تعديته وعن الثامن ان المراد بالآيات ثانيا العبر والدلالات لا الآيات التي اقترحها

اقترحها اهل مكة فان قيل كيف قال تعالى والشجرة الملعونة في القرآن وليس في القرآن لعن
شجرة ما قلنا فيه اضمار تقديره والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن الثاني ان معناه
الملعون آكلها وهم الكفرة الثالث ان الملعونة بمعنى المذمومة كذا قاله ابن عباس وهي
مذمومة في القرآن بقوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وبقوله تعالى طلعها كانه رؤوس الشياطين
الرابع ان العرب تقول لكل طعام مكروه او ضار ملعون وفي القرآن اخبار عن ضررها
وكراهتها الخامس ان اللعن في اللغة هو الطرد والابعاد والملعون هو المطرود عن
رحمة الله تعالى المبعد عنها وهذه الشجرة مطرودة مبعدة عن مكان رحمة الله تعالى وهو
الجنة لانها في قعر جهنم وهذا الابعاد والطرد مذكور في القرآن بقوله تعالى انها شجرة تخرج
في اصل الجحيم وقال ابن الانباري سميت لانها مبعدة عن منازل اهل الفضل فان قيل ملعونة
كيف خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم بقوله فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤون كتابهم
ولم يخصهم بنفي الظلم عنهم بقوله تعالى ولا يظلمون فتيلا مع ان اصحاب الشمال يقرؤون كتابهم
ولا يظلمون ايضا قلنا انما خص اصحاب اليمين بذكر القراءة لان اصحاب الشمال اذا رأوا
ما في كتبهم من الفضائح والقبائح اخذهم من الحياء والخجل والخوف ما يوجب حبسة اللسان
وتتعتع الكلام والعجز عن اقامة الحروف فيكون قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم
على عكس ذلك لا جرم انهم يقرؤون كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم
حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرؤوا كتابيه واما قوله تعالى ولا يظلمون فتيلا
فهو عائد الى كل الناس لا الى اصحاب اليمين الثاني انه عائد الى اصحاب اليمين خاصة

وانما خصهم بذكر لانهم يعلمون انهم لا يظلمون ويعتقدون ذلك بخلاف اصحاب الشمال فانهم
يعتقدون او يظنون انهم يظلمون ويعضد هذا الوجه قوله ومن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما فان قيل كيف قال موسى عليه السلام لفرعون لقد علمت
ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السموات والارض بصائر يعني بينات وحججا
واضحات وفرعون لم يعلم ذلك لانه لو علم ذلك لم يقل لموسى اني لاظنك يا موسى مسحورا
اي مخدوعا او قد سحرت او ساحر مفعول بمعنى فاعل على اختلاف الاقوال بل كان يؤمن
به وكيف يعلم ذلك وقد طبع الله على قلبه واضله وحال بينه وبين الهدى والرشاد ولهذا
قرا علي رضي الله عنه لقد علمت بضم التاء وقال والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم واختار
الكسائي وثعلب قراءة علي رضي الله عنه ونصراها بانه لا ينسب موسى الى انه مسحور على زعمه
بصحة عقله بقوله لقد علمت قلنا معناه لقد علمت لقد نظرت نظرا صحيحا او لقد
علمت نظرا الى الحجة والبرهان ولكنك معاند ومكابر تخشى فوات دعوى الالهية لو
صدقتني فكان فرعون ممن اضله الله على علم ولهذا بلغ ابن عباس قراءة علي رضي الله عنه
وعيبه فاحتج بقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فان قيل كيف قال
موسى عليه السلام واني لاظنك يا فرعون مثبورا وموسى كان عالما بذلك لانه لا شك عنده فيه ولهذا
قال اكثر المفسرين الظن هنا بمعنى العلم كما في قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم وانما اتى بلفظ الظن ليعارض ظن فرعون بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا
فانا اظنك مثبورا والمثبور الهالك او المصروف عن الخير او الملعون او الخاسر

او الخاسر فان قيل كيف كرر تعالى الاخبار بالخرور وفيما كرره ليدل على تكرار الفعل منهم
الثاني انه كرره لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وفي حال كونهم باكين
الثالث انه اراد بالخرور الاول الخرور في حالة سماع القرآن او قراءته وبالخرور
الثاني الخرور في سائر الحالات وباقيها فان قيل الحمد انما يكون على نعمة انعم الله
تعالى بها على العبد كما في قوله الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي
هدانا لهذا الحمد لله الذي خلق السموات والارض لان فيهما من المنافع لنا ما لا
تعد ولا تحصى فاي نعمة حصل لنا من كون الله تعالى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
ولا ناصر حتى قال تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية قلنا النعمة في ذلك
ان الملك اذا كان له ولد وزوج فانما ينعم على عبيده بما يفضل عن ولده وزوجته
واذا لم يكن له ولد وزوج كان جميع انعامه واحسانه مصروفا الى عبيده فكان نفي
اتخاذ الولد مقتضيا مزيد الانعام عليهم واما نفي الشريك فلانه يكون اقدر على الانعام
على عبيده لعدم المزاحم واما نفي النصير فلانه يدل على القوة والاستغناء وكلاهما
يقتضي القدرة على زيادة الانعام فان قيل قوله تعالى قيما بمعنى
مستقيما وقوله ولم يجعل له عوجا مغن عن قوله قيما لانه متى انتفى العوج ثبتت
الاستقامة لان العوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد به هنا نفي الاختلاف
والتناقض في معانيه وانه لا يخرج منه شيء عن الصواب والحكمة قلنا فيه
تقديم وتأخير تقديره الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا

فلما كان القرآن معنى مهيمنا قائما على الكتب السماوية كلها مصدقا لها شاهدا بصحتها ناسخا
لبعض شرائعها فعلى هذا الانكار فيه وعلى القول المشهور يكون الجمع بينهما الا كالا سواء
قدر فيهما مقدما او اوفيه مرتبتين ونصب بفعل مضمر تقديره ولكن جعله قيما ولابد
من هذا الاضمار او من التقديم والتاخير والا يضطرب المعنى ولم يجعل له عوجا مستقيما
والعوج لا يكون مستقيما فان قيل اتخاذ الله الولد مع محال فكيف قال تعالى ما لهم به من علم وانما
يستقيم ان يقال فلان ما له علم بكذا اذا كان ذلك الشيء مما يعلمه غيره او مما يصح ان يعلم
كقولنا زيد ما له علم بالعربية او بالحساب او بالشعر ونحو ذلك قلنا معناه ما لهم به
من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وهذا لان انتفاء العلم بالشيء تارة يكون للجهل
بالطريق الموصل اليه وتارة لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به وما نحن فيه من
هذا القبيل فان قيل كيف قال تعالى ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا وهو
عالم بذلك في الازل قلنا معناه لنعلم بذلك علم مشاهدة كما علمناه علم غيب فان قيل كيف
قال فابعثوا احدكم ولم يقل واحدكم قلنا لانه اراد فردا منهم اي من كان ولو قال واحدكم
لدل على بعث رئيسهم ومقدمهم فان العرب تقول رايت احد القوم اي فردا
منهم ولا تقول رايت واحد القوم الا اذا اردت المقدم المعظم فان قيل كيف جاء
سين الاستقبال في الفعل الاول دون الاخيرين في قوله سيقولون ثلاثة
الآية قلنا اراد دخول الفعلين الاخيرين في حكم الاول بمقتضى العطف فاقتصر
على ذكر السين في الاول ايجازا او اختصارا كما تقول زيد قد يخرج ويركب تريد

تريد وقد يركب فان قيل كيف دخلت الواو في الجملة الثالثة دون الاوليين وهي قوله
تعالى وثامنهم كلبهم قلنا قال بعض المفسرين هي واو الثمانية وقد ذكرنا مثلها في آخر
سورة التوبة وقال الزجاج دخول هذه الواو وخروجها سواء في جميع الكلام مما القرآن
بها وقال غيره الواو مرادة في الجملتين الاوليين وانما حذفت فيهما تخفيفا واتى بها في
الجملة الثالثة دلالة على ارادتها فيهما ويرد على هذا القول انه لو كان كذلك لكانت مذكورة في الجملة
الاولى محذوفة في الجملة الثانية والثالثة ليدل ذكرها اولا على حذفها بعد ذلك كما سبق في سين
الاستقبال وقال الزمخشري وغيره هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة كما تدخل على للنكرة ح
الصفة الواقعة حالا عن المعرفة تقول جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده
سيف ومنه قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق
الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي
آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس
ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم والدليل عليه ان الله تعالى اتبع القولين الاولين
قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس
رضي الله عنه وقعت الواو لتقطع العدد اي لم يبق بعدها عدد عاد يلتفت
اليه وثبت انه سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقال الثعلبي هذه واو الحكم
والتحقيق كأن الله تعالى حكى اختلافهم فتم الكلام عند قوله سبعة ثم حكم بان ثامنهم
كلبهم باستئناف الكلام محقق ثبوت العدد الآخر لان الثامن لا يكون الا بعد

السبعة فعلى هذا لكون موقوفا منهم كلهم من كلام الله تعالى حقيقة او تقديرا وبرده على
هذا ان مواضع بعد هذه الواو قل ربي اعلم بعدتهم ومواضع ما يعلمهم الا قليل يدل على بقاء
الابهام وعدم زوال اللبس بهذه الواو فان قيل كيف قال تعالى لا مبدل لكلماته وقال
في موضع آخر واذا بدلنا آية مكان آية ويلزم من تبديل الآية بالآية تبديل الكلمات
بينهما فكيف الجمع قلنا معنى الاول لا مغير للقرآن من البشر وهو جواب لقولهم للنبي عليه السلام
ايت بقرآن غير هذا او بدله الثاني ان معناه لا خلف لمواعيده ولا مغير لحكمه ومعنى
الثاني النسخ والتبديل من الله تعالى فلا تنافي بينهما فان قيل قوله تعالى فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر اباحة واطلاق للكفر قلنا قال ابن عباس فمن شاء ربكم فليؤمن
يعني ومن شاء ربكم فليكفر لا ايمان ولا كفر الا بمشيته الثاني انه تهديد ووعيد الثالث
ان معناه لا تنفعون الله بايمانكم ولا تضرونه بكفركم فهو اظهار للغنى لا اطلاق
للكفر فان قيل لبس الاساور في الدنيا عيب للرجال ولهذا لا يلبسها من يلبس
الذهب والحرير من الرجال فكيف وعدها الله تعالى المؤمنين في الجنة قلنا
الفرس كانت عادة ملوك الفارس والروم لبس الاساور والتيجان مخصوصين بها دون
من عداهم فلذلك وعدها الله المؤمنين في الجنة لانهم ملوك الآخرة فان قيل كيف افرد
تعالى الجنة بعد التثنية فقال ودخل جنته قلنا اوردها للدلالة على الحصر معناه
ودخل ما هو جنته لا جنة له غيرها ولا نصيب له في الجنة التي وعد المتقون
بل ما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد جنة معينة منها بل جنس ما كان

لا كان له فان قيل كيف قال الاخ المؤمن لاخيه لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا
وهذا تعريض بان اخاه مشرك وليس في كلام اخيه ما يقتضي الشرك بل الكفر وهو قوله
وما اظن الساعة قائمة قلنا اشراك اخيه الذي عرض له به هو اعتقاده ان ذلك جنته
ونماها بحوله وقوته ولهذا قال له ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة
الا بالله ولهذا قال هو ايضا لما اصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على
عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا اعترافا بالشرك فان قيل ما فائدة انا
في قوله ان ترني انا اقل قلنا انا في مثل هذا الموضع يفيد حصر الخبر في المخبر عنه
ومنه قوله تعالى اني انا ربك وقوله اني انا الله ونظائره كثيرة فان قيل ما معنى قوله تعالى
ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وكذلك كل ما اشبهه مما جاء في القرآن العزيز
واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين اتخذوا من دونه اولياء
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير كيف تحقيق معناه قلنا دون يستعمل في كلام
العرب بمعنى غير كقولهم لفلان مال دون هذا ومن دون هذا اي غير هذا ونظيره
قوله تعالى ولهم اعمال من دون ذلك اي من غير ذلك ويستعمل ايضا بمعنى قبل كقولهم المدينة
دون مكة اي قبلها ومن دونه خرط القتاد ولا اقوم من مجلسي دون
ان يجيء ولا اقاتلك دون ان يعطيني حقي وما اعلم انها جاءت في القرآن
العزيز بمعنى قبل بل بمعنى غير فقط فان قيل كيف قال هنالك الولاية لله
الحق يعني في يوم القيامة او في مقام الآخرة والولاية بكسر الواو السلطان

والملك وبفتح الواو التولي والنصرة وكل ذلك لله تعالى في الدنيا والآخرة يعز من
يشاء ويذل من يشاء وينصر من يشاء ويخذل من يشاء ويتولى من يشاء بحراسته
وحفظه فما فائدة تخصيص يوم القيمة قلنا فائدته ان الدعاوي المجازية كثيرة
في الدنيا ويوم القيمة ينقطع كلها ويتم الملك لله تعالى عن كل منازع وقد سبق نظير
هذا السوال في سورة الانعام في قوله تعالى قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور فان
قيل كيف قال تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا اي عاقبة وغير الله تعالى وغير الله تعالى
لا يثيب ليكون الله خيرا منه ثوابا قلنا هذا على الفرض والتقدير معناه لو كان
غيره يثيب لكان ثوابه افضل ولكانت طاعته احمد عاقبة وخيرا من طاعة غيره
فان قيل كيف قال تعالى وحشرناهم بلفظ الماضي وما قبله مضارعان وهما قوله ويوم نسير
الجبال وترى الارض بارزة اي لا شي عليها يسترها كما كان في الدنيا قلنا
للدلالة على ان حشرهم كان قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظايم
كانه قال وحشرناهم قبل ذلك فان قيل كيف قال مال هذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها مع انه اخبر ان الصغائر تكفر باجتناب الكبائر بقوله
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم قلنا الآية الاولى في حق الكافرين
بدليل قوله تعالى فترى المجرمين والمراد بهم هنا الكافرون كذا قاله مجاهد وقال
غيره كل مجرم في القرآن فالمراد به الكافر والآية الثانية المراد بها المؤمنون لان
اجتناب الكبائر لا يكون متحققا مع وجود الكفر الثاني لو ثبت ان المراد بالمجرم

بالمجرم مطلق المذنب لا يلزم التناقض لجواز ان يكتب الصغاير ليشاهدها العبد يوم القيمة ثم
يكفر عنه فيعلم قدر نعمة العفو فان اكثر ذنوب العبد ينساها خصوصا الصغاير فان قيل
قوله الا ابليس كان من الجن يدل على انه من الجن وقوله في موضع آخر واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس يدل على انه من الملائكة فكيف الجمع بينهما
قلنا فيه قولان احدهما انه من الجن حقيقة عملا بظاهر هذه الآية ولان له ذرية قال
افتتخذونه وذريته اولياء من دوني والملائكة لا ذرية لهم ولانه اكفر الكفرة وافسق
الفسقة والملائكة معصومون عن الكبائر لانهم رسل الله وعن المعاصي مطلقا لانهم
عقول مجردة بغير شهوة ولا معصية الا عن شهوة ويؤيده قوله تعالى لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال تعالى ومن عنده يعني الملائكة لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون فكيف يكون ابليس
منهم وقد امر بالسجود فيمتنع فعلى هذا يكون استثناؤه من الملائكة استثناء من غير
الجنس او يكون استثناء من جنس المامورين بالسجود لا من جنس الملائكة
ويكون التقدير واذ قلنا للملائكة وابليس اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس
كما تقول امرت اخوتي وعبدي بكذا فاطاعوني الا عبدي والعبد ليس من
جنس الاخوة ولا داخلا فيهم الا من حيث شمله الامر بالفعل معهم فهذا كذلك
القول الثاني انه كان من الملائكة قبل ان يعصي الله فلما عصاه مسخه شيطانا روي
ذلك عن ابن عباس فيه فيكون معنى كان صار وقوله كان من الجن صار من

الجن لمخالفته فيكون كان بمعنى صار وقيل معناه كان من الجن في سابق علم الله وهذان
القولان يدلان على انه كان من الملائكة قبل المعصية وروي عنه ايضا انه كان من خزان
الجنة وهم جماعة من الملائكة يسمون الجن فعلى هذا يكون قوله تعالى من الجن اي من
الملائكة الذين هم خزان الجنة ففسق عن امر ربه لمخالفته فيكون استثناء من الجنس
وقال الزمخشري في سورة البقرة في قوله تعالى فسجدوا الا ابليس هو استثناء متصل
لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله
فسجدوا قلت وفي هذا التعليل نظر ثم قال ويجوز ان يكون منقطعا بعده قوله تعالى
افتتخذونه وذريته اولياء من دوني والاولياء الاصدقاء والاحباء وهم
ضد الاعداء ويؤيده قوله تعالى وهم لكم عدو وليس من الناس احد يحب ابليس
وذريته ويصادقهم فلعل المراد بالموالاة هنا اجابة الناس لهم فيما يأمرونهم به
من المعاصي ويوسوسون في صدورهم وطاعتهم اياهم فالموالاة مجاز عن هذا لانه من
لوازمها فان قيل كيف قال تعالى هنا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم
فلم يستجيبوا لهم اي فلم تجب الاصنام المشركين فنفى عن الاصنام النطق وقال تعالى
في سورة النحل واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين
كنا ندعو من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون يعني فكذبتهم الاصنام
فما قالوا اثبت لهم النطق فكيف الجمع بينهما قلنا المراد بقوله هنا نادوا
شركائي الذين زعمتم اي نادوهم للشفاعة لكم او لدفع العذاب عنكم فدعوهم

فدعوهم فلم يجيبوهم لذلك فنفى عنهم النطق بالاجابة الى الشفاعة ودفع العذاب وفي سورة
النحل اثبت لهم النطق بتكذيب المشركين في دعوى عبادتهم فلا تناقض بين المنفي
والمثبت فان قيل كيف قال تعالى هنا شركائي وفي سورة النحل شركاؤهم قلنا قوله
تعالى شركائي معناه في زعمكم واعتقادكم ولهذا قال شركائي الذين زعمتم او اخرجه
مخرج التهكم بهم كما قال المشركون للنبي عليه السلام يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وقوله
تعالى شركاؤهم يعني آلهتهم التي جعلوها شركاء فاضافها الى الله تعالى بجعلهم اياها
شركاء له واضافها اليهم بجعلهم اياها شركاء والاضافة تصح بادنى ملابسة لفظية او
معنوية فصحت الاضافتان فان قيل كيف قال تعالى نسيا حوتهما والناسي انما كان يوشع
وحده بدليل قوله لموسى عليه السلام فاني نسيت الحوت اي قصة الحوت وخبره
وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره قلنا اضيف النسيان اليهما مجازا والمراد
احدهما قال الفراء نظيره قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح
لا من العذب وقيل نسي موسى عليه السلام تفقد الحوت ونسي يوشع ان يخبره خبره وذكر
انه كان حوتا مملوحا في مكتل قد تزوداه فلما اصابه من ماء عين الحياة رشاش
حيي وانسل من المكتل وسلك في البحر ويوشع يراه وكان موسى قد ذهب
لقضاء حاجته فعزم يوشع ان يخبره بما رآه من امر الحوت فلما جاء موسى نسي ان
يخبره ونسي موسى تفقد الحوت والسؤال عنه فان قيل هذا التفسير يدل على ان
النسيان من يوشع ومنهما كان بعد حياة الحوت وذهابه في البحر وظاهر الآية

يدل على ان النسيان كان سابقا على ذهابه في البحر متصلا ببلوغ مجمع البحرين لقوله تعالى فلما
بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما في الآية تقديم وتاخير تقديره
فلما بلغا مجمع بينهما اتخذ الحوت سبيله في البحر سربا فنسيا حوتهما فان قيل كيف نسي
يوشع مثل هذه الاعجوبة العظيمة في مدة يسيرة بل في لحظة واستمر به النسيان
يومه ذلك وليلته الى وقت الغداء من اليوم الثاني ومثل ذلك لا ينسى مع تطاول
الزمان كيف وقد كان الله تعالى جعل فقدان الحوت علامة لهما على وجدان الخضر عليه
على ما نقل ان موسى عليه السلام سال الله تعالى علامة على موضع وجدانه فاوحى اليه ان خذ
معك حوتا في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم فلما سبب نسيانه انه
كان قد اعتاد مشاهدة المعجزات من موسى عليه السلام واستانس بها وكان الفه
بمثلها من خوارق العادات سببا لقلة اهتمامه بتلك الاعجوبة وعدم اكتراثه.
لها فان قيل كيف قال تعالى حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا
لقيا غلاما فقتله بالفاء قلنا جعل خرقها جزاء للشرط فلم يحتج الى الفاء كقولك
اذا ركب زيد الفرس عقره وجعل قتل الغلام من جملة الشرط فعطفه عليه
بالفاء والجزاء قال اقتلت كقولك اذا ركب زيد الفرس فعقره قال له
صاحبه اعقرته فان قيل كيف خولف بين القضيتين قلنا لان خرق السفينة
لم يتعقب الركوب وقتل الغلام تعقب لقاءه فان قيل كيف قال تعالى في قصة
الغلام لقد جئت شيئا نكرا وفي قصة السفينة لقد جئت شيئا امرا قلنا

قلنا امرا معناه منكرا فعلى هذا لا فرق في المعنى لان النكر والمنكر بمعنى واحد وقيل
الامر العجب او الداهية وخرق السفينة كان اعظم من قتل نفس واحدة لان
في الاول هلاك كثيرين وقيل النكر اعظم من الامر فمعناه جئت شيئا انكر من الاول
لان ذلك كان يمكن تداركه بالسد وهذا لا يمكن تداركه فان قيل كيف قال تعالى
في قصة السفينة الم اقل وفي قصة الغلام الم اقل لك قلنا لقصد زيادة المواجهة بالعتاب
على رفض الوصية مرة ثانية وللتنبيه على تكرر ترك الصبر والثبات فان قيل
ما فائدة اعادة ذكر الاهل في قوله تعالى استطعما اهلها وهلا قال استطعماهم لانه
قد سبق ذكر الاهل مرة قلنا فائدة اعادته التوكيد فان قيل كيف قال تعالى يريد ان
ينقض فنسب الارادة الى الجدار وهي من صفات من يعقل قلنا هذا مجاز بطريق
المشابهة لان الجدار بعد مشارفته ومداناته للانقضاض والسقوط شابه من
يعقل ويريد في تهيئه للسقوط فظهرت منه هيئة السقوط كما تظهر ممن يعقل
ويريد فنسبت اليه الارادة مجازا بطريق المشابهة في الصورة وقد اضافت
العرب افعال العقلاء الى ما لا يعقل مجازا قال الشاعر يريد الرمح صدر ابي براء
ويعدل عن دماء بني عقيل وقال حسان ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان
ومن امثالهم تمرد مارد وعز الابلق ومنه قوله تعالى ولما سكت عن موسى
الغضب وقوله ماذا عزم الامر وقوله قالتا اتينا طائعين ونظائره كثيرة
فان قيل لاي سبب لم يفارقه الخضر عند الاعتراض الاول والثاني وفارقه

لا عزم ج

يقال لففت الشيء اذا طويته وادرجته والشمل ما تفرق من الامور واستواؤها وجمع اسم يقول ان دهرا يجمع بيني وبين جمل والزمان قديم بالاحسان ١٢ لم ع

قال الميداني مارد حصن دومة الجندل والابلق حصن السموأل بن عادياء وصف بالابلق لانه بني من حجارة مختلفة بارض تيماء قصدتهما زباء فلم تقدر عليهما فقالت تمرد مارد وعز الابلق فصار مثلا لكل ما يعز ويمتنع عن طالبه يقال عز اي غلب ع

عند الثالث قلنا لوجهين احدهما ان موسى عليه السلام شرط على الخضر ترك مصاحبته على
تقدير وجود الاعتراض الثالث وقد وجد وكان راضيا به الثاني ان اعتراض موسى
في المرة الاولى والثانية كان تورعا وصلابة في الدين واعتراضه في المرة الثالثة كان
لهوى نفسه وشهوة بطنه فاعقبه هواه هوانا فان قيل فائدته ان اعيبها علته
خوف الغصب فكان حقه ان يتاخر عن علته فلم قدم عليها قلنا هو متاخر عنه لان
علة تعييبها او علة ارادة تعييبها خوف الغصب وخوف الغصب سابق لانه كان
للخضر عليه السلام علم بما فعله وفي قراءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة ولا بد من اضمار
هذه الزيادة على قراءة الجمهور والا لم يفد الخرق فان قيل الشمس في السماء الرابعة
وهي بقدر كرة الارض مائة وستين مرة وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وعشرين
يسعها عين في الارض حتى اخبر الله تعالى عنه انه وجدها تغرب في عين
حمئة او حامية على اختلاف القراءتين قلنا المراد بقوله تع وجدها اي في زعمه
وظنه كما يرى راكب البحر اذا لجج فيه وغابت عنه الاطراف والسواحل
ان الشمس تطلع من البحر وتغرب فيه وذو القرنين انتهى الى آخر البنيان
في جهة الغرب فوجد عينا حمئة واسعة عظيمة فظن ان الشمس تغرب
فيها فان قيل ذو القرنين كان نبيا او تقيا حكيما على اختلاف القولين فكيف
خفي عليه هذا حتى وقع في ظن المستحيل الذي لا يقبله العقل قلنا الانبياء
والاولياء والحكماء ليسوا معصومين عن ظن الغلط والخطاء وان

وان كانوا معصومين من كبائر الذنوب الا ترى الى ظن موسى عليه السلام في ما انكره على
الخضر عليه السلام في القضايا الثلاث وظنه انه يرى الله تع في الدنيا وهو من كبار الانبياء
وكذلك يونس عليه السلام كما اخبر الله تع عنه بقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن
ان لن نقدر عليه وكان الواقع بخلاف ظنه الثاني ان الله تع قادر على تصغير جرم
الشمس وتوسيع العين الحمئة وكرة الارض بحيث تسع عين الماء عين الشمس
فلم لا يجوز ان يكون قد وقع ذلك ولم نعلم به لقصور علمنا عن الاحاطة بذلك قلنا
فان قيل قوله تع قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا يدل على انه كان
نبيا لان الله تعالى خاطبه قلنا من قال انه ليس نبيا يقول هذا الخطاب له
كان بواسطة النبي الذي كان في زمانه كما في قوله تع يا بني اسرائيل وامثاله فان قيل
كيف قال تع هنا في حق الكفار فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا اي فلا ننصب لهم ميزانا لان
الميزان انما ينصب لتوزن به الحسنات بمقابلة السيئات والكافر لا حسنة له
والطاعة لقوله تع وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال في موضع آخر
واما من خفت موازينه فامه هاوية اي فمسكنه النار فاثبت لهم ميزانا قلنا
معنى قوله تع فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا اي لا يكون لهم عندنا قدر ولا خطر لخستهم
وحقارتهم ولو كان معناه ما ذكرتم فيكون قوله تع واما من خفت موازينه فامه المراد به
هاوية من غلبت سيئاته على حسناته من المؤمنين فانه يسكن في النار
ولكن لا يخلد فيها بل بقدر ما تمحص عنه ذنوبه فلا تنافي بينهما

سورة مريم

فان قيل النداء الصوت والصياح يقال ناداه نداء اي صاح به فكيف وصفه بكونه خفيا قلنا
النداء هنا الدعاء وانما اخفاه ليكون اقرب الى الاخلاص او لئلا يلام على طلب الولد بعد
الشيخوخة او لئلا يعاديه بنو عمه ويقولوا كره ان نقوم مقامه بعده فسأل ربه الولد لذلك
فان قيل كيف قال يرثني ويرث من آل يعقوب والنبي لا يورث لقوله عليه السلام نحن معاشر
الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة قلنا المراد بقوله يرثني اي يرثني العلم والنبوة ويرث
من آل يعقوب الملك وقيل الاخلاق فاجابه الله تعالى الى وراثة العلم والنبوة والاخلاق
دون الملك والمراد بقوله عليه السلام لا نورث المال ويؤيده قوله ما تركناه صدقة ويعقوب هنا
ابو يوسف وقيل لا بل اخو زكريا وقيل لا بل هو اخو عمران الذي هو ابو مريم فان قيل يوح
كيف قال يرثني ويرث من آل يعقوب فعدى الفعل في الاول بنفسه وفي الثاني بحرف الجر
وهو واحد قلنا يقال ورثه وورث منه فجمع بين اللغتين وقيل من هنا للتبعيض
لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء فان قيل كيف طلب الولد
بقوله فهب لي من لدنك وليا اي ولدا صالحا فلما بشره الله تعالى به بقوله يا زكريا انا
نبشرك الآية استبعد ذلك وتعجب منه وانكره بقوله انى يكون لي غلام الآية قلنا لم يقل
ذلك على طريق الانكار والاستبعاد بل ليجاب بما اجيب به فيزداد الموقنون ايقانا
ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا وآخرا كان على منهاج واحد في ان الله تعالى
غني عن الاسباب الثاني انه قال ذلك تعجب فرح وسرور لا تعجب انكار واستبعاد
الثالث قيل انه قال ذلك استفهاما عن الحالة التي يهبه الله فيها الولد ايهبه في حالة

الشيخوخة ام يرده الى حالة الشباب ثم يهبه ولكن هذا الجواب لا يناسبه ما اجيب
به زكريا عليه السلام بعد استفهامه فان قيل كيف طلب العلامة على وجود الولد بعد ما بشره
الله تعالى به اكان عنده شك بعد بشارة الله تعالى في وجوده حتى طلب العلامة قلنا
انما طلب العلامة على وجود الحمل ليبادر الى الشكر ويتعجل السرور فان الحمل لا يظهر في
اول العلوق بل بعد مدة فاراد معرفته اول ما يوجد فجعل الله تعالى آية وجود الحمل عجزه
عن الكلام مع سوية الجوارح ما به خرس ولا بكم فان قيل كيف قالت اني اعوذ بالرحمن
منك ان كنت تقيا وانما يتعوذ من الفاسق لا من التقي قلنا معناه ان كنت ممن
يتقي الله ويخشاه فستنتهي عني بتعوذي به منك فمعنى اعني اعتمد على ثمرة التعوذ
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان في زمانها رجل اسمه تقي ولم يكن تقيا بل كان فاجرا فظنته اياه
فتعوذت منه والقول الاول هو الذي عليه المحققون وقيل هو على المبالغة معناه اتعوذ اني ح
منك ان كنت تقيا فكيف يكون حالي في الهرب منك الى الله تعالى اذا لم تكن تقيا قالوا ونظير
هذا ما جاء في الخبر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه معناه انه اذا كان بحال لو لم
يخف الله تعالى لم يوجد منه عصيان فكيف يكون حاله اذا خاف الله تعالى وفي قراءة ابي وابن
مسعود الا ان تكون تقيا فان قيل اتفق العلماء على ان الوحي لم ينزل على امرأة ولم يرسل
جبريل برسالة الى امرأة قط ولهذا قالوا في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه
انه كان وحي الهام وقيل وحي منام فكيف قال تعالى هنا فارسلنا اليها روحنا وقال
انما انا رسول ربك قلنا لا نسلم ان الوحي لم ينزل على امرأة قط فان مقاتلا قال في قوله

تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه انه كان وحيا بواسطة جبرئيل عليه السلام وانما المتفق عليه
بين العلماء ان جبرئيل عليه السلم لم ينزل بوحي الرسالة على امراة لا مطلق الوحي وهنا لم ينزل
عليها بوحي الرسالة بل بالبشارة بالولد ولهذا جاءها على صورة البشر فتمثل لها بشرا
سويا فان قيل ما وجه قراءة الجمهور لاهب لك والواهب للولد هو الله تعالى لا جبرئيل عليه
قلنا قال ابن الانباري معناه انما انا رسول ربك يقول لك ارسلت رسولي اليك لاهب
لك فيكون حكاية عن الله تعالى لا من قول جبرئيل فيكون فعل الهبة مسندا الى الله تعالى لا اليه
الثاني ان معناه لاكون سببا في هبة الولد بواسطة النفخ في الدرع فالاضافة اليه بواسطة
السببية فان قيل كيف قالت ولم اك بغيا ولم تقل بغية مع انه وصف مونث قلنا قال
ابن الانباري لما كان هذا الوصف غالبا على النساء وقلما تقول العرب رجل بغي لم
تلحقوا به علامة التانيث اجراء له مجرى حائض وعاقر وقال الازهري لا تقال
رجل بغي بل هو مختص بالمونث ولام الكلمة ياء تقول بغى يبغي وهي فعول عند المبرد
اصلها بغوي فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وكسرت الغين اتباعا فهو
كصبور وشكور في عدم دخول التاء وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كان
فعولا لقيل بغو كما قيل هو نهو عن المنكر ثم قيل هي فعيل بمعنى فاعل فهي كقوله تعالى
قريب من المحسنين وقال الاخفش هي فعيل بمعنى مفعول كملحفة جديد فجعلها بمعنى مفعول
وقيل انما لم تقل بغية مراعاة لبقية رؤس الآيات فان قيل لم كان حزن مريم وقولها
يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري

بالسري والرطب بل كان لخوف ان يتهمها اهلها بفعل الفاحشة قلنا كان حزنها لمجموع
الامرين وهو ما ذكرتم وجدب مكانها الذي ولدت فيه فانه لم يكن فيه طعام ولا
شراب ولا ما تتطهر به فكان اجراء النهر في المكان اليابس الذي لم يعهد فيه ماء واخراج
الرطب من الشجرة اليابسة وافعالجتي الحزن اما دفع الجدب فظاهر واما
دفع حزن التهمة فمن حيث انهما معجزتان تدلان قومها على عصمتها وبرآئتها من
السوء وان الله تعالى قد خصها بامور الهية خارجة عن العادة خارقة لها فتبين لهم ان
ولادتها من غير فحل ليس ببديع من شانها ولا بعيد في قدرة الله تعالى المخرج في حيطة واحدة
الرطب الجني من النخلة اليابسة والمجري للماء بغتة في مكان لم يعهد فيه فان قيل
كيف امرها جبرئيل عليه السلم اذا رات انسانا ان تكلمه بعد النذر بالسكوت بقوله فاما
ترين من البشر احدا الآية وذلك خلف في النذر قلنا انما امرها بذلك لانه تمام نذرها
فانها لم تكن مامورة بنذر مطلق السكوت حتى يندرج فيه الكف عن الذكر والتسبيح
والدعاء ونحوها بل بنذر السكوت عن تكليم الانسي واذا كان تمام نذرها بقولها
فلن اكلم اليوم انسيا لا تكون متكلمة للانسي بعد تمام النذر فان قيل كيف قال تعالى
من كان في المهد صبيا وكل احد كان في المهد صبيا قلنا كان هنا زائدة وصبيا
منصوب على الحال لا على انه خبر كان تقديره كيف نكلم من في المهد في حال صباه وقيل
كان بمعنى وقع ووجد وصبيا منصوب على الوجه الذي مر فان قيل خطاب التكليف
في الشرائع انما يكون بعد البلوغ او بعد التمييز والقدرة على فعل المامور به وعيسى

عليه السلام كان رضيعًا في المهد فكيف خوطب بالصلوة والزكوة حتى قال واوصاني
بالصلوة والزكوة ما دمت حيا قلنا ما أخّر الخطاب الى غاية البلوغ وغيرها انما
كان ليحصل العقل والتميز وعيسى عليه كان واجدا للعقل والتميز التام في تلك
الحالة فتوجه نحوه الخطاب ان يفعلهما اذا قدر على ذلك ولهذا قيل انه اعطى النبوة
في صباه ايضا فان قيل الزكوة تجب على الاغنياء وعيسى عليه لم يزل فقيرا لابسًا كساءً
مدة مقامه في الارض وعلم الله تعالى ذلك من حاله فكيف اوصاه بالزكوة قلنا المراد بالزكوة
هنا تزكية النفس وتطهيرها من المعاصي لا زكوة المال فان قيل كيف جاء السلام في
قصة يحيى عليه منكرا وفي قصة عيسى عليه معرفا قلنا قد قيل ان النكرة والمعرفة في
مثل هذا سواء لا فرق بينهما في المعنى الثاني انه سبق ذكره في قصة يحيى عليه مرة فلما اعيد
ذكره اعيد معرفا كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول كانه قال
ذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الى فان قيل كيف يكون الالف
واللام في السلام للعهد والاول سلام من الله تعالى على يحيى عليه والثاني سلام من عيسى عليه
على نفسه قلنا التعريف راجع الى ماهية السلام ومواطنه لا الى كونه واردا من
عند الله تعالى فان قيل ما معنى قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم وما اشبهه ومثل هذا انما
يقال اذا كان المامور مخيرا في الذكر وعدمه كما يقول لصاحبك وهو يكتب كتابا
اذكرني في الكتاب او اذكر فلانا في الكتاب والنبي عليه ما كان يسبيل من الزيادة
او النقصان في الكتاب الموحى عليه ذلك قلنا هذا على طريق التاكيد في الامر

في الامر بالابلاغ كما اكد الملك على رسوله بادائه بعض فصول الرسالة وتخصيصها بالامر
بالابلاغ فان قيل الاستغفار للكافر لا يجوز فكيف وعد ابرهيم عليه اباه الاستغفار له بقوله
سأستغفر لك ربي قلنا معناه سأسأل الله لك توبة تنال بها مغفرته يعني الاسلام
والاستغفار للكافر بهذا الطريق جائز وهو ان يقال اللهم وفقه للاسلام او اللهم تب
عليه واهده وارشده وما اشبه ذلك الثاني انه وعده ذلك بناء على انه يسلم فيستغفر
له بعد الاسلام الثالث انه وعده ذلك قبل تحريم الاستغفار للكافر فان تحريم ذلك
قضية شرعية انما تعرف بالسمع لا عقلية فان العقل لا يمنع من ذلك فان قيل الطور
وهو الجبل ليس له يمين ولا شمال فكيف قال تعالى من جانب الطور الايمن قلنا
خاطب الله تعالى العرب بما هو معروف في استعمالهم فانهم يقولون عن يمين القبلة
وشمالها يعنون ما يلي يمين المستقبل لها وشماله لان القبلة لا يد لها لتكون لها
يمين وشمال وهذا اتساع منهم في الكلام لعدم اللبس فالمراد بالايمن هنا ما عن
يمين موسى عليه من الطور لان النداء جاءه من قبل يمينه هذا ان كان الايمن
ضد الايسر من اليمين وان كان من اليُمن وهو البركة من قولهم يَمُن فلان قومه
فهو يامن اي كان مباركا عليهم فلا اشكال لانه يصير معناه من جانب الطور المبارك
فان قيل كيف قال تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا وهارون كان اكبر
من موسى عليه فما معنى هبته له قلنا معناه ان الله تعالى انعم على موسى عليه باجابة
دعوته فيه حيث قال واجعل لي وزيرا من اهلي هرون الاية فقال سنشد عضدك

عملا كما لا الحور ... عن ما ما عند نا فلا الحور عزا المكر

باخيك فالمراد فجعلنه عضدا له وناصرا ومعينا كذا فسره ابن عباس رضه فان قيل كيف
وصف تعالى النبيين المذكورين في مريم اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين
من ذرية ادم الآية بقوله واذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا والمراد
بآيات الرحمن القرآن لم ينزل على احد من الانبياء المذكورين قلنا آيات الرحمن غير
مخصوصة بالقرآن بل كل كتاب انزل الله تعالى ففيه آياته ولو سلمنا ان المراد بها
القرآن فنقول ان المراد بقوله وممن هدينا واجتبينا محمد صلعم وامته فان
قيل قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف
يلقون غيا الا من تاب وآمن يدل على ان ترك الصلوة واضاعتها كفر لانه
شرط في توبة مضيعها الايمان قلنا قال ابن عباس رضه المراد بهولاء الخلف هنا اليهود
تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب فان قيل
كيف قال تعالى انه كان وعده ماتيا ولم يقل آتيا كما قال انما توعدون لآت قلنا المراد
بوعده هنا موعده وهو الجنة وهي ماتية ياتيها اولياؤه الثاني ان مفعولا هنا
بمعنى فاعل كما في قوله تعالى حجابا مستورا اي ساترا فان قيل قوله تعالى تلك الجنة التي نورث
من عبادنا من كان تقيا وقوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض اعدت
للمتقين يدل من حيث المفهوم ان غير المتقين لا يدخلون الجنة قلنا
المراد بالتقوى هنا التقوى من الشرك وكل المؤمنين سواء فيه فان قيل ما معنى
انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال من دعوتهم الولد لله تع

الجبال

والقرآن ع

لله تع ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلنا معناه ان الله تعالى يقول كدت
افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا على قائلها لولا
حلمي وامهالي واني لا اعجل بالعقوبة كما قال عز وجل ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا يعني ان تخر على المشركين وتنشق الارض بهم ويدل على هذا قوله تع في
آخر الآية انه كان حليما غفورا الثاني ان يكون استعظاما لقبح هذه الكلمة وتصويرا
لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات
ان تصيب هذه الاجسام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر به وتنشق وتخر فان
قيل كيف قال تع هنا في صفة الشرك تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا وهذا يدل على قوة كلمة الشرك وشدتها وقال تعالى في سورة ابرهيم
عليه في صفة كلمة الشرك ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض
ما لها من قرار والمراد بالكلمة الخبيثة كلمة الشرك كذا قال ابن عباس رضه وبالشجرة
الخبيثة شجرة الحنظل كذا قال رسول الله صلعم وهذا يدل على ضعف كلمة الشرك
ولا شبهة في الضعف الا ما كلف التوفيق بينهما قلنا وصفت كلمة الشرك في سورة ابرهيم
عليه السلام بالضعف وهنا بالقبح فهي في غاية الضعف وفي غاية القبح والفظاعة
فلا تنافي بينهما فان قيل كيف قال تع لقد احصاهم وعدهم والاحصاء العد على ما نقله
الجوهري او الحصر على ما نقله بعض ائمة التفسير كما سبق ذكره في سورة
ابرهيم عليه في قوله تع وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان كان الاحصاء العد فهو

سورة طه

تكرار وان كان الحصى فذكره مغنٍ عن ذكر العد لان الحصى لا يكون الا بعد معرفة العدد وقيل الاحصاء قد جاء بمعنى العلم ايضا ومنه مواضع واحصى كل شيء عددا اى علم عدد كل شيء وقول الشاعر وكيف الذى لم تحص متعلما فاما الذى احصيت منه فعلّم وسؤال هنا فيصل المعنى ليعلم علمهم اى علم افعالهم واقوالهم وكل ما يتعلق بذواتهم وصفاتهم وعددهم فلا تكرار ولا استغناء عن ذكر العد **سورة طه** فان قيل كيف حكى الله تعالى قول موسى عليه السلام لاهله عند رؤية النار فى هذه السورة وفى سورة النمل وفى سورة القصص بعبارات مختلفة وهذه القضية لم تقع الا مرة واحدة فكيف اختلفت عبارة موسى عليه السلام فيها قلنا قد سبق فى سورة الاعراف فى قصة موسى عليه السلام مثل هذا السؤال والجواب المذكور ثم هو الجواب هنا فان قيل مواضع فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها ظاهر اللفظ نهى من لا يؤمن بالساعة عن صد موسى عليه السلام عن الايمان بها والمقصود هو نهى موسى عن التكذيب بها فكيف تنزيله قلنا معناه كن شديد الشكيمة فى الدين صليب المعجم لئلا يطمع فى صدك عن الايمان بها من لا يؤمن بها وهذا كقولهم لا اربنك هنا معناه لا تدن منى ولا تقرب من حضرتى لئلا اراك فمعنى الصورتين النهى متوجه الى المسبب والمراد به النهى عن السبب وهو القرب منه والجلوس بحضرته فانه سبب رؤيته وكذلك لين موسى عليه السلام فى الدين وسلاسة قياده سبب لصدهم اياه فان قيل ما فائدة السؤال فى مواضع وما تلك بيمينك يا موسى وهو اعلم بما فى يده جملة وتفصيلا ولما

وتفصيلا قلنا فائدته تانيسه وتخفيف ما حصل عنده من دهشة الخطاب وهيبة الاجلال وقت التكلم معه كما ترى احدنا طفلا قد داخلته هيبة واجلال وخوف وفى يده فاكهة او غيرها فيلاطفه ويوانسه بقوله ما هذا فى يدك مع انه عالم به الثانى انه اراد بذلك ان يقرر موسى عليه السلام ويعترف بكونها عصا ويزداد العلم بكونها عصا رسوخا فى قلبه فلا يحوم حوله شك اذا قلبها ثعبانا انها كانت عصا ثم انقلبت ثعبانا بقدرة الله تعالى وان يتقرر فى نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه فينبهه على القدرة الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هذه فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد ايام درعا سابغة مسرودة ويقول هذه هى تلك الزبرة صيرتها الى ما تراه من عجيب الصنعة وانيق السرد فان قيل كيف زاد موسى عليه السلام على حرف الجواب وليس ذلك من شيمة البلغاء خصوصا فى مخاطبة الملوك قلنا قال ابن عباس رضى الله عنهما انه لما قال هى عصاى سئل سوالا ثانيا فقيل ما تصنع بها فاجاب بباقى الآية الثانى انه انما عدد فوائدها وبين حاجته اليها خوفا من ان يؤمر بالقائها كما امر بالقاء النعلين الثالث انه ذكر ذلك لئلا ينسب الى العبث فى حملها فان قيل قد نقل انها كانت تضيء له بالليل وتدفع عنه الهوام وتثمر له اذا اشتهى الثمار وتغرسها فى الارض من ساعتها وتركزها فينبع الماء من مركزها فاذا رفعها نضب وكان يستقى بها فتطول بطول البير وتقصر بقصرها فهلا عدد هذه المنافع قلنا كره ان يشتغل عن سماع كلام الله تعالى بتفصيل

قال فلان شديد الشكيمة ... اذا كان ... عزيز النفس ... الحديد عندنا ... اعجمه بالقسم ... ذا عضضت لتعلم صلابته ... من جودته والعواج الاسنان ... ورجل صليب المعجم اذا كان عزيز النفس

منافعها فضل العصا واجمل الباقي بقوله ولي فيها مآرب اخرى والله اعلم بما اجمله
الثاني انه ذكر المنافع التي هي الزينة وحاجته اليها امس وان كانت المنافع التي اجملها
اعجب واغرب فان قيل قد ذكر الله تع عصا موسى عليه السلام بلفظ الحية والثعبان والجان
وبين الثعبان والجان تناف لان الجان الحية الصغيرة كذا قاله ابن عرفة والثعبان
الحية العظيمة كذا نقله الازهري عن الزجاج وقطرب قلنا اراد انها في صورة
الثعبان العظيم وخفة الحية الصغيرة وحركتها ولهذا قال فلما رآها تهتز كأنها
جان الثاني انها كانت في اول انقلابها تنقلب حية صغيرة صفراء دقيقة ثم تتورم و
يتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها فان قيل ما فائدة قوله
امكر ع تعالى اذ اوحينا الى امك ما يوحى وهذا لا بيان فيه قلنا فائدته الاشارة الى انه ليس
كل الامور مما يوحى الى النساء كالنبوة ونحوها بل بعضها الثاني انه للتأكيد كقوله تع فغشيها
ما غشى فكانه قال اذ اوحينا الى امك ايحاء الثالث انه ابهم اولا للتفخيم والتعظيم
ثم بينه وفصله بقوله تع ان اقذفيه الآية فان قيل كيف قدم هارون على موسى في
قوله تع فالقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى عم وهارون كان وزيرا
لموسى عليه السلام بقوله تعالى قال الله تع وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا قلنا انما قدم ليقع
موسى مؤخرا في اللفظ لمناسبة الفواصل اعني رؤوس الآيات فان قيل كيف
قال تع لا يموت فيها ولا يحيى والموت والحياة في صفات الانسان نقيضان فكيف
يرتفعان قلنا المراد لا يموت فيها موتا يستريح به ولا يحيى حيوة تنفعه و

تنفعه ويستلذ بها الثاني ان المراد لا يموت فيها موتا متصلا ولا يحيى حيوة متصلة بل كلما
مات من شدة العذاب اعيد حيا ليذوق العذاب هكذا سبعين مرة في مقدار
كل يوم من ايام الدنيا فان قيل الخوف والخشية واحد في اللغة فكيف قال تع لا تخاف
دركا ولا تخشى قلنا معناه لا تخاف دركا اي لحاقا من فرعون ولا تخشى غرقا
في البحر كما تقول لا تخاف زيدا ولا تخاف عمرا ولو قلت ولا عمرا صح وكان اوجز
ولكن اذا اعدت الفعل كان آكد واما في الآية فلما لم يكن مفعول الخشية مذكورا
ذكر الفعل ثانيا ليكون دليلا عليه وهو لطيفة من اللطائف ورعاية البلاغة وقيل معناه
لا تخاف دركا مما ينفعك ولا تخشى دركا من مكره والاول اظهر فان قيل قوله
تعالى واضل فرعون قومه مغن عن قوله وما هدى ومفيد فوق فائدته فكيف ذكر
معه قلنا معناه وما هداهم بعدما اضلهم فان المضل قد يهدي بعد اضلاله الثاني ان معناه
واضل فرعون قومه وما هدى نفسه الثالث ان معنى واضل فرعون قومه عن الدين
وما هداهم طريقا في البحر الرابع ان قوله وما هدى تهكم به في قوله لقومه وما اهديكم الا
سبيل الرشاد فان قيل كيف قال تع يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب
الطور الايمن اضاف المواعدة اليهم والمواعدة انما كانت لموسى عليه السلام واعده الله
تعالى جانب الطور الايمن لاعطائه التورية قلنا المواعدة وان كانت لموسى عليه السلام
ولكنها لما كانت لانزال الكتاب بسبب بني اسرائيل وفيه بيان شريعتهم واحكامهم
وصلاح معاشهم ومعادهم اضيفت المواعدة اليهم لهذه الملابسة والاتصال

فان قيل قوله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة فان موسى عليه السلام لما واعده
الله تعالى انزال التوراة عليه في جانب الطور الايمن واراد الخروج الى ميعاد ربه
اختار من قومه سبعين رجلا يصحبونه الى ذلك المكان ثم سبقهم شوقا الى ربه وامرهم
باللحاق فعوتب على ذلك فكان الجواب المطابق ان يقول الى زيادة رضاك او الشوق
الى لقائك وتنجز وعدك فكيف قدم ما لا يطابق السؤال وهو قوله هم اولاء على اثري
قلنا ما واجهه به ربه تضمن شيئين انكار العجلة في نفسها والسؤال عن سببها فبدأ
موسى عليه السلام بالاعتذار عما انكر عليه بانه لم يوجد منه الا تقدم يسير لا يعتد به في
العادة كما يتقدم المقدم جماعته واتباعه ثم عقب العذر بجواب السؤال عن السبب
فان قيل اليس ان ائمة اللغة قالوا العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان ولهذا
قال ثعلب ويقول في الامر والدين عوج وفي العصا ونحوها عوج والجبال والارض
عين فكيف صح فيها المكسور في قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا قلنا قال ابن السكيت
كل ما كان منتصب كالحائط والعود قيل فيه عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في
ارض او دين او معاش فعلى هذا لا اشكال الثاني انه اراد به نفي الاعوجاج الذي
يدرك بالقياس الهندسي ولا يدرك بحاسة البصر وذلك اعوجاج لاحق بالمعاني
فلذلك قال فيه عوج بالكسر وما يوضح هذا انك لو سويت قطعة ارض غاية
التسوية بمقتضى نظر العين بعوا فعه جماعة من البصراء واتفقتم على انه لم يبق
فيها اعوجاج قط ثم امرت المهندس ان يعتبرها بالمقاييس الهندسية لو

اى وجد فى مواضع
لوجد فيها عوجا في غير موضع ولكنه عوج لا يدرك بحاسة البصر فنفى الله تعالى ذلك
العوج الذي لطف ودق عن الادراك فكان لدقته وخفائه ملحقا بالمعاني فان قيل
ان الله تعالى اخبر ان آدم عليه السلام نسي عهد الله ووصيته واكل من الشجرة بقوله تعالى ولقد عهدنا
الى آدم من قبل فنسي واذا كان فعل ذلك ناسيا فكيف وصفه بالعصيان والضلال بقوله
تعالى وعصى آدم ربه فغوى وعاقبه عليه باعظم انواع العقوبة وهو الاخراج من
الجنة قلنا النسيان هنا بمعنى الترك كما في قوله تعالى انا نسيناكم اى تركناكم في العذاب
وقوله تعالى نسوا الله فنسيهم فمعناه انه ترك عهد الله ووصيته وكيف يكون من النسيان
الذي هو ضد الذكر وقد جرى بينه وبين ابليس من المناظرة والمجادلة في اكل
الشجرة فصول كثيرة منها قوله ما نهاكما ربكما عن تلكما الشجرة الآية فكيف يبقى مع هذا
نسيان فان قيل كيف قال تعالى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ولم يقل فتشقيا والخطاب
لآدم وحواء عليهما السلام قلنا لوجهين احدهما ان الرجل هو قيم اهله واميرهم
فشقاوته تتضمن شقاوتهم كما ان سعادته تتضمن سعادتهم فاختصر الكلام باسناد الشقاء
اليه دونها لما كان متضمنا له الثاني انه انما اسنده اليه دونها للمحافظة على الفاصلة
الثالث انه اراد بالشقاء الشقاء في طلب القوت واصلاح المعاش وذلك وظيفة
الرجل دون المرأة قال سعيد بن جبير اهبط الى آدم ثور احمر فكان يحرث
عليه ويمسح العرق عن جبينه فذلك شقاؤه فان قيل هل يجوز ان يقال كان آدم
عاصيا غاويا اخذا من قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى قلنا يجوز

ان يقال عصى آدم كما قال الله تعالى ولا يجوز ان يقال كان آدم عاصيا لانه لا يلزم من
جواز اطلاق الفعل جواز اطلاق اسم الفاعل الا ترى انه يجوز ان يقال تبارك الله
ولا يجوز ان يقال متبارك ويجوز ان يقال تاب الله على آدم ولا يجوز ان يقال تايب
ونظايره كثيرة فان قيل اسماء الله تعالى وصفاته توقيفية لا مدخل للقياس فيها ولهذا
يقال الله عالم ولا يقال علامة وان كان هذا اللفظ ابلغ في الدلالة على معنى العلم
فاما اسماء البشر وصفاتهم فقياسية فلم لا يجري فيها على القياس المطرد قلنا هذا
القياس ليس بمطرد في كلام البشر ايضا الا ترى انهم قالوا ذره ودعه بمعنى اتركه وفلان
يذر ويدع ولم يقولوا منهما وذر ولا واذر ولا ودع ولا وادع فاستعملوا منهما
الامر والمضارع فقط ولقائل ان يقول هذا شاذ في كلام العرب ونادر فلا يترك لاجل
القياس المطرد بل يجري على مقتضى القياس فان قيل كيف قال تعالى ومن اعرض
عن ذكري اي عن موعظتي او عن القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه فان له معيشة
ضنكا اي حياة في ضيق وشدة ونحن نرى المعرضين عن الايمان والقرآن
في اخصب معيشة وارغدها قلنا قال ابن عباس نعم المراد بالمعيشة
الضنك الحياة في المعصية وان كان في رخاء ونعمة وروي عن النبي صلعم انها عذاب
القبر الثاني ان المراد بها عيشه في جهنم في الآخرة الثالث ان المراد بها عيشه
مع الحرص الشديد على الدنيا واسبابها وهذه الآية في مقابلة قوله تعالى في سورة النحل
من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة فكل ما ذكرناه

ما ذكرناه في تفسير الحياة الطيبة فضده وارد في المعيشة الضنك فان قيل اي كلمة هي
الكلمة التي سبقت من الله تعالى وكانت مانعة من تعذيب هذه الامة في الدنيا عذاب الاستيصال
في قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما قلنا هي قوله تعالى سبقت رحمتي غضبي وورد
عليه انه لا اختصاص لهذه الكلمة بهذه الامة وقيل هي قوله تعالى للنبي صلعم وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وقيل هي قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يعني لعالمي امته لتاخير
العذاب عنهم وفي الآية تقديم وتاخير تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى وهو
الاجل الذي قدره الله تعالى لبقاء العالم واهله الى انقضائه لكان العذاب لزاما اي لازما
لهم كالامم التي قبلهم فان قيل اصحاب الصراط السوي والمهتدون واحد فما فائدة التكرار
في قوله تعالى فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى قلنا المراد باصحاب
الصراط السوي السالكون الصراط المستقيم السايرون عليه والمراد بالمهتدين الواصلون
الى المنزل وقيل اصحاب الصراط السوي هم الذين ما زالوا على الطريق المستقيم والمهتدون
هم الذين لم يكونوا على الطريق المستقيم ثم صاروا عليه وقيل المراد باصحاب الصراط السوي
اهل دين الحق في الدنيا والمراد بمن اهتدى المهتدون الى طريق الجنة في العقبى فكانه قال
فستعلمون من المحق في الدنيا والفايز في الآخرة **سورة الانبياء** فان قيل كيف قال
تعالى اقترب للناس حسابهم وصفه بالقرب وقد مضى من وقت هذا الاخبار اكثر من
ستمائة عام ولم يوجد يوم الحساب بعد قلنا معناه انه قريب عند الله تعالى وان كان
بعيدا عند الناس كما قال تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقال تعالى ويستعجلونك

بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون الثاني ان معناه انه قريب بالنسبة الى
ما مضى من الزمان كما قال عليه السلام انما مثل ما بقي من الدنيا في جنب ما مضى كمثل خيط في ثوب
الثالث ان المراد به قرب كل واحد واحد في قبره اذا مات ويؤيده قوله عليه السلام من مات فقد جابه
قامت قيامته الرابع ان كل آت قريب وان طالت اوقات استقباله وترقبه انما البعيد
الذي وجد وانقرض ولهذا يقول الناس اذا سافروا من بلد الى بلد بعد ما ولّوا ظهورهم
البلد الاول البلد الثاني اقرب وان كان ابعد مسافة فان قيل كيف قال تعالى ما يأتيهم من ذكر
من ربهم محدث والذكر الآتي من الله تعالى هو القرآن وهو قديم لا محدث قلنا المراد محدث انزاله
الثاني ان المراد به ذكر يكون غير القرآن من مواعظ الرسول عليه السلام وغيره ونسبته الى الله تعالى لان
موعظة كل واعظ بالهامه وهدايته الثالث ان المراد بالذكر الذاكر وهو الرسول ويؤيده
قوله تعالى في سياق الآية هل هذا الا بشر مثلكم وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى الا استمعوه اي الا
استمعوا ذكره او موعظته فان قيل النجوى المسارة فما معنى قوله تعالى واسروا النجوى الذين
قلنا معناه بالغوا في اخفاء المسارة بحيث لم يفطن احد لتناجيهم ومسارتهم تفصيلا
ولا اجمالا فان الانسان قد يرى اثنين يتساران فيعلم من حيث الاجمال انهما يتساران
وان لم يعلم تفصيل ما يتساران به وقد يتساران في مكان لا يراهما احد فان قيل كيف قال تعالى
لمشركي مكة فاسألوا اهل الذكر يعني فاسألوا اهل الكتاب عمن مضى من الرسل هل كانوا بشرا
ام ملائكة مع ان المشركين قالوا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه قلنا هم وان لم
يؤمنوا بالكتاب اهل الكتاب ولكن النقل المتواتر من اهل الكتاب في القضية العقلية يفيد

يفيد العلم لمن يؤمن بكتابهم ولمن لا يؤمن به فان قيل كيف قال تعالى ولا يستحسرون
والاستحسار مبالغة في الحسور وهو الاعياء فكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم
ادنى الحسور او مطلقه لا اقصاه قلنا انما ذكر الاستحسار اشارة الى ان ما هم فيه من
من التسبيح الدائم والعبادة المتصلة يوجب غاية الحسور واقصاه فان قيل قوله تعالى
في وصف الملائكة بل عباد مكرمون الى قوله تعالى مشفقون يدل على انهم لا يعصون الله تعالى
كما جاء هذا مصرحا به في قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم فاذا كانوا لا يعصون الله تعالى
فلم يخافون حتى قال تعالى وهم من خشيته ربهم مشفقون قلنا لما رأوا ما جرى على ابليس وعلى
هاروت وماروت من القضاء والقدر خافوا من مثل ذلك الثاني ان زيادة معرفتهم
بالله تعالى وقربهم في محل كرامته يوجب مزيد خوفهم ولهذا قال اهل التحقيق من كان بالله
اعرف بالهيبة كان من الله اخوف ومن كان الى الله اقرب كان من الله ارهب
وقال بعضهم يا عجبا من مطيع آمن ومن عاص خائف فان قيل كيف قال تعالى اولم ير
الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وهم لم يروا ذلك قلنا
معناه اولم يعلموا ذلك باخبار من قبلهم او بوروده في القرآن الذي هو معجز في
نفسه ونظيره قوله تعالى للنبي عليه السلام الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض
وقوله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا الآية ونظائره كثيرة فان قيل كيف قال تعالى وجعلنا
من الماء كل شيء حي مع ان الملائكة احياء والجن احياء وليسوا مخلوقين من الماء
بل من النور والنار كما قال تعالى وخلق الجان من مارج من نار وكذا آدم مخلوق

من التراب وناقة صالح مخلوقة من الحجر ولما المراد به البعض وهو الحيوان كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء وقوله تعالى وجاءهم الموج من كل مكان ونظائره كثيرة الثاني ان الكل مخلوقون من الماء ولكن البعض بواسطة والبعض بغير واسطة ولهذا قيل انه تعالى خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء وخلق الجان من نار خلقها من الماء وخلق آدم من تراب خلقه من الماء فان قيل كيف قال تعالى فلا تستعجلون بعد قوله تعالى خلق الانسان من عجل وكانه تكليف ما لا يطاق قلنا هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة فان قيل كيف قال تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون مع ان الصم لا يسمعون الدعاء اذا ما يبشرون قلنا اللام في الصم اشارة الى المنذرين السابق ذكرهم بقوله تعالى قل انما انذركم بالوحي فهي لام العهد لا لام الجنس فان قيل كيف قال ابرهيم بل فعله كبيرهم هذا احال كسر الاصنام على الصنم الكبير وكان ابرهيم عليه هو الكاسر لها قلنا قاله على طريق الاستهزاء والتهكم بهم لا على طريق الكذب الثاني انه كان الحامل له على كسرها اغتياظه من رؤيتها مصفوفة مزينة للعبادة مبجلة معظمة وكان اغتياظه من كبيرها اعظم لمزيد تعظيمهم له فاسند الفعل اليه كما يسند الى سببه والى الحامل عليه الثالث انه اسنده اليه معلقا بشرط منتف لا مطلقا تقديره فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسئلوهم فان قيل كيف صح مخاطبة النار بقوله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم والخطاب انما يكون مع من يعقل قلنا خطاب التحويل والتكوين لا يختص بمن يعقل قال الله

تعالى يا جبال اوبي معه وقال تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها وقال تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي فان قيل كيف وصف تعالى الانبياء عليهم السلام بكونهم من الصالحين بقوله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل الآية مع ان اكثر المؤمنين صالحون خصوصا في الزمن الاول قلنا معناه انهم من الصالحين للادخال في الرحمة التي اريد بها النبوة على ما فسره مقاتل او الجنة على ما فسره ابن عباس ويؤيد ذلك قول سليمان عليه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين اي الصالحين للعمل المرضي الذي سبقوا اليه فان قيل كيف قال تعالى هنا والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وقال في سورة التحريم ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا قلنا حيث انث اراد النفخ في ذاتها ولما كان مبدا النفخ من الفرج الذي هو مخرج الولد او جيب درعها على اختلاف القولين لانه فرجة وكل فرجة بين شيئين تسمى فرجا في اللغة وهذا ابلغ في الثناء عليها لانها اذا منعت جيب درعها فالاجل كانت لنفسها امنع وحيث ذكر فظاهر فان قيل قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون يدل على انهم يجب ان يرجعوا لان كل ما حرم ان لا يوجد وجب ان يوجد فكيف معنى الآية قلنا معناها وواجب على اهل قرية عزمنا على اهلاكهم او قدرنا اهلاكهم انهم لا يرجعون عن الكفر الى الايمان او انهم لا يرجعون بعد اهلاكهم الى الدنيا فالحرام هنا بمعنى الواجب كذا قاله ابن عباس رضه ويؤيده قول الخنساء وان حراما لا ارى

اي فان على وجوبا ونذرا بسبب عدم بكائي على صخر ولاني لم ارزق الحضور على موته ولم يتيسر لي الجزع عليه لان لا ارى نحو باكيا في جميع الازمنة على شجوه اي على ما وجد الحزن وهو وزن الشجو

الدَّهر باكيًا على نَجْوة الّا بكيتُ عليه عم وحمل لفظ الحرام على ظاهره ولا زائد والمعنى
ما سبق ذكره والحُرمة هنا بمعنى المنع كما في قوله تع وحرمنا عليه المراضع من قبلُ وقوله
تعالى ان الله حرمهما على الكافرين فان قيل كيف قال تع هنا ان الذين سبقت لهم منا
الحُسنى اولئك عنها مبعدون وقال في موضع آخر وان منكم الا واردها وواردها
يكون قريبا منها لا بعيدًا قلنا معناه مبعدون عن ألَمِها وعذابها مع كونهم واردِيها
او معناه مبعدون عنها بعد ورودها بالانجاء المذكور بعد الورود فلا تنافي فان
قيل كيف قال تع وما ارسلناك الا رحمة للعالمين مع ان النبي صلعم لم يكن رحمة للكافرين
الذين ماتوا على كفرهم بل نقمة لانه لولا ارساله اليهم ما عُذبوا بكفرهم لقوله تع وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا قلنا كان رحمة للكافرين ايضا من حيث ان عذاب
الاستئصال أُخّر عنهم بسببه الثاني انه كان رحمة عامة من حيث انه جاء بما يُسعدهم
ان اتبعوه ومن لم يتبعه فهو الذي قصّر في حق نفسه وضيّع نصيبه من الرحمة
ومَثَله عليه عم مثل عين عذبة فجرها الله تع فسقى ناس زروعهم ومواشيهم منها
فافلحوا وفرّط ناس في السقي منها فضيعوا فالعين في نفسها نعمة من الله تع //
للفريقين ورحمة وان قصّر البعض وفرطوا الثالث ان المراد بالرحمة الرحيم وهو
عليه عم كان رحيما للفريقين الا ترى انهم لما شجّوه يوم أُحد وكسروا رباعيته حتى
خرّ مغشيا عليه فلما افاق قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فان قيل كيف قال تع
هنا وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون مع اخباره تع اياهم بقرب الساعة

الساعة بقوله اتى امر الله وقوله تع اقتربت الساعة ونحوها قلنا معناه ما ادري ان
العذاب الذي توعدونه وتُهدَّدون به نزوله بكم عاجلا او آجلا وليس المراد به قيام
الساعة ويرد على هذا الجواب انه قريب على كل تقدير لانه ان كان قبل قيام الساعة فظاهر
وان كان بعد قيام الساعة فهو كالمتصل بها لسرعة زمن الحساب فيكون قريبا ايضا
فان قيل اذا كان المؤمنون يعتقدون ان الله تع لا يحكم الا بالحق فما فائدة الامر او
الاخبار المتعلق بقوله تع رب احكم بالحق قلنا ليس المراد بالحق هنا ما هو نقيض
الباطل بل المراد به ما وعده الله تع اياه من نصر المؤمنين وخذلان الكافرين
ووعده لا يكون الا حقا فكانه قال عجّل لنا وعدك وانجزه ونظيره قوله تع ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق الثاني انه ذكره لما في التصريح بالصفة من المبالغة
وان كانت لازمة للفعل ونظيره في عكسه من صفة الذم قوله تع ويقتلون الانبياء
بغير حق سورة الحج فان قيل قوله تع ان زلزلة الساعة شيء عظيم يدل على ان
المعدوم شيء قلنا لا نسلم وسنده ان المراد انها اذا وُجدت كانت شيئا لا انها
شيء الآن ويؤيد هذا قوله تع عظيم مع ان المعدوم لا يوصف بالعِظم فان قيل كيف
قال تعالى اولا يوم ترونها بلفظ الجمع ثم افرد فقال وترى الناس قلنا لان
الرؤية اولا عُلّقت بالزلزلة فجعل الناس كلهم رائين لها وعُلّقت آخرا
بكون الناس على هيئة السُكر فلا بدّ ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم فان قيل
كيف قال تع في حق النضر بن الحارث ومن الناس من يجادل في الله الى ان قال

يعني ثانيا عطفه وجداله
الضلال عن سبيل الله

ليضل عن سبيل الله فكيف علل جداله به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج
بالجدال من الهدى الى الضلال قلنا هذه لام العاقبة والصيرورة وتحقيق ذكرها
بعينه مر وانما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل
جعل كالخارج من الهدى الى الضلال فان قيل الضر والنفع منفيان عن الاصنام
مثبتان لها في الآيتين فكيف التوفيق بينهما قلنا معناه يعبد من دون الله ما لا يضره
بنفسه ان لم يعبده ولا ينفعه بنفسه ان عبده ثم قال يعبد من يضره الله بسبب
عبادته وانما اضاف الضرر اليه لحصوله بسببه فان قيل ما معنى اقرب من نفعه بل
على ان عبادة الصنم نفعا وان كان ضررا قلنا معناه اقرب من النفع المنسوب
اليه في زعمهم وقولهم اعتقادهم انه يشفع لهم فان قيل كيف قال اذن للذين يقاتلون
بانهم ظلموا اي بسبب كونهم مظلومين ولم يبين ما الشيء الذي اذن لهم فيه
قلنا معناه اذن للذين يقاتلون في القتال وانما حذف لدلالة يقاتلون عليه ولدلالة
الحال ايضا فان كفار مكة كانوا يؤذون المؤمنين بانواع الاذى وهم يستاذنون
النبي صلعم في قتالهم فيقول لم يؤذن لي في ذلك حتى هاجر الى المدينة فنزلت هذه
الآية وهي اول آية نزلت في الاذن في القتال فنسخت بضع وسبعين آية ناهية عن
القتال كذا قاله ابن عباس رضه وكان المأذون فيه ظاهرا لكونه مترقبا منتظرا فان
قيل كيف قال اذن للذين يقاتلون مع انهم ما كانوا يقاتلون قبل نزول هذه
الآية قلنا معناه اذن للذين يريدون ان يقاتلوا سماهم مقاتلين مجازا باعتبار

ما يؤولون اليه كما في النظائر وقرئ يقاتلون بفتح التاء ولا اشكال على تلك القراءة فان
قيل كيف صح الاستثناء في قوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا
ربنا الله قلنا هو استثناء منقطع تقديره ولكن اخرجوا بقولهم ربنا الله الثاني انه من نحو
قول الشاعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب تقديره ان
كان فيهم عيب فهو هذا وهذا ليس بعيب فلا يكون فيهم عيب فان قيل اي منة
على المؤمنين في حفظ الصوامع والبيع عن الهدم حتى امتن عليهم بذلك في قوله
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الآية قلنا المنة في ذلك ان الصوامع والبيع
والكنائس في حرم المسلمين وحراستهم وحفظهم لان اهلها ذمة للمسلمين الثاني
ان المراد به لهدمت صوامع وبيع في زمن عيسى عم وصلوات اي كنائس في زمن
موسى عم ومساجد في زمن النبي صلعم فالامتنان على اهل الاديان الثلاثة لا على
المؤمنين فان قيل كيف قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى كما قال تعالى فيما
قبله قلنا لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني
ان يكون التنكير والابهام للتفخيم والتعظيم كانه قال تعالى بعد ما ذكر تكذيب كل قوم
رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره فان قيل ما فائدة
قوله تعالى القلوب التي في الصدور قلنا هو التأكيد كما في قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه
وقوله يقولون بالسنتهم وما اشبه ذلك الثاني ان القلب يطلق بمعنى العقل ومنه
قوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب في احد القولين فكان التقييد مفيدا على

قول من نوع ان العقل في الرأس وان قيل المغفرة انما تكون لمن يعمل السيئات لا لمن
يعمل الصالحات فكيف قال تعالى فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة قلنا المراد
بالعمل الصالح هنا الاخلاص في الايمان قال الكلبي كل موضع جاء في القرآن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فالمراد به الاخلاص في الايمان فيصير المعنى فالذين آمنوا عن
اخلاص يعني شيئا ثم فان قيل ما الفرق بين الرسول والنبي مع ان كليهما مرسل لقوله (لم ع)
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي قلنا الفرق بينهما ان الرسول من
الانبياء عليهم السلام من جمع له بين المعجزة وانزال الكتاب عليه والنبي من لم
ينزل عليه كتاب وانما أمر ان يدعو أمته الى شريعة من قبله وقيل الرسول من كانت له
معجزة من الانبياء والنبي من لم تكن له معجزة وفي هذا نظر وقيل الرسول من كان مبعوثا (منه ع)
الى امة والنبي من لم يكن مبعوثا الى احد مع كونه نبيا والجواب عن الآية على هذا
القول ان فيه اضمارا تقديره وما ارسلنا من رسول وما انبأنا من نبي او ولا كان
من نبي ونظيره قول الشاعر ورأيت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا اي
ومتعلقا رمحا او وحاملا رمحا فان قيل اين المثل المضروب في قوله تعالى يا ايها
الناس ضرب مثل والمذكور بعده وهو قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله
الآية ليس بمثل بل هو كلام مبتدأ مستقل بنفسه قلنا الصفة او القصة الغريبة
او المستحسنة تسمى مثلا ومنه قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فالمعنى بينت
صفة وهي عجز الصنم عن خلق الذباب واستنقاذ ما يسلبه وقيل هو اشارة الى قوله

الى قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت وانما ابهمه هنا
لانهم كانوا لا يصغون الى سماع القرآن ولهذا قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه وكانوا يحبون الامثال فذكر لفظ المثل استدراجا لهم الى سماع القرآن والاصغاء اليه
فان قيل كيف قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج مع ان قطع اليد التي تساوي خمسة
الآف درهم بسبب سرقة عشرة دراهم حرج في الدين وكذا رجم المحصن بسبب
الوطء مرة واحدة ووجوب صوم شهرين متتابعين بسبب افطار يوم واحد والمخاطرة
بالنفس والمال في الحج والغزو كل ذلك حرج بين قلنا المراد بالدين كلمة التوحيد
فانها تكفر شرك سبعين سنة ولا يتوقف تأثيرها على الايمان والاخلاص سبعين سنة
ولا على ان يكون الاتيان بها في بيت الله او في زمان معين وقيل المراد به انه كل ما يقع
فيه الانسان من الذنوب والمعاصي يجد له مخرجا في الشرع بتوبة او كفارة او رخصة
وقيل المراد به فتح باب التوبة للمذنبين وفتح ابواب الرخص للمعذورين وشرع
الكفارات والاروش والديات وقيل المراد به نفي الحرج الذي كان على بني اسرائيل
من الاصر والشدائد فان قيل كيف قال تعالى ملة ابيكم ابراهيم وابراهيم عليه السلام لم يكن ابا للامة
كلها قلنا هذا ابو رسول الله فكان ابا لامته لان امة الرسول بمنزلة اولاده من جهة
العطف والشفقة هذا ان كان الخطاب لعامة المسلمين وان كان للعرب
خاصة فابراهيم ابو العرب قاطبة فان قيل متى سمانا ابراهيم عليه السلام المسلمين من
قبل حتى قال هو سماكم المسلمين من قبل قلنا وقت دعائه عند بناء الكعبة حيث

قال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وكل من أسلم من هذه الأمة
فهو ببركة ابرهيم عليه السلام وهذا السؤال سُئلتُ عنه في المنام وأجبتُ عنه بهذا الجواب
في المنام إلهاماً من الله سبحانه وتعالى **سورة قد أفلح** فإن قيل كيف قال تعالى والذين
هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم وحفظ الفرج إنما يتعدى بعن لا بعلى يقال فلان
يحفظ فرجه عن الحرام ولا يقال على الحرام قلنا على بمعنى عن كما في قول الشاعر إذا
رَضيتْ عليَّ بنو قُشير لعَمْرُ اللهِ أعجبني رضاها الثاني أنه متعلق بمحذوف تقديره
فلا يرسلونها إلا على أزواجهم فإن قيل كيف قال تعالى أو ما ملكت أيمانهم ولم يقل أو مَن
ملكت أيمانهم مع أن المراد مَن يعقل قلنا لأنه أراد من جنس العقلاء ما يجري مجرى
غير العقلاء وهم الإناث فإن قيل قوله تعالى ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون
كيف خص الإخبار عن الموت الذي لم ينكره الكفار بلام التأكيد دون الإخبار عن
البعث الذي أنكروه والظاهر يقتضي عكس ذلك قلنا لما كان العطف يقتضي الاشتراك في الحكم
استغني به عن إعادة لفظ اللام الموجبة لزيادة التأكيد فإنها ثابتة معنًى قضيةً للعطف
ولا يلزم على هذا إعادة إنّ لأنها لأصل التأكيد وهو أقوى والحاجة إليه أمس فإن
قيل كيف قال تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء والمراد بها شجرة الزيتون وهي تخرج
من الجبل الذي يسمى طور سيناء ومن غيره قلنا قيل إن أصل شجرة الزيتون من
طور سيناء ثم نقلت إلى سائر المواضع وقيل إنما أضيفت إلى ذلك الجبل لأن خروجها
فيه أكثر من خروجها في غيره من المواضع فإن قيل قوله تعالى أم يقولون به جنة خبر عن

عن كفار مكة فكيف قال تعالى بل جاءهم بالحق أي بالتوحيد أو بالقرآن وأكثرهم للحق كارهون
ولم يقل وكلهم مع أن كلهم كانوا للتوحيد كارهين بدليل قولهم به جنة قلنا كان فيهم من
ترك الإيمان به أنفةً واستنكافاً من توبيخ قومه كيلا يقولوا ترك دين آبائه لا كراهةً
للحق كما يحكى عن أبي طالب وغيره فإن قيل كيف جمع تعالى فقال رب ارجعون ولم
يقل ارجعني والمخاطب واحد وهو الله تعالى قلنا هو جمع للتفخيم والتعظيم كقوله
تعالى إنا نحن نحيي الموتى وأشباهه فإن قيل كيف قال تعالى فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
وقال تعالى في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلنا يوم القيامة مقداره خمسون
ألف سنة ففيه أحوال مختلفة ففي بعضها يتساءلون وفي بعضها لا ينطقون لشدة
الهول والفزع **سورة النور** فإن قيل كيف قدمت المرأة في آية حد
الزنا وقدم الرجل في آية حد السرقة قلنا لأن الزنا إنما يتولد من شهوة الوقاع
وشهوة المرأة أقوى وأكثر والسرقة إنما تتولد من الجسارة والجراءة والقوة
وذلك في الرجل أكثر فإن قيل كيف قدم الرجل في قوله تعالى الزاني لا ينكح إلا زانية أو
مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك قلنا لأن الآية الأولى سيقت لعقوبتهما
على ما جنيا والمرأة هي الأصل في تلك الجناية لما ذكرنا والآية الثانية سيقت لذكر
النكاح والرجل هو الأصل فيه عرفاً لأنه هو الراغب والخاطب والبادي
بالطلب بخلاف الزنا فإن الأمر فيه بالعكس غالباً فإن قيل كيف قال تعالى الزاني
لا ينكح إلا زانية أو مشركة أي لا يتزوج والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ونحن

نرى الزاني ينكح عفيفة ومسلمة والزانية ينكحها العفيف والمسلم فلما قال
عكرمة نزلت هذه الآية في بغايا موسرات كن بمكة وكانت بيوتهن تسمى في
الجاهلية المواخير وكانت لا يدخل عليهن الا زان من اهل القبلة او مشرك
من اهل الاوثان فاراد جماعة من فقراء المهاجرين ان ينكحوهن فنزلت هذه
الآية زجرا لهم من ذلك فان قيل ما فائدة دخول من في غض البصر دون حفظ
الفرج في قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم قلنا فايدته
الدلالة على ان امر النظر اوسع من امر الفرج ولهذا يحل النظر في ذوات المحارم
فان قيل والاماء المستعرضات الى هده من اعضائهن ولا يحل شيء من فروجهن
فان قيل اي حكمة في ترك الله تعالى ذكر الاعمام والاخوال في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن
يعني الزينة الخفية الا لبعولتهن الآية وهم من المحارم وحكمهم حكم من استثني
في الآية قلنا سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه وهو ليس
بمحرم لها وكذا الخال فيفضي الى الفتنة والمعنى فيه ان كل من استثني يشترك هو
وابنه في المحرمية الا العم والخال وهذا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط
في سترهن ولقائل ان يقول هذه المفسدة محتملة في اباء بعولتهن لاحتمال ان
يذكرها ابو البعل عند ابنه الآخر وهو ليس بمحرم لها وابو البعل ايضا
نقض على قوله انه كل من استثني يشترك هو وابنه في المحرمية فان قيل كيف قال
تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا مع ان الاكراه على الزنا

الزنا حرام في كل حال قلنا لان سبب نزول الآية ان الجاهلية كانوا يكرهون اماءهم على الزنا
مع ارادتهن التحصن فورد النهي على وفق السبب وان لم يكن شرطا فيه الثاني انه تعالى
انما شرط ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن لان الامة اذا لم
ترد التحصن فانها تزني بالطبع لان ارادتها النكاح مستمرة في جميع الاحوال طبعا ولا بد
لها من احد الطريقين الثالث ان ان بمعنى اذا كما في قوله تعالى وذروا ما بقي من الربوا ان
كنتم مؤمنين وفي قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين الرابع ان في الكلام تقديما وتاخيرا تقديره
وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان اردن تحصنا ويبقى قوله تعالى ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء مطلقا غير معلق فان قيل كيف مثل الله تعالى نوره اي معرفته وهداه في قلب
المؤمن بنور المصباح في قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ولم يمثله بنور الشمس مع
ان نورها اتم واكمل قلنا المقصود تمثيل النور في القلب والقلب في الصدر والصدر في البدن
بالمصباح وهو الضوء او الفتيلة في الزجاجة والزجاجة في الكوة التي لا منفذ لها وهذا
التمثيل لا يستقيم الا فيما ذكر الثاني ان نور المعرفة له آلات يتوقف على اجتماعها كالذهن
والفهم والعقل واليقظة وانشراح القلب وغير ذلك من الخصال الحميدة كما ان نور القنديل
يتوقف على اجتماع القنديل والزيت والفتيلة وغيرها الثالث ان نور الشمس يشرق
متوجها الى العالم العلوي كنور المصباح الرابع ان نور الشمس لا يشرق الا بالنهار
ونور المعرفة يشرق بالليل والنهار كنور المصباح الخامس ان نور الشمس يعم جميع
الخلائق ونور المعرفة لا يصل الا الى بعضهم كنور المصباح الموصوف فان قيل

ونور المعرفة يشرق متوجها الى العالم العلوي

هب انه تعالى لم يمثل بنور الشمس لما ذكرتم فكيف لم يمثل بنور الشمع مع انه اتم واكثر
واشرق من نور المصباح قلنا انما لم يمثل تعالى بنور الشمع لان في الشمع غشاً له تخالطه
بخلاف الزيت الموصوف فلو مثّل بنور الشمع لتطاول المنافق المغشوش الى استحقاق
نصيب في المعرفة الثاني انه تعالى انما لم يمثل بنور الشمع لانه مخصوص بالاغنياء والنور
المعرفة فانه في الفقراء اغلب فان قيل التجارة تشمل الشراء والبيع فما فائدة عطف البيع
عليها في قوله تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله قلنا قيل التجارة هي الشراء والبيع الذي
يكون صناعة للانسان ومقصوداً به الربح وهو حرفة الشخص يسمى تاجرا والبيع اعم
من ذلك وقيل المراد بالتجارة هنا مبادلة الاخرة بالدنيا كما في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم والمراد بالبيع مبادلة الدنيا بالدنيا كما في قوله تعالى فاسعوا
الى ذكر الله وذروا البيع وقيل انما عطف البيع على التجارة لانه اراد بالتجارة الشراء اطلاقا
لاسم الجنس على النوع وقيل انما عطفه عليها للتخصيص والتمييز من حيث انه ابلغ في
الالهاء لان البيع الرابح يتعقبه حصول الربح بخلاف شراء الرابح فان الربح فيه مظنون
مع كونه مترقبا منتظرا وقيل التجارة مخصوصة باهل الجلب بخلاف البيع فان قيل
كيف قال تعالى والله خلق كل دابة من ماء وبعض الدواب ليس مخلوقا من الماء كآدم عم
وناقة صالح وغيرهما قلنا المراد بهذا الماء الماء الذي هو اصل جميع المخلوقات وذلك ان
الله تعالى خلق قبل خلق الاشياء جوهرة ونظر اليها نظر هيبة فاستحالت ماء فخلق
من ذلك الماء جميع الموجودات وقد سبق مثل هذا السؤال في قوله تعالى وجعلنا من الماء كل

كل شيء حي فان قيل اذا كان الجواب هذا فما فائدة تخصيص الدابة بالذكر او تخصيص
الشيء الحي قلنا انما خص بالذكر لان القدرة فيه اظهر واعجب منها في الجماد وغيره فان
قيل كيف قال تعالى فمنهم من يمشي على بطنه وقال تعالى ومنهم من يمشي على اربع وهي ما لا تعقل قلنا ومن هنا ح
لما كان اسم الدابة يتناول المميز وغيره غلب المميز على غيره فاجرى عليه لفظه فان قيل
كيف قال تعالى من يمشي على بطنه وذلك انما يسمى زحفا لا مشيا ولا يسمى الا ما كان بالقوائم مشيا ح
قلنا هو مجاز بطريق المشابهة كما يقال مشى هذا الامر وفلان لا يتمشى له امر وفلان
ما يمشي له حال فان قيل كيف امر الله تعالى باستئذان الاطفال الذين لم يبلغوا الحلم بقوله تعالى
والذين لم يبلغوا الحلم منكم اي من الاحرار قلنا هو في المعنى امر للاباء والامهات بتاديب
الاطفال وتهديدهم لا للاطفال فان قيل كيف اباح تعالى للقواعد من النساء وهن العجائز
التجرد عن الثياب بحضرة الرجال بقوله تعالى والقواعد من النساء الاية قلنا المراد بالثياب
هنا الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار لا جميع الثياب وقوله تعالى غير متبرجات
بزينة اي غير قاصدات بوضع الثياب الظاهرة اظهار زينتهن ومحاسنهن بل التخفف
ثم اعقبه بان التعفف بترك الوضع خير لهن فان قيل كيف قال تعالى ولا على انفسكم ان تاكلوا
من بيوتكم مع انتفاء الحرج عن اكل الانسان من بيته معلوم لا شك فيه ولا شبهة قلنا
المراد بقوله تعالى من بيوتكم اي بيوت اولادكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولهذا عبر
عنه به وفي الحديث ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه ويؤيده
ذلك انه ذكر بيوت جميع الاقارب ولم يذكر بيوت الاولاد وقيل المراد بقوله تعالى ان تاكلوا

من بيوتكم اى تاكلوا من بيوتكم من مال اولادكم وازواجكم الذين هم فى بيوتكم ومن جملة عيالكم
وقيل المراد بقوله تعالى من بيوتكم البيوت التى يسكنونها وهم فيها عيال لغيرهم كبيت ولد الرجل
وزوجه وخادمه ونحو ذلك فان قيل معنى السلام هو السلامة والامن فاذا قال الرجل
لغيره السلام عليكم كان معناه سلمت منى وامنته فما معنى قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا
فسلموا على انفسكم قلنا المراد به فاذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلكم وعيالكم وقيل معناه اذا
دخلتم المساجد او بيوتا ليس فيها احد فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
يعنى من ربنا فان قيل كيف قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره وانما يقال خالف امره
قلنا عن زائده كذا قاله الاخفش الثانى ان فيه اضمارا تقديره فليحذر الذين يخالفون
الله تعالى ويعرضون عن الله امره او ضمن المخالفة معنى الاعراض فعداه تعديته قال

سورة الفرقان

فان قيل الخلق هو التقدير فمعنى قوله تعالى واذ تخلق من الطين
اى تقدّر فما معنى قوله تعالى وخلق كل شىء فقدره تقديرا فكانه قال تعالى وقدر كل شىء فقدره
تقديرا قلنا الخلق من الله تعالى بمعنى الايجاد والاحداث فمعناه واوجد كل شىء مقدرا
مُسوّىً مهيّئاً لما يصلح له لا زائدا على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولا ناقصا عن ذلك
الثانى ان معناه وقدّر له ما يقيمه ويصلحه او وقدّر له رزقا واجلا او امورا لا تجرى عليه
فان قيل كيف قال تعالى فى وصف الجنة والمتقين كانت لهم جزاء ومصيرا وهى ما كانت
بعد وانما تكون كذلك بعد الحشر والنشر قلنا انما قال كانت لان ما وعده الله تعالى
فهو فى تحققه كانه قد كان او معناه كانت فى علم الله مكتوبة فى اللوح المحفوظ انها

انها جزاؤهم ومصيرهم فان قيل ما فائدة تاخير الهوى فى قوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه
والاصل اتخذ الهوى الها كما يقول اتخذ الصنم معبودا قلنا هو من باب تقديم المفعول الثانى على
الاول للعناية به كما يقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بانطلاقه فان قيل كيف قال تعالى
ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون قلنا قد سبق مثل هذا السؤال وجوابه فى قوله
تعالى بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون فان قيل لم شبههم سبحانه بالانعام فى الضلال بقوله
تعالى ان هم الا كالانعام مع ان الانعام تعرف الله سبحانه وتعالى وتسبحه بدليل قوله تعالى
وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقوله تعالى يسبح له ما فى السموات وما فى الارض
قلنا المراد تشبيههم بالانعام فى الضلال عن فهم الحق ومعرفة الله تعالى بواسطة دعوة
الرسول عليه السلام الثانى ان المراد تشبيههم فى الضلال والعمى عن امر الدين بالانعام فى ضلالها
وعماها عن امر الدنيا فان قيل ان كانوا كالانعام فى الضلال فكيف قال تعالى بل هم اضل سبيلا وان
كانوا اضل من الانعام فكيف قال تعالى ان هم الا كالانعام وان كانوا كالانعام فى الضلال واضل
منها ايضا فكيف يجتمع الوصفان قلنا المراد بقوله تعالى ان هم الا كالانعام التشبيه فى اصل
الضلال لا فى مقداره والثانى بيان لمقداره وقيل المراد بالاول التشبيه فى المقدار ايضا ولكن
المراد بالاول طائفة وبالثانى طائفة اخرى ووجه كونهم اضل من الانعام ان الانعام تنقاد
لاربابها التى تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسىء اليها وتطلب
ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم
من اساءة الشيطان الذى هو عدو لهم ولا يطلبون الثواب الذى هو اعظم المنافع

ولا يعقلون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع
الهني والعذب الروي فان قيل قال هنا وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا
كيف ذكر الصفة والموصوف مؤنث ولم يؤنثها كما انثها في قوله وآية لهم الارض الميتة قلنا
انما ذكرها نظرا الى معنى البلدة وهو البلد والمكان لا الى لفظها فان قيل قال وانزلنا من السماء
ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اذ انزله موصوفا بالطهورية
وتعليل ذلك بالاحياء والسقي يشعر بان الطهورية شرط في حصول تلك المصلحة كما
تقول حملني الامير على فرس سابق لاصيد عليه الوحش وليس كذلك قلنا وصف
الطهورية ذكر اكراما للاناسي الذين هم من جملة المصالح التي انزل لها الماء واتماما
للنعمة والمنة عليهم لا لكونه شرطا في تحقيق تلك المصالح والمنافع بخلاف النظير فانه قصد
بكونه سابقا الشرطية لان صيد الوحش على الفرس لا يتم الا به فان قيل كيف تعالى خص
الانعام بذكر السقي دون غيرها من الحيوانات الصامتة قلنا لان الطير والوحش تبعد
في طلب الماء ولا يعوزها الشرب بخلاف الانعام الثاني ان الانعام قنية الاناسي
وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام بسقي الانعام كالانعام بسقي الاناسي
فلذلك خصها بالذكر فان قيل كيف قدم تعالى احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي
قلنا لان حياة الاناسي بحياة ارضهم وانعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم ومعاشهم
الثاني ان سقي الارض بماء المطر سابق في الطباع على سقي الاناسي به فان قيل كيف وجه
صحة الاستثناء في قوله تعالى قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا

سبيلا قلنا هو استثناء منقطع تقديره لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فانا ادله على
ذلك واهديه اليه وقيل تقديره لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا بانفاق ماله في طاعته
فليفعل ذلك فان قيل كيف قال تعالى هنا قل لا اسألكم عليه اجرا اي اجرا [illegible]
النبي وعمومته وقال الله تعالى في آية اخرى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى فاثبت
سؤال الاجر عليه قلنا هذه الآية منسوخة بقوله تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري
الا على الله رواه مقاتل والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما والصحيح الذي عليه المحققون انها غير
منسوخة بل هو استثناء من غير الجنس تقديره لكني اذكركم المودة في القربى فان قيل
كيف قال تعالى واجعلنا للمتقين اماما ولم يقل ائمة قلنا مراعاة لفواصل الآيات
وقيل تقديره واجعل كل واحد منا اماما فان قيل كيف قال تعالى ويلقون فيها تحية وسلاما وهما
بمعنى واحد وهو قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام ومعناه تحية اهل الجنة في الجنة
قلنا قال مقاتل المراد بالتحية سلام بعضهم على بعض او سلام الملائكة عليهم والمراد بالسلام
ان الله تعالى يسلمهم مما يخافون ويسلم اليهم امرهم وقيل التحية من الملائكة او من اهل الجنة
والسلام من الله تعالى عليهم لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقيل التحية من الله تعالى لهم بالهدايا
والتحف والسلام بالقول وقيل التحية الدعاء بالتعمير والسلام الدعاء فمعناه انهم بالسلامة صح
يلقون ذلك من الملائكة او بعضهم من بعض او يلقون ذلك من الله تعالى فيعطون
البقاء والخلود مع السلامة من كل آفة سورة الشعراء فان قيل كيف قال تعالى
فظلت اعناقهم لها خاضعين والاعناق لا تعقل قلنا قيل اصل الكلام فظلوا

لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقولهم
ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور ومثله قول الشاعر رأت مر السنين
أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال او لما وصفت الاعناق بالخضوع الذي هو
من صفات العقلاء جمعت جمع العقلاء كقوله تعالى والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين
وقيل الاعناق رؤساء الناس ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم الرؤوس والنواصي
والصدور وقيل الاعناق الجماعات يقال جاءني عنق من الناس اي جماعة وقيل انه ذكر
لمراعاة الفواصل فان قيل كيف قال تعالى فقولا انا رسول رب العالمين وقال تعالى في موضع آخر
انا رسولا ربك قلنا الرسول يكون بمعنى المرسل فيلزم تثنيته ويكون بمعنى الرسالة التي هي
المصدر فيوصف به الواحد والاثنان والجماعة كما يوصف بسائر المصادر والدليل على انه
يكون بمعنى الرسالة قول الشاعر لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم
برسول اي برسالة الثاني انهما لاتفاقهما في الاخوة والشريعة والرسالة جعلا كنفس
واحدة الثالث ان تقديره ان كل واحد منا رسول رب العالمين الرابع ان موسى كان
الاصل وهارون تبعا له فاخبر اشارة اليه فان قيل كيف قال موسى عليه السلام معتذرا
عن قتل القبطي فعلتها اذا وانا من الضالين والنبي لا يكون ضالا قلنا اراد به
من الجاهلين وكذا قراءة ابن مسعود وقيل من المخطئين لانه ما تعمد قتله
كما يقال ضل عن الطريق اذا عدل عن الصواب الى الخطاء وقيل من الناسين
كقوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فان قيل كيف قال فرعون وما رب العالمين

رب العالمين ولم يقل من رب العالمين قلنا لانه لو كان اعمى القلب عن معرفة الله تعالى
منكرا لوجوده فكيف ينكر عليه العدول عن من الى ما الثاني ان ما لا تختص بغير المميز
بل يطلق عليهما قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقال تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد فان
قيل كيف قال موسى عليه السلام رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين علق كونه تعالى
رب السموات والارض وما بينهما بشرط كون فرعون وقومه موقنين وهذا الشرط منتف
والربوبية ثابتة فكيف صح التعليق قلنا معناه ان كنتم موقنين ان السموات والارض
مصنوعات وهذا الشرط موجود الثاني ان ان فيه نافية لا شرطية فان قيل ذكر السموات
والارض وما بينهما قد استوعب ذكر المخلوقات كلها فما فائدة قوله تعالى بعده ربكم ورب
آبائكم الاولين ورب المشرق والمغرب قلنا اعاد ذكرها تخصيصا لها وتمييزا لانه
اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من
الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ولادته الى
وقت وفاته ثم خص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احدهما وغروبها في
الآخر على تقدير مستدل به على وجود الصانع ولظهوره انتقل خليل الله عليه السلام الى
الاحتجاج به عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة فبهت الذي كفر فان قيل كيف قال
اولا ان كنتم موقنين وقال في موضع آخر ان كنتم تعقلون لاينهم ولاطفهم اولا فلما رأى
عنادهم واصرارهم خاشنهم وعارض قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
بقوله ان كنتم تعقلون فان قيل قوله لاسجننك اخص من قوله تعالى لاجعلنك من

المسجونين فليعرف عذاب عنه قلنا كان مراده تعريف العهد فكانه قال لاجعلنك واحدا ممن
عرفت حالهم في سجني وكان اذا سجن انسانا طرحه في هوة عميقة جدا مظلمة وحده
لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك ارجع من القتل واشد نكاية فان قيل قصة موسى عليه السلام
مع فرعون والسحرة ذكرت في سورة الاعراف ثم في سورة طه ثم في هذه السورة فما
فائدة تكرارها وتكرار غيرها من القصص قلنا فائدته تاكيد التحدي واظهار الاعجاز
كان المبارز اذا خرج من الصف قال نزال نزال هل من مبارز هل من مبارز مكررا ذلك
ولهذا سمى الله تعالى القرآن مثاني لانه تثنيت فيه الاخبار والقصص الثاني ان
اصحاب النبي عليه السلام كان بعضهم حاضرين وبعضهم غائبين في الغزوات وكانوا يحبون
حضور مهبط الوحي فكانوا اذا رجعوا من غزوهم اكرمهم الله تعالى في بعض الاوقات
باعادة الوحي تشريفا لهم وتفضيلا فان قيل كيف كرر الله تعالى ذكر قصة موسى عليه السلام
اكثر من قصص غيره من الانبياء قلنا لان احواله كانت اشبه باحوال النبي عليه السلام من
احوال غيره منهم في اقامة الحجج واظهار المعجزات لاهل مصر واصرارهم على تكذيبه
والجفاء عليه كما كان حال النبي عليه السلام مع اهل مكة فان قيل كيف قال فلما تراءى الجمعان
والتراءي تفاعل من الرؤية فمقتضى وجوب رؤية كل جمع الجمع الآخر والمنقول انه
لم ير بعضهم بعضا فان الله تعالى ارسل غيما ابيض فحال بين العسكرين حتى منع رؤية
بعضهم بعضا قلنا التراءي يستعمل بمعنى التداني والتقابل ايضا كما قال عليه السلام المؤمن
والكافر لا تتراءى ناراهما اى لا يتدانيان ويقال دورنا تتراءى اى تتقارب وتتقابل

ويقابل فان قيل كيف قال واذا مرضت ولم يقل واذا امرضني قلنا لانه كان في معرض الثناء
على الله تعالى وتعديد نعمه فاضاف اليه الخير المحض حفظا للادب وان كان الكل
مضافا اليه ونظيره قول الخضر عليه السلام فاردت ان اعيبها وقوله فاراد ربك ان يبلغا
اشدهما فان قيل هذا الجواب يبطل بقوله والذي يميتني وبقول الخضر فاردنا ان
يبدلهما قلنا انما اضاف الموت الى الله تعالى لانه سبب لقائه اياه وانتقاله الى دار كرامته
فكان نعمة من هذا الوجه وقيل انما اضاف المرض الى نفسه لان اكثر الامراض يحدث
بتفريط الانسان في مطاعمه ومشاربه فان قيل كيف قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون والمال
الذي انفق في طاعة الله تعالى وسبيله ينفع والولد الصالح ينفع والولد الذي مات
صغيرا ينفع وشواهد ذلك كثيرة من الكتاب والسنة خصوصا قوله عليه السلام اذا مات ابن
آدم انقطع عمله الا من ثلاث الحديث قلنا المراد بالآية انهما لا ينفعان غير المؤمن
فانه هو الذي يأتي بقلب سليم من الكفر والمراد بهما مال لم ينفق في طاعة الله تعالى وولد بالغ
غير صالح فان قيل كيف قال تعالى وازلفت الجنة للمتقين اى قربت والجنة لا تنتقل
من مكانها ولا تتحول قلنا معناه وازلفت المتقون الى الجنة كما يقول الحجاج اذا
دنوا الى مكة قربت مكة منا وقيل معناه انها كانت محجوبة عنهم فلما رفعت الحجب
بينهم وبينها كان ذلك تقريبا لها فان قيل كيف جمع الشافع ووحد الصديق في قوله فما لنا
من شافعين ولا صديق حميم قلنا لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولهذا
روى ان بعض الحكماء سئل عن الصديق فقال هو اسم لا معنى له اراد بذلك عزته

وجواه ويجوز ان يراد بالصديق الجمع كالعدو فان قيل كيف قرن بين الانعام
والبنين في قوله امدكم بانعام وبنين قلنا لان الانعام كانت من اعز اموالهم
عندهم وكان بنوهم هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها فلهذا قرن بينهما فان قيل
قوله اوعظت ام لم تكن من الواعظين كيف عدا عنه قلنا
مرادهم سواء علينا افعلت هذا الفعل ام لم تكن من اهله اصلا وهذا ابلغ في قلة
اعتدادهم بوعظه من قولهم ام لم تعظ فان قيل قوله فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم
العذاب كيف اخذهم العذاب بعد ما ندموا على جنايتهم وقد قال عليه السلام الندم توبة قلنا
قال ابن عباس انهم ندموا حين راوا العذاب وذلك ليس وقت التوبة كما قال تعالى
وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية وقيل كان ندمهم ندم خوف من العقاب
العاجل لا ندم توبة فلذلك لم ينفعهم فان قيل كيف طلب لوط عليه السلام تنجيته من اللواطة
بقوله رب نجني واهلي مما يعملون واللواطة كبيرة والانبياء معصومون من الكبائر
قلنا مراده رب نجني واهلي من عقوبة عملهم او من شومه والدليل على ذلك رحمة الله
ضمه اهله اليه في الدعاء واستثناء الله مع امراته من قبول الدعوة فان قيل كيف قال
تعالى في قصة شعيب عليه السلام اذ قال لهم شعيب ولم يقل اخوهم كما قال في حق غيره هنا
وكما قال في حقه عليه السلام في موضع آخر قلنا لانه ذكر هنا مع اصحاب الايكة وهو لم يكن منهم
وانما كان من نسل مدين كذا قاله مقاتل وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل
اليهم والى اصحاب الايكة وقال ابن جرير الطبري اهل مدين هم اصحاب الايكة فعلى

فعلى هذا يكون حذف اخ تخفيفا فان قيل ما الفرق بين حذف الواو في قصة صالح واثباتها
في قصة شعيب عليهما السلام في قوله ما انت الا بشر مثلنا وما انت الا بشر مثلنا قلنا الفرق
بينهما ان عند اثبات الواو المقصود معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية
وعند حذف الواو المقصود معنى واحد مناف لها وهو كونه مسحرا ثم قرر ما بالبشرية
كذا اجاب الزمخشري رحمه الله فان قيل كيف قال تعالى في وصف الكهنة والمتنبية كشق
وسطيح ومسيلمة واكثرهم كاذبون بعدما قضى عليهم ان كل واحد افاك اثيم والافاك الكذاب
والاثيم الفاجر ويلزم ان يكون كلهم كذابين فلا اقل من ان يكون كلهم كاذبين قلنا الضمير
في قوله واكثرهم عائد الى الشياطين لا الى كل افاك

سورة النمل

فان قيل ما فائدة
تنكير الكتاب في قوله وكتاب مبين قلنا فائدته التفخيم له والتعظيم كقوله في مقعد
صدق عند مليك مقتدر فان قيل العطف يقتضي المغايرة فكيف عطف الكتاب
المبين على القرآن والمراد به القرآن قلنا قيل ان المراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ
فعلى هذا لا اشكال وعلى القول الآخر نقول العطف يقتضي المغايرة مطلقا اما لفظا
او معنى بدليل قول الشاعر فالفى قولها كذبا ومينا وقولهم جاءني الفقيه والظريف
والمغايرة لفظا ثابتة فان قيل كيف قال مع ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم
وقال تعالى في موضع آخر وزين لهم الشيطان اعمالهم قلنا تزيين الله تعالى لهم الاعمال
بخلقه الشهوة والهوى وتركيبها فيهم وتزيين الشيطان بالوسوسة والاغواء والغرور
والتمنية فصحت الاضافتان فان قيل كيف قال هنا ساتيكم وقال في سورة طه

قرر وابح

شق وسطيح كانا كاهنين وطليحة ومسيلمة متنبيان

لعلي آتيكم واحدها قطع والآخر ترج والقصد ولعله قلنا قد يقول الراجي اذا
قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فان قيل كيف قال ان
بورك من في النار مع انه لم يكن في النار احد بل لم يكن الموجود نارا وانما كان نورا في
قول الجمهور وقيل كان نارا ثم انقلب نورا قلنا قال ابن عباس رضي الله عنه والحسن رحمه الله معناه
قُدّس من ناداه من النار وهو الله عز وجل لا على معنى ان الله تعالى يحل في شيء
بل على معنى انه اسمع موسى النداء من النار في زعمه الثاني ان من زائدة والمعنى بورك في
النار وفي من حولها وهو موسى عليه السلام او الملائكة الثالث ان معناه بورك من في طلب النار
وهو موسى عليه السلام فان قيل انما يقال بارك الله في كذا ولا يقال بارك الله كذا قلنا قال الفراء
العرب تقول بارك الله وبارك فيه وبارك عليه بمعنى واحد ومنه قوله تعالى وباركنا عليه
وعلى اسحق وفي لفظ الصلوات وبارك على محمد وعلى آل محمد فان قيل كيف وجه صحة الاستثناء
في قوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم الآية قلنا فيه وجوه احدها انه استثناء
منقطع بمعنى لكن الثاني انه استثناء متصل كذا قاله الحسن وقتادة ومقاتل رضي الله
عنهم ومعناه الا من ظلم منهم بارتكاب الصغيرة كآدم ونوح وداود وسليمان واخوة
يوسف وموسى وغيرهم عليهم السلام فانه يخاف مما فعله مع علمه اني غفور رحيم فيكون
تقدير الكلام الا من ظلم منهم فانه يخاف فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم
ولهذا قال بعضهم ان هنا وقفا على قوله تعالى الا من ظلم وابتداء الكلام الثاني محذوف كما
قدرنا الثالث ان الا بمعنى ولا كأنه قال لا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم

منهم اي ولا الذين ظلموا منهم الرابع ان تقديره اني لا يخاف لدي المرسلون ولا غير المرسلين
الا من ظلم الآية فان قيل كيف قال سليمان علمنا وأوتينا بنون العظمة وهو من كلام
المتكبرين قلنا لم يرد به نون العظمة وانما اراد به نون الجمع وعنى نفسه واباه الثاني انه
كان ملكا مع كونه نبيا فراعى سياسة الملك وتكلم بكلام الملوك فان قيل كيف حل له تعذيب
الهدهد حتى قال لأعذبنه عذابا شديدا قلنا لعل ذلك ابيح له خاصة كما خص
بفهم منطق الطير وتسخيره له وغير ذلك فان قيل كيف استعظم الهدهد عرشها
مع ما كان يرى من ملك سليمان حتى قال ولها عرش عظيم قلنا يجوز انه استصغر
حالها بالنسبة الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش الثاني انه يجوز
ان لا يكون مثله وان عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض الامراء شيء لا يكون لسليمان صح
للملك مثله فان قيل كيف قال الهدهد وأوتيت من كل شيء مع قول سليمان وأوتينا
من كل شيء فكأنه سوّى بينهما قلنا فرق بينهما صح وهو ان الهدهد اراد به وأوتيت من
كل شيء من اسباب الدنيا لانه عطفه على الملك وسليمان اراد به وأوتينا من كل
شيء من اسباب الدين والدنيا ويؤيد ذلك عطفه على المعجزة وهي منطق الطير
فان قيل كيف سوّى الهدهد بين عرشها وعرش الله تعالى في الوصف بالعظم حيث
قال ولها عرش عظيم وقال رب العرش العظيم قلنا بين الوصفين بون عظيم
لانه وصف عرشها بالعظم بالنسبة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف
عرش الله تعالى بالعظم بالنسبة الى ما خلق من السموات والارض وما بينهما فان قيل

ومطابع فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون اذا تولى عنهم كيف يعلم جوابهم قلنا معناه ثم تول عنهم مستترا من حيث لا يرونك فانظر ماذا يرجعون الثاني ان فيه تقديما وتاخيرا تقديره فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم فان قيل كيف استجاز سليمان علم تقديم اسمه في الكتاب على اسم الله تعالى حتى كتب فيه انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم قلنا لانه عرف انها لا تعرف الله تعالى وتعرف سليمان فخاف ان تستخف باسم الله تعالى اذا كان اول ما يقع نظرها عليه فجعل اسمه وقاية لاسم الله تعالى وقيل ان اسم سليمان كان على عنوانه واسم الله تعالى كان في اول طيه فان قيل كيف يجوز ان يكون آصف وهو كاتب سليمان علم ووزيره وليس بنبي يقدر على ما لا يقدر النبي عليه وهو احضار عرش بلقيس في طرفة عين قلنا يجوز ان يخص غير الرسول بكرامة لا يشاركه فيها الرسول كما خصت مريم بانها كانت ترزق من فاكهة الجنة وزكريا لم يرزق منها وكان سليمان علم خرج مع قومه يستسقون فرأى نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء تستسقي فقال لقومه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم ولم يلزم من ذلك فضلها على سليمان علم وقد نقل ان النبي علم كان اذا اراد الخروج الى الغزاة قال لفقراء المهاجرين والانصار ادعوا لنا بالنصرة فان الله تعالى ينصرنا بدعائكم ولم يكونوا افضل منه علم مع ان كرامة التبع من جملة كرامات المتبوع من وجه آخر قالوا والعلم الذي كان عنده هو اسم الله الاعظم فدعا به فاجيب في الحال ثم قيل هو يا حي يا قيوم وقيل

يا ذا الجلال والاكرام وقيل يا الله يا رحمن

وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت فمن اخلص النية ودعا بهذه الكلمات كلها مع اجتماع شرائط الدعاء المعروفة فانه يجاب لا محالة فان قيل كيف قالت واسلمت مع سليمان وهي انما اسلمت بعده على يده لا معه لانه كان مسلما قبلها قلنا انما عدلت عن كلمة العبادة الى هذه لانها كانت ملكة فلم ترد ان تذكر عبارة تدل على انها صارت مولاة له اسلمت على يده وان كان الواقع كذلك فان قيل كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلنا كانهم اعتقدوا انهم اذا جمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله يعنون ما شهدناه وحده كانوا صادقين لانهم شهدوا مهلكه ومهلك اهله فان قيل كيف قال تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ونحن نعلم الجنة والنار واحوال القيامة وكلها غيب قلنا معناه لا يعلم الغيب بلا دليل الا الله او بلا معلم الا الله او جميع الغيب الا الله وقيل معناه لا يعلم متى يبعث اهل السموات والارض الا الله فان قيل ومطابع بل ادارك علمهم في الآخرة وادل على اخلاق التواتر هل يرجع الضمير فيه وفيما قبله واحدا ام لا وكيف مطابقة هذا الاضراب لما قبله ومطابقته لما بعده من الاضرابين وكيف وصفهم بنفي الشعور ثم بكمال العلم ثم بالشك ثم بالعمى قلنا يرجع الضمير في ومطابع بل ادارك علمهم وهو الكفار فقط وفيما قبله جميع من في السموات والارض ومطابع بل ادارك معناه بل تتابع وتلاحق واجتمع كمطابع حتى اذا اداركوا فيها جميعا واصله تداركوا فادغمت التاء في الدال ومطابع بل ادرك معناه بل كمل وانتهى قال ابن عباس رضه يريد ما جهلوه في الدنيا علموا في الآخرة وقال السدي يريد اجتمع علمهم يوم القيامة فلم يشكوا ولم يختلفوا وقال

مقاتل يريد علموا في الآخرة ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وقوله تعالى بل هم في شك منها معناه بل
هم اليوم في شك من الساعة بل هم منها عمون جمع عَمٍ وهو أعمى القلب ومطابقة الاضراب الاول
لما قبله أن الذين لا يشعرون وقت البعث لما كانوا فريقين فريق منهم لا يعلمون وقت
البعث مع علمهم انه يوجد لا محالة وهم المؤمنون وفريق منهم لا يعلمون وقته لانكارهم
اصل وجوده افرد الفريق الثاني بالذكر بقوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة ما كمل النفي علمهم بها
في الدنيا كانه تعالى قال بل فريق منهم لا يعلمون شيئا من امر البعث في الدنيا اصلا ثم اضرب
عن الاخبار بنفي علمهم وبلاحقه بحقيقة البعث في الآخرة الى الاخبار عن شكهم في الدنيا
في امر البعث والساعة ثم اضرب عنه الى الاخبار عن عمى قلوبهم في امر البعث والساعة مع قيام
الادلة الشرعية على وجوده فلا محالة واما وصفهم بنفي الشعور ثم بكمال العلم ثم بالشك ثم بالعمى
فلا يناقض فيه لاختلاف الازمنة او لاختلاف متعلقات تلك الامور الاربعة وهي الشعور
والعلم والشك والعمى فان قيل قضاء الله تعالى وحكمه واحد فما معنى قوله تعالى ان ربك يقضي
بينهم بحكمه وهو بمنزلة قوله تعالى ان ربك يقضي بينهم بقضائه او يحكم بينهم بحكمه قلنا معناه بما يحكم
به وهو عدله المعروف المألوف لانه لا يقضي الا بالعدل فسمي المحكوم به حكما وقيل معناه
بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة فان قيل كيف قال تعالى اولم يروا انا جعلنا
الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ولم يراع المقابلة بقوله تعالى والنهار ليبصروا فيه قلنا
راعى المقابلة المعنوية دون اللفظية لان معنى مبصرا ليبصروا فيه وقد سبق ما يشبه
هذا في قوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فان قيل كيف قال تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون

يؤمنون مع أن في ذلك علامات على وحدانية الله لجميع العقلاء قلنا انما خصهم بالذكر لانهم
هم المنتفعون بها دون غيرهم فان قيل كيف قال تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات
ولم يقل فيفزع وهو الظاهر مناسبة قلنا اراد بذلك الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه
كائن لا محالة لان الفعل الماضي يدل على الوجود والتحقق قطعا فان قيل كيف قال تعالى وكل اتوه
داخرين اي صاغرين اذلاء بعد البعث مع ان النبيين والصديقين والشهداء يأتونه | اذلاء ج
عزيزين مكرمين قلنا المراد به صغار العبودية والرق وذلها لا ذل الذنوب والمعاصي
وذلك يعم الخلق كلهم ونظيره قوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا
سورة القصص فان قيل ما فائدة وحي الله سبحانه وتعالى الى ام موسى بارضاعه وهي ترضعه
طبعا سواء امرت بذلك ام لا قلنا امرها بارضاعه ليألف لبنها فلا يقبل ثدي غيرها بعد
وقوعه في يد فرعون فلولم يأمرها بارضاعه ربما كانت تسترضع له مرضعة فيفوت ذلك
المقصود فان قيل كيف قال تعالى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي والشرط الواحد اذا
تعلق به جزاء ان صدق قولنا اذا وجد الشرط وجد هذا الجزاء اتيانا بينهما ويلزم من
هذا صدق قوله تعالى فاذا خفت عليه فلا تخافي وانه يشبه التناقض قلنا معناه فاذا
خفت عليه من القتل فالقيه في البحر ولا تخافي عليه من الغرق ولا تناقض بينهما
فان قيل ما الفرق بين الخوف والحزن حتى عطف احدهما على الآخر في قوله تعالى ولا تخافي
ولا تحزني قلنا الخوف غم يصيب الانسان لامر يتوقعه في المستقبل والحزن غم
يصيبه لامر قد وقع ومضى فان قيل كيف جعل موسى عليه السلام قتله القبطي الكافر من

عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه وانما جعله من عمل الشيطان لانه قتله
قبل ان يؤذن له في قتله فكان ذلك ذنبا يستغفر منه قال ابن جريج ليس لنبي
ان يقتل ما لم يؤمر فان قيل موسى عليه السلام سقى لابنتي شعيب عليه السلام طلبا للاجر فكيف
اجاب دعوتها لما قالت له ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا قلنا يجوز ان يكون
قد اجاب دعوتها ودعوة ابيها لوجه الله تعالى على سبيل البر والمعروف ابتداء لا على سبيل
الاجر وان سمتها هي اجرا ويؤيد هذا ما روي انه لما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا
اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال له
شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فان قيل كيف قال له شعيب عليه السلام اني اريد ان
انكحك احدى ابنتي هاتين ومثل هذا النكاح لا يصح لجهالة المنكوحة والنبي عليه السلام لا ينكح نكاحا
فاسدا ولا يعد به قلنا انما كان ذلك وعدا بنكاح معينة عند الواعد وان كانت مجهولة
عند الموعود ومثله جائز ويكون التعيين عند انجاز الوعد كما وقع منه فان قيل كيف قال تعالى
واضمم اليك جناحك من الرهب فجعل الجناح هنا مضموما وقال تعالى في سورة طه واضمم يدك فجعل
الجناح مضموما اليه والقصة واحدة قلنا المراد بالجناح المضموم هنا هو اليد اليمنى والمراد
بالجناح المضموم اليه في سورة طه ما بين العضد الى الابط من اليد اليسرى فلا تناقض
بينهما فان قيل ما معنى قوله تعالى واضمم اليك جناحك من الرهب قلنا لما هرب من الحية
امره الله تعالى ان يضم اليه جناحه ليذهب عنه الفزع وانما قال من الرهب لانه جعل
الرهب الذي اصابه علة وسببا لما امر به من ضم الجناح قال مجاهد كل من فزع من

شيء فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع وقيل ضم الجناح غير مراد به بل هو مجاز عن تسكين الروع
وتثبيت الجاش قال ابو علي لم يرد به الضم بين شيئين وانما امره بالعزم والجد في
الاتيان بما طلب منه ومثله قولهم اشدد حيازيمك للموت ليس فيه شد حقيقة وقيل في الآية
تقديم وتأخير تقديره ولى مدبرا من الرهب فان قيل اي فائدة تفيد في تصديق هارون
لموسى عليه السلام حتى قال فارسله معي ردءا يصدقني قلنا ليس الغرض بتصديقه ان
يقول له صدقت في دعوى الرسالة فان ذلك لا يفيد عند فرعون وقومه الذين كانوا
لا يصدقونه مع وجود تلك الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة بل المراد ان
يلخص بحجة بلسانه ويبسط القول فيها ببيانه ويجادل عنه بالحق فيكون ذلك سببا
لتصديق الاخرين له ولهذا قال واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا يصدقني
وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لما ذكرنا لا لقوله صدقت فان سحبان وباقلا
في ذلك سواء فان قيل ما معنى قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر اي حكمنا
اليه الوحي معنى قوله تعالى وما كنت من الشاهدين اي من الحاضرين عند ذلك وقوله
معناه وما كنت من الشاهدين قصته مع شعيب عليه السلام فاختلفت القضيتان
فان قيل كيف قال تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين وكم رأينا من الظالمين
بالكفر والكبائر من قد هداه الله للاسلام والتوبة قلنا قد سبق مثل هذا السؤال
وجوابه في سورة المائدة فان قيل كيف قال تعالى وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون
وانما يرى العذاب من كان ضالا لا مهتديا قلنا جواب لو محذوف تقديره

وداوا العذاب لو انهم كانوا مهتدين لما اتبعوهم او لما راوا العذاب فان قيل كيف قال
في آخر آية الليل بضياء افلا تسمعون وقال في آخر آية النهار بليل تسكنون فيه افلا
تبصرون قلنا السماع والابصار المذكوران لا يتعلق لها بظلمة الليل ولا بضياء النهار
فكذلكم لم يقرن الابصار بالضياء وبيانه ان معنى الآيتين افلا تسمعون القرآن
سماع تدبر وتامل فتستدلوا بما فيه من الحجج على توحيد الله مع افلا تبصرون ما انتم
عليه من الخطاء والضلال فان قيل كيف وجه صحة الاستثناء في قوله مع الا رحمة من
ربك قلنا قال الفراء هو استثناء منقطع معناه ولكن القي اليك رحمة من ربك اي
الرحمة **سورة العنكبوت** فان قيل كيف قال مع وما هم بحاملين من خطاياهم
من شيء ثم قال وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلنا معناه وما الكافرون بحاملين
شيئا من خطايا المومنين التي ضمنوا حملها وليحملن الكافرون اثقال انفسهم وهي
ذنوب ضلالهم واثقالا مع اثقالهم وهي ذنوب اضلالهم غيرهم من الكفار ولا خطايا
المومنين التي نفي عنهم حملها وقد سبق نظير هذا في قوله مع ولا تزر وازرة وزر اخرى
في آخر سورة الانعام وفي سورة بني اسرائيل فان قيل ما فائدة العدول عن قوله مع تسع
مائة وخمسين عاما الى قوله مع الف سنة الا خمسين عاما مع ان عادة اهل الحساب
هو اللفظ الاول قلنا لما كانت القصة مسوقة لتسلية النبي عم بذكر ما ابتلي به
نوح عم من امته وكابده من طول مصابرتهم كان ذكر اقصى العقد التي هو
لا عقد اكثر منه في مراتب العدد افخم واعظم وافضى الى الغرض المقصود

المقصود وهو استطالة السامع مدة صبره وفيه فائدة اخرى وهي نفي توهم ارادة المجاز باطلاق
لفظ تسع المائة والخمسين على اكثرها فان هذا الوهم مع ذكر الالف والاستثناء منتف
او هو ابعد فان قيل كيف جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام قلنا لان تكرار اللفظ
الواحد مجتنب في مذهب الفصحاء والبلغاء الا لغرض تفخيم او تهويل او تنويه ونحو ذلك
فان قيل كيف نكر الرزق ثم عرفه في قوله مع ان الذين تعبدون من دون الله لا
يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق قلنا لانه اراد انهم لا يستطيعون ان يرزقوكم
شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره
فان قيل كيف اضمر اسمه تعالى في قوله عز وجل قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق
ثم اظهره في قوله مع ثم الله ينشئ النشاة الآخرة وكان القياس كيف بدا الله الخلق ثم
ينشئ النشاة الآخرة قلنا انما عدل الى ما ذكر لتاكيد الاخبار عن الاعادة التي كانت
هي المنكرة عندهم بالافصاح باسمه تعالى في ذكرها وجعله مبتدا لزيادة الاهتمام بشانها
فان قيل كيف قال مع وآتيناه اجره في الدنيا في معرض المدح او في معرض الامتنان واجر
الدنيا فان منقطع بخلاف اجر الآخرة فانه النعيم الباقي المقيم فكان اولى بالذكر قلنا
المراد به وآتيناه اجره في الدنيا مضموما الى اجره في الآخرة من غير ان ينقص من اجر
الآخرة شيئا قاله ابن جرير واليه الاشارة بقوله مع وانه في الآخرة لمن الصالحين يعني
له في الآخرة جزاء الصالحين وافيا كاملا واجره في الدنيا قيل هو الثناء الحسن
من الناس والمحبة من اهل الاديان كلها وقيل هو البركة التي بارك الله فيه وفي

ذريته فان قيل كيف قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية يعنون مدينة قوم لوط ولم
يقولوا تلك القرية مع ان مدينة قوم لوط كانت بعيدة عن موضع ابرهيم عليه السلم غايبة عنه
وقت هذا الخطاب قلنا انما قالوا هذه القرية لانها كانت قريبة حاضرة بالنسبة اليهم
وان كانت بعيدة بالنسبة الى ابرهيم عليه السلم فان قيل كيف قالوا اهل هذه القرية ولم يقولوا
اهل هذه القرى مع ان مداين قوم لوط كانت خمسا فاهلكوا منها اربعا قلنا انما افردوا
في الذكر على قريه والعده لانها كانت اكبر وامتنه وهي سدوم مدينة قوم لوط فجعلوا
ما وراها تبعا لها في الذكر فان قيل كيف قال تع وكانوا مستبصرين اي ذوي بصاير
يقال فلان مستبصر اذا كان عاقلا لبيبا صحيح النظر ولو كانوا كذلك لما عدلوا عن طريق
الهدى الى طريق الضلال قلنا معناه وكانوا مستبصرين في امور الدنيا وقيل معناه
وكانوا عارفين الحق بوضوح الحجج والدلايل ولكنهم كانوا ينكرونه متابعة للهوى كقوله
تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقيل معناه وكانوا مستبصرين
لو نظروا نظر تدبر وتفكر فان قيل كيف قال تع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
لو كانوا يعلمون وكل احد يعلم ان اضعف بيوت تتخذها الهوام بيت العنكبوت
قلنا معناه لو كانوا يعلمون ان اتخاذهم الاصنام اولياء من دون الله مثل اتخاذ
العنكبوت بيتا فان قيل كيف قال تع ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا
الذين ظلموا منهم وكل اهل الكتاب ظالمون لانهم كافرون ولا ظلم اشد من الكفر ويؤيده
قوله تع والكافرون هم الظالمون قلنا المراد بالظلم هنا الامتناع عن قبول عقد

عقد الذمة واداء الجزية او نقض العهد بعد قبوله الثاني ان هذه الآية منسوخة بقوله
تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية فان قيل ما فايدة قوله تعالى ولا تخطه
بيمينك قلنا فايدته تأكيد النفي كما يقال في الاثبات للتأكيد هذا الكتاب قد كتبه فلان
بيده وبيمينه ورأيت فلانا بعيني وسمعت هذا الحديث باذني ونحو ذلك فان
قيل كيف لم يؤكد سبحانه في الاولى وهو قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب بل اكد
قلنا الاصل في الكلام عدم الزيادة فكلما جاء على الاصل لا يحتاج الى العلة وانما يحتاج الى
العلة ما جاء على خلاف الاصل فان قيل كيف قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
ومعلوم ان المجاهدة في دين الله او في حق الله مع النفس الامارة بالسوء او مع الشيطان
او مع اعداء الدين كل ذلك انما يكون بعد تقدم الهداية من الله تع فكيف جعل الهداية
من ثمرات المجاهدة قلنا معناه والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل
معرفة الاحكام وحقايقها وقيل معناه لنهدينهم طريق الجنة وقيل معناه والذين
جاهدوا في التحصيل درجة لنهدينهم الى درجة اخرى اعلى منها وقاطبة لنزيدنهم هداية
وتوفيقا للخيرات كقوله تع والذين اهتدوا زادهم هدى وقوله تع ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى وقال ابو سليمان الداراني معناه والذين جاهدوا فيما علموا
لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعض الحكماء من عمل بما علم وفق لما لا يعلم وقيل ان
الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم هو من تقصيرنا فيما نعلم **سورة الروم**
فان قيل كيف ذكر الضمير في قوله تع وهو اهون عليه والمراد به الاعادة لسبق فعله

تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده قلنا معناه ورجعه او ردّه اهون عليه فاعاد
الضمير على المعنى لا على اللفظ كما في قوله تعالى لنحيي به بلدة ميتا اي بلدا او مكانا فان قيل اخرت
الصلة في قوله تعالى وهو اهون عليه وقدمت في قوله تعالى هو علي هين قلنا لان هناك
قصد الاختصاص وهو محز الكلام فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان
يولد بين هم وعاقر واما هنا فلا معنى للاختصاص فجرى على اصله كيف والامر
مبني على ما يعقل الناس من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة
لتغير المعنى فان قيل كيف قال تعالى وهو اهون عليه والافعال كلها بالنسبة الى قدرة
الله تعالى في السهولة سواء وانما تتفاوت في السهولة والصعوبة بالنسبة الى قدرتنا
قلنا معناه وهو هين عليه وقد جاء في كلام العرب افعل بمعنى اسم الفاعل من
غير تفضيل ومنه قولهم في الاذان الله اكبر اي الله كبير في قول بعضهم وقال الفرزدق
ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول اي عزيزة طويلة وقال معن بن
اوس لعمرك ما ادري واني لاوجل على اينا تعدو المنية اول اي واني لوجل وقال
الاخر اني لامنحك الصدود وانني قسما اليك مع الصدود لاميل اي لمائل
وقال الاخر تمنى رجال ان اموت وان امت فتلك سبيل لست فيها باوحد اي
بواحد الثاني ان معناه وهو اهون عليه في تقديركم وحكمكم لانكم تزعمون وتعتقدون
فيما بينكم ان الاعادة اهون من الابتداء كيف وان الابتداء من ماء والاعادة من
تراب وتركيب الصورة من التراب اهون عندكم الثالث ان الضمير في قوله

[illegible]

اي تتلذذ ان كان المشار اليه الموت نظرا الى الخبر

في قوله تعالى راجع الى المخلوق لا الى الله تعالى ومعناه لا صعوبة على المخلوق فيه ولا ابطاء
لانه يعاد دفعة واحدة بقوله تعالى كن فيكون وفي الابتداء خلق نطفة ثم نقل الى علقة
ثم الى مضغة ثم الى العظام ثم الى كسوة اللحم الرابع ان الابتداء من قبيل التفضل الذي لا يقتضي
لوجوبه والاعادة من قبيل الواجب لانه لا بد منها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب بحكم
وعده سبحانه وتعالى فان قيل كيف معنى قوله تعالى وما اتيتم من ربا الاية على اختلاف
القراءتين بالمد والقصر قلنا قال الحسن المراد به الربا المحرم والخطاب لدافع الربا
لا لاخذه معناه وما اعطيتم اكلة الربا من زيادة لتربو ويزكو في اموالهم فلا يزكو
عند الله ولا يبارك فيها فهو نظير قوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات لا فرق
بينهما وقال ابن عباس رضي الله عنهما والجمهور المراد به ان يهب الرجل غيره هبة او يهدي اليه
هدية على قصد ان يعوضه اكثر منها قالوا وليس في ذلك اجر ولا وزر وانما سماه ربا
لانه موضوع لا خلاف الربا وهو الزيادة فكان سببا لها فسمي باسمها ومعنى قراءة
المد ظاهر واما قراءة القصر فمعناها وما جئتم اي وما فعلتم من اعطاء ربا كما يقول
اتيت خطأ واتيت صوابا اي فعلت وقوله تعالى فاولئك هم المضعفون اي ذوو
الاضعاف من الحسنات وهو التفات عن الخطاب الى الغيبة فان قيل ما فائدة
قوله من قبل بعد قوله من قبل ان ينزل عليهم قلنا فائدته التاكيد كما في قوله
فسجد الملائكة كلهم اجمعون وقيل الضمير لارسال الرياح او للسحاب فلا تكرار
فان قيل كيف قال تعالى الله الذي خلقكم من ضعف والضعف صفة الشيء الضعيف

فكيف تخلو الانسان من تكبر الصغر مع علمنا انه انما خلق من غير وهو الغاية الضعف كقولهم
رجل عدل اى عادل ونحوه فمعناه من ضعيف وهو النطفة وقيل معناه على ضعف فمن
يعنى على كلا قوله تع ونظيراه من القوم الذين كذبوا بآياتنا والمراد به ضعف جثة الطفل
حال طفولته فان قيل كيف قال تع لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث وهم انما لبثوا في الارض
في قبورهم قلنا معناه لقد لبثتم في قبوركم زمانا في علم كتاب الله او في حكم كتاب الله وقيل
معناه في قضاء الله وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره وقال الذين اوتوا العلم في كتاب الله
لقد لبثتم الى يوم البعث والمراد بالذين اوتوا العلم في كتاب الله الذين علموه وفهموا
قوله تع ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فان قيل كيف قال تع هنا ولا هم يستعتبون
وقال تع في موضع آخر وان يستعتبوا فما هم من المعتبين فجعله مرة طالبين للاعتاب
ومرة مطلوبا منهم الاعتاب قلنا معنى قوله ولا هم يستعتبون اى ولا هم يقالون
عثرتهم بالرد الى الدنيا ومعنى قوله تع وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اى وان
يستقيلوا فما هم من المقالين هذا ملخص الجواب وحاصله وقد اوضحنا معناه
في شرح غريب القرآن **سورة لقمان** فان قيل كيف يحل سماع الغناء بعد
قوله تع ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وقد قال الواحدي في وسيطه
اكثر المفسرين على ان المراد بلهو الحديث الغناء وروى ايضا عن النبي صلعم حديثا
مسندا انه قال والذي نفسي بيده ما رفع رجل قط عقيرته يتغنى الا ارتدفه
شيطانان يضربان بارجلهما على ظهره وصدره حتى يسكت وقال سعيد بن جبير

جبير ومجاهد وابن مسعود لهو الحديث هو والله الغناء واشتراء المغني والمغنية
بالمال وروى ايضا حديثا آخر عن النبي صلعم مسندا انه قال في هذه الآية ومن الناس
من يشتري لهو الحديث باللعب والباطل كثير النفقة سمح فيه لا تطيب نفسه بدرهم
يتصدق به وروى ايضا حديثا آخر مسندا عن النبي صلعم انه قال من ملأ مسامعه من غناء
لم يؤذن له ان يسمع صوت الروحانيين يوم القيامة قيل وما الروحانيون قال قراء اهل
الجنة قال اهل المعاني ويدخل في هذا كل من اختار اللهو واللعب والمزامير والمعازف
على القرآن وان كان اللفظ ورد بالاشتراء لان هذا اللفظ يذكر في الاستبدال والاختيار
كثيرا وقال قتادة حسب المرء من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق
هذا كله نقل الواحدي وكان من كبار السلف في العلم والعمل وقال الزجاج قال ابن عباس رضي
وابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة المراد بلهو الحديث الغناء
وعن الحسن مثله وعنه انه كل ما الهى عن الله وفي معنى يشتري قولان احدهما انه
الشراء بالمال والثاني انه الاختيار كما مر وقيل الغناء مفسدة للمال مفسدة للقلب مسخطة
للرب قلنا جوابه انهم يؤولون هذه الآية ونظايرها وهذه الاحاديث ونظايرها
فيصرفونها عن ظاهرها متابعة للهوى وميلا الى الشهوات ولو نظروا بعقولهم
فيما نشاهده من جمعيات السماع في زماننا هذا من المفاسد لعلموا حرمته بلا
خلاف بين المسلمين فان شروط اباحة السماع عند من اباحه لا تجتمع في زماننا هذا
على ما هو مسطور في كتب المشايخ وارباب الطريق ولو اشتغلنا بتفصيل مفاسده

وعَدِّ شروطه عند من اباحه لهم خاصة مقصورة كما بينا هذا فان قيل كيف وقع قوله

ووصينا الانسان بوالديه الآيتان في اثناء وصية لقمان لابنه وما الجامع بينهما قلنا هي

جملة وقعت معترضة على سبيل الاستطراد تاكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك

فان قيل قوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين كيف اعترض بين الوصية

ومفعولها قلنا لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام خاصة وتعانيه من المشاق

والمتاعب تخصيصا لها بتاكيد الوصية وتذكيرا بعظيم حقها بافرادها بالذكر ومن هنا

قال رسول الله صلعم لمن قال له من ابر قال امك ثم امك ثم امك ثم قال بعده ثم اباك فان

قيل كيف قال تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير فجمع الاصوات وافرد صوت الحمير

قلنا ليس المراد ذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل

جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر الاصوات من هذه الاجناس صوت

هذا الجنس فوجب افراده فان قيل قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام يطابقه

وما في البحر من ماء مداده فكيف عدل عنه قلنا استغنى عن ذكر المداد بقوله يمده

لانه من قولك مد الدواة وامدها فجعل البحر المحيط بمنزلة الدواة والابحر السبعة

مملوءة مدادا ابدا صبا لا ينقطع فصار نظير ما ذكرتم ونظيره قوله تعالى قل لو كان البحر مدادا

لكلمات ربي الآية فان قيل كيف قال من شجرة ولم يقل من شجر قلنا لانه اراد

تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر شجرة واحدة الا

وقد بريت اقلاما فان قيل الكلمات جمع قلة والمقصود التعظيم والتفخيم فكان جمع

الكثرة وهو الكلم اشد مناسبة قلنا جمع القلة ابلغ فيما ذكرتم من المقصود لان جمع

القلة اذا لم يغن بتلك الاقلام وذلك المداد فكيف يغني جمع الكثرة فان قيل في قوله تعالى ان الله

عنده علم الساعة الآية كيف اضاف العلم الى نفسه في الامور الثلاثة من الخمسة المغيبات

ونفى العلم عن العباد في الامرين الاخيرين مع ان الامور الخمسة سواء في اختصاص

الله تعالى بعلمها وانتفاء علم العباد بها قلنا انما خص الامور الثلاثة بالاضافة اليه تعظيما

لها وتفخيما لانها اجل واعظم وانما خص الامرين الاخيرين بنفي علمهما عن العباد لانهما من

صفاتهم واحوالهم فاذا انتفى عنهم علمهما كان انتفاء علم ما عداهما من الامور الخمسة اولى فان

قيل كيف قال تعالى وما تدري نفس باي ارض تموت ولم يقل باي وقت تموت وكلاهما

غير معلوم بل نفي العلم بالزمان اولى لان من الناس من يدعي علمه وهم المنجمون بخلاف المكان

فان احدا لا يدعي علمه قلنا انما خص المكان بنفي علمه لوجهين احدهما ان الكون في مكان

دون مكان في وسع الانسان واختياره فيكون اعتقاده علم مكان الموت اقرب بخلاف

الزمان الثاني ان للمكان تاثيرا في جلب الصحة والسقم بخلاف الزمان او تاثير المكان في ذلك اكثر

سورة السجدة فان قيل كيف قال تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج

اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وقال تعالى في سورة المعارج تعرج الملائكة

والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قلنا المراد بالاول مسافة عروج

الملك من الارض الى السطح الاعلى من سماء الدنيا وذلك الف سنة خمسمائة سنة

مسافة ما بين السماء والارض وخمسمائة سنة مسافة سمك سماء الدنيا والمراد بالثاني

مسافة عروج الملائكة من الارض الى العرش الثاني ان المراد به في الآيتين يوم القيمة
ومقداره الف سنة من حساب اهل الدنيا لعلمه وان يوما عند ربك كالف سنة اي
مما تعدون ومعنى قوله خمسين الف سنة اي لو تولى فيه حساب الخلق غير الله
تعالى الثالث انه كالف سنة في حق عوام المؤمنين وكخمسين الف سنة في حق
الكافرين لشدة ما يكابدون فيه من الاهوال والمحن وكساعة من ايام الدنيا في ايام
الدنيا في حق خواص المؤمنين ويؤيده ما روي انه قيل يا رسول الله يوم مقداره
خمسون الف سنة ما اطوله فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى
يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وروي ان ابن عباس رضه سئل عن
هاتين الآيتين فقال يومان ذكرهما الله تع في كتابه واني اكره ان اقول في كتاب الله تع
بما لا اعلم فان قيل كيف قال تع الذي احسن كل شيء خلقه او كل شيء خلقه على اختلاف
القراءتين ومقتضى القرآنين ان لا يكون في مخلوقات الله تع شيء قبيح والواقع
خلافه ولو لم يكن الا القرود والمعاصي فانها مخلوقة لله تع عند اهل السنة والجماعة
مع انها قبيحة قلنا احسن بمعنى احكم واتقن الثاني ان فيه اضمارا تقديره احسن
الى كل شيء خلقه وهذا الجواب يخص قراءة فتح اللام الثالث ان احسن بمعنى علم
كما يقال فلان لا يحسن شيئا اي لا يعلم شيئا وقال علي رضه قيمة كل امرء ما يحسنه اي ما يعلمه
فمعناه انه علم خلق كل شيء او علم كل شيء خلقه ولم يتعلمه من احد فان قيل كيف قال
تعالى هنا من سلالة من ماء مهين وقال تع في موضع آخر من سلالة من طين قلنا

قلنا المذكور هنا صفة ذرية آدم والمذكور هناك صفة آدم عليه السلام نعلم ذلك من اول
الآيتين فلا تنافي فان قيل كيف قال تع ونفخ فيه من روحه والله تع منزه عن الروح
قلنا معناه ونفخ فيه من روح مضافة الى الله تع بالخلق والايجاد لا بوجه آخر
فان قيل كيف قال تع قل يتوفاكم ملك الموت وقال تعالى في موضع آخر توفته رسلنا وقال تعالى
في موضع آخر الله يتوفى الانفس حين موتها قلنا الله تع هو المتوفي بخلق الموت وامر
الوسائط بنزع الروح والملائكة المتوفون اعوان ملك الموت وهم يجذبون الروح
من الاظافير الى الحلقوم وملك الموت يتناول الروح من الحلقوم فصحت الاضافات
كلها فان قيل كيف قال تعالى انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا الآية
وليس المؤمنون منحصرين في من هو موصوف بهذه الصفة ولا هذه الصفة شرط في تحقق
الايمان قلنا المراد بقوله تعالى ذكروا بها اي وعظوا والمراد بالسجود الخشوع والخضوع
في قبول الموعظة بآيات الله وهذه الصفة شرط في تحقق الايمان ونظيره قوله تع ان الذين
اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا الآية الثاني ان معناه انما يؤمن
بآياتنا ايمانا كاملا من اتصف بهذه الصفة وقيل المراد بالآيات فرائض الصلوات
الخمس والمراد بالتذكير بها الاذان والاقامة فان قيل قوله تع افمن كان مؤمنا
كمن كان فاسقا لا يستوون يدل على ان الفاسق لا يكون مؤمنا قلنا الفاسق هنا
الكافر بدليل قوله تع بعده وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون
والنص يقتضي كون الفاسق المذكور هنا كافرا لا كون كل فاسق كافرا ونظيره

وقوله تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين وقوله تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن
نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ولم يلزم من ذلك أن كل مجرم كافر ولا أن كل
مسيء كافر فإن قيل ما فائدة العدول عن قوله تعالى إنا منه منتقمون في قوله تعالى ومن أظلم
ممن ذكر بآيات ربه قلنا لما جعله أظلم الظلمة ثم توعد كل المجرمين بالانتقام منهم دل
على أن الأظلم نصيبه النصيب الأوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة
فإن قيل قوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح سؤال عن وقت الفتح وهو يوم القضاء بين
المؤمنين والكافرين يعني يوم القيمة فكيف طابقه ما بعده جوابا قلنا لما كان سؤالهم
سؤال تكذيب واستهزاء بيوم القيمة لا سؤال استفهام أجيبوا بالتهديد المطابق
للتكذيب والاستهزاء لا ببيان حقيقة الوقت فإن قيل على قول من فسر الفتح بفتح
مكة أو بفتح يوم بدر كيف وجه الجواب وقد نفع بعض الكفار إيمانهم في ذلك
اليوم وهم الطلقاء الذين آمنوا قلنا المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم في
حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الغرق **سورة الأحزاب**
فإن قيل كيف قال تعالى يا أيها النبي ولم يقل يا محمد كما قال تعالى يا موسى يا عيسى يا داود
ونحوه قلنا إنما عدل عن ندائه باسمه إلى ندائه بالنبي والرسول إجلالا وتعظيما
كما قال تعالى يا أيها النبي لم تحرم يا أيها الرسول بلغ فإن قيل لو كان ذلك لما ذكرتم لعدل
عن اسمه إلى نعته في الإخبار عنه كما عدل في النداء ولم يعدل عنه في قوله تعالى محمد
رسول الله وقوله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل قلنا إنما عدل عن نعته

عن نعته في هذين الموضعين ليعلم الناس أنه رسول الله وتلقينهم أن يسموه بذلك ويدعوه به
ولذلك ذكره بنعته لا باسمه في غير هذين الموضعين من مواضع الإخبار كما ذكره في النداء لقد جاءكم
رسول من أنفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والله ورسوله أحق أن
يرضوه النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم إن الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله
والنبي ونظائره كثيرة فإن قيل ما فائدة ذكر الجوف في قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه قلنا قد سبق مثل هذا السؤال وجوابه في سورة الحج في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
فإن قيل ما معنى قولهم أنت علي كظهر أمي قلنا أرادوا أن يقولوا أنت علي حرام كبطن أمي
فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي يقارب ذكره ذكر الفرج وإنما كنوا عن
البطن بالظهر لوجهين أحدهما أنه عمود البطن ومنه قول عمر رضي الله عنه يجيء به أحدهم على عمود
بطنه أي على ظهره الثاني أن إتيان المرأة من قبل ظهرها كان محرما عندهم وكانوا يعتقدون
أنها إذا أتيت من قبل ظهرها جاء الولد أحول فكان المطلق في الجاهلية إذا قصد تغليظ الطلاق
قال أنت علي كظهر أمي فإن قيل كيف قال الله تعالى وأزواجه أمهاتهم جعل أزواج النبي صلعم لهم
أمهات المؤمنين حكما وما جعل النبي صلعم بمنزلة أبيهم حكما حتى قال تعالى ما كان محمد أبا أحد من
رجالكم قلنا أراد الله تعالى بقوله وأزواجه أمهاتهم أن أمته يدعون أزواجه بأشرف الأسماء
وأشرف أسماء النساء الأم وأشرف أسماء النبي صلعم رسول الله لا الأب الثاني أنه تعالى جعلهن
أمهات المؤمنين تحريما لهن عليهم إجلالا وتعظيما له صلعم كيلا يطمع أحد في نكاحهن
فلو جعل النبي صلعم أبا للمؤمنين لكان أبا للمؤمنات أيضا فلم يحل له نكاح امرأة من

المؤمنين وذلك ينافي اجلاله وتعظيمه وقد جعله اعظم من الاب في القرب والحرمة بقوله
تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فجعله اقرب اليهم من انفسهم واجبة وكثير من الآباء
يتبرأ من ابنه ويتبرأ من ابيه وليس احد يتبرأ من نفسه فان قيل كيف قدم النبي عليه على
نوح ومن بعده في قوله تع واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى
وعيسى بن مريم قلنا لان هذا العطف من باب عطف الخاص على العام الذي هو جزء
منه لبيان التفضيل والتخصيص بذكر مشاهير الانبياء وذراريهم فلما كان النبي عليه افضل
هؤلاء المفضلين قدم عليهم وفي الميثاق المأخوذ قولان احدهما انه تعالى اخذ منهم الميثاق
يوم اخذ الميثاق بان يصدق بعضهم بعضا والثاني انه تعالى اخذ منهم الميثاق ان يعبدوا الله
ويدعوا الى توحيده ويصدق بعضهم بعضا فان قيل كيف قدم عليه نوح عليه في نظير هذه الآية
وهي قوله تع شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك قلنا لان ذكر الآية سيقت
لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة كانه قال شرع لكم من الدين الاصيل الذي
بعث عليه نوح عليه في العهد القديم وبعث عليه محمد عليه في العهد الحديث وبعث
عليه من توسطهما من الانبياء المشاهير فكان تقديم نوح اشد مناسبة للمقصود من
سوق الآية فان قيل ما فائدة اعادة اخذ الميثاق في قوله تع واخذنا منهم ميثاقا غليظا
قلنا فائدته التوكيد ووصف الميثاق المذكور بالغلاظة والعظم استعارة من وصف
الاجرام به وقيل ان الاول هو الميثاق الغليظ اليمين بالله تع على الوفاء بما حملوا فلا اعادة
لاختلاف الميثاقين فان قيل كيف قال الله تع في وصف حال المؤمنين التي امتن عليهم

عليهم فيها وبلغت القلوب الحناجر ولو بلغت القلوب الحناجر لماتوا ولم يبق للامتنان
وجه قلنا قال ابن قتيبة معناه كادت القلوب تبلغ الحناجر من الخوف فهو مثل في
اضطراب القلوب ووجيبها ورده ابن الانباري فقال العرب لا تضمر كاد ولا تعرف
معناه ما لم تنطق به وقال الفراء معناه انهم جبنوا وجزعوا والجبان اذا اشتد خوفه
انتفخت رئته فرفعت قلبه الى حنجرته وهي جوف الحلقوم واقصاه وكذا اذا اشتد
الغضب او الغم وهذا المعنى مروي عن ابن عباس رض ومن هنا قيل للجبان انتفخ
سحره فان قيل كيف علق الله تع عذاب المنافقين بمشيئته بقوله ويعذب المنافقين ان شاء
وعذابهم متيقن مقطوع به لقوله تع ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار قلنا معناه ان شاء
تعذيبهم باماتتهم على النفاق وقيل معناه ان شاء ذلك وقد شاءه فان قيل ما معنى قوله تع لقد
كان لكم في رسول الله اسوة حسنة قلنا فيه وجهان احدهما انه نفسه اسوة حسنة اي قدوة
والاسوة اسم للمتأسى به اي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في
نفسها هذا المقدار والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي مواساته بنفسه
اصحابه وصبره على الجهاد وثباته يوم احد حين كسرت رباعيته وشج وجهه فان قيل
كيف اظهر تع الاسمين مع تقدم ذكرهما في قوله تع ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا
هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله قلنا لئلا يكون الضمير الواحد عن الله تع
اي عبارة عن الله
وغيره فان قيل كيف قال تع في وصف بني قريظة واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا
لم تطؤوها والله تع انما ملكهم ارضهم بعد وطئهم وظهورهم عليها قلنا معناه ويورثكم

بطريق وضع الماضي موضع المستقبل مبالغة في تحقق الموعود وتأكيدا الثاني ان فيه اخبارا
بغيب وارضا لم تطؤها سيورثكم اياها يعني ارض مكة وقيل ارض فارس والروم وقيل
ارض خيبر وقيل كل ارض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك الى يوم القيمة الثالث ان معناه
واورثكم ذلك كله في الازل بكتابته لكم في اللوح المحفوظ فان قيل كيف خص الله تعالى نساء النبي
عليه السلام بتضعيف العقوبة على الذنب والمثوبة على الطاعة في قوله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن
بفاحشة مبينة الآيتان قلنا اما تضعيف العقوبة فلانهن شاهدن من الزواجر
الرادعة عن الذنوب ما لا يشاهد غيرهن الثاني ان في معصيتهن أذى لرسول الله
عليه السلام وأذى رسول الله اعظم من ذنب غيره والمراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق وذنب ح
كذا قاله ابن عباس رضي الله عنه واما تضعيف المثوبة فلانهن اشرف من سائر النساء بقربهن
من رسول الله عليه السلام فكانت الطاعة منهن اشرف كما كانت المعصية منهن اقبح ونظيره
ذكر الوزر والثواب في طاعتها للملك ومعصيتها فان قيل كيف قال تعالى يا نساء النبي لستن
كاحد من النساء ولم يقل كواحدة من النساء قلنا قد سبق هذا مرة في آخر سورة البقرة في
قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله فان قيل كيف امر الله تعالى نساء النبي بالزكوة في قوله تعالى
واقمن الصلوة وآتين الزكوة ولم يملكن نصابا كاملا قلنا المراد بالزكوة هنا الصدقة
النافلة والامر امر ندب فان قيل ما الفرق بين المسلم والمؤمن حتى عطف احدهما
على الآخر في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات قلنا المراد بالمسلم
المقر بلسانه وبالمؤمن المصدق بقلبه فان قيل كيف قال تعالى ما كان محمد ابا احد من

رجالكم مع انه كان ابا للطاهر والطيب والقاسم وابرهيم قلنا قوله تعالى من رجالكم يخرجهم
من حكم النفي من وجهين احدهما انهم لم يبلغوا مبلغ الرجال بل ماتوا صبيانا والثاني انه اضاف
الرجال اليهم وهم كانوا رجاله لا رجالهم فان قيل كيف قال تعالى وخاتم النبيين وعيسى عليه السلام ينزل
بعده وهو نبي قلنا معنى كونه خاتم النبيين انه لا يتنبأ احد بعده وعيسى ممن
نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا بشريعة محمد عليه السلام مصليا الى قبلته كانه بعض امته فان منزل ح
قيل قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم معناه يرحمكم ويغفر لكم فما معنى قوله تعالى وملائكته والرحمة وقف
والمغفرة منهم محال قلنا جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة بالرحمة والمغفرة كانهم فاعلوا
الرحمة والمغفرة ونظيره قولهم حياك الله اي احياك وابقاك وحيا زيد عمرا اي دعا له
بان يحييه الله اتكالا منه على اجابة دعوته ومثله قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على
النبي فان قيل قد فهم من قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
انه ماذون له في الدعاء الى الله تعالى فما فائدة قوله تعالى باذنه قلنا معناه بتسهيله وتيسيره
وقيل معناه بامره لا انك تدعوهم من تلقاء نفسك فان قيل كيف شبه الله تعالى النبي عليه السلام
بالسراج دون الشمس والقمر والشمس اتم واكمل قلنا قيل ان المراد بالسراج هنا
الشمس كما قال تعالى وجعل الشمس سراجا وقيل انما شبهه بالسراج لان السراج يتفرع
ويتولد منه سرج لا تعد ولا تحصى بخلاف الشمس والنبي عليه السلام تفرع منه بواسطة
ارشاده وهدايته جميع العلماء من عصره الى يومنا هذا وهلم جرا الى يوم القيامة
وقيل انما شبهه بالسراج لانه بعث في زمان يشبه الليل بظلمات الكفر والجهل

والضلال فان قيل كيف شبهه بالسراج دون الشمع والشمع اشرف وضوءه اتم واكمل قلنا قد سبق الجواب عن مثل هذا في قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فان قيل كيف خص المؤمنات بعدم وجوب العدة في الطلاق قبل المسيس في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن الآية مع ان حكم الكتابية كذلك قلنا هذا خرج مخرج الاغلب والاكثر لا للتخصيص فان قيل كيف افرد سبحانه العم وجمع العمات وافرد الخال وجمع الخالات في قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك والمعهود في كلام العرب مقابلة الجمع بالجمع قلنا لان العم اسم على وزن المصدر الذي هو الضم ونحوه وكذا الخال على وزن القال ونحوه فيستوي فيه الفرد والتثنية والجمع بخلاف العمة والخالة ونظيره قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم فان قيل هذا الجواب منقوض بقوله تعالى في سورة النور او بيوت اعمامكم او بيوت اخوالكم قلنا العم والخال ليسا مصدرين حقيقة بل على وزن المصدر فاعتبر هنا شبههما بالمصدر وهناك حقيقتهما عملا بالجهتين بخلاف السمع فانه لما كان مصدرا حقيقة ما جاء في الكتاب العزيز الا مفردا اما قيل كيف ذكر الاقارب وكلهم حكم من ذكر في رفع الجناح قلنا قد سبق مثل هذا السؤال وجوابه في سورة النور في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الآية فالاولى ان تستتر المرأة عند عمها وخالها لئلا يصف محاسنها عند ابنه فيفضي الى الفتنة فان قيل السادة والكبراء بمعنى واحد فكيف عطف احدهما على الآخر في قوله تعالى انا اطعنا سادتنا وكبراءنا قلنا هو من باب عطف اللفظ على اللفظ المغاير له مع اتحاد معناهما كقولهم فلان عاقل لبيب وهذا حسن جميل وقول الشاعر والفى قولها كذبا ومينا فان قيل المراد بالانسان آدم عليه السلام في قوله تعالى وحملها الانسان فكيف قال انه كان ظلوما جهولا وفعول من اوزان المبالغة فيقتضي تكرر الظلم والجهل منه وانه منتف قلنا لما كان عظيم القدر رفيع المحل كان ظلمه وجهله اقبح وافحش فقام عظم الوصف مقام الكثرة وقد سبق نظير هذا في سورة آل عمران في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وقيل انما سماه ظلوما جهولا لتعدي ضرر ظلمه وجهله الى جميع الناس فانهم اخرجوا من الجنة بواسطته وسلط عليهم ابليس وجنوده

سورة سبا

فان قيل كيف قال تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ولم يقل الى ما فوقهم وما تحتهم من السماء والارض قلنا ما بين يدي الانسان هو كل شيء يقع نظره عليه من غير ان يحول وجهه اليه وما خلفه هو كل شيء لا يقع نظره اليه حتى يحول وجهه اليه فكان اللفظ المذكور اعم مما ذكرتم فان قيل هلا ذكر سبحانه الايمان والشمائل هنا كما ذكرها في قوله تعالى ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قلنا لانه وجد هنا ما يغني عن ذكرها وهو لفظ العموم وذكر السماء والارض ولا كذلك ثم فان قيل كيف اتخاذ سليمان عليه السلام التماثيل وهي التصاوير قلنا قيل ان عمل الصور لم يكن محرما في شريعته ويجوز ان تكون صور غير الحيوان كالاشجار ونحوها وذلك غير محرم في شريعتنا ايضا فان قيل كيف قال تعالى لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان ولم يقل آيتان جنتان

سبحانه وتعالى الاقارب في رفع الجناح عليهن في الاية ولم يذكر العم والخال

وكل جنة كانت آية اي علامة على توحيد الله تعالى قلنا لما تماثلتا في الدلالة واتحدت
جهتها فيها جعلتا آية واحدة ونظيره قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه آية فان قيل كيف قال
تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله اي الذين زعمتموهم آلهة من دون الله
مع ان المشركين ما زعموا غير الله آلهة دون الله بل مع الله على وجه الشركة قلنا
النص لا يدل على زعمهم حصر الالهية في غير الله اصلا بل يوهم ذلك ولو دل فنقول فيه تقديم
وتأخير تقديره قل ادعوا الذين من دون الله زعمتم انهم شركاء لله فان قيل ما معنى التشكيك
في قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين قلنا قيل ان او هنا بمعنى الواو وفي [illegible]
فيصير المعنى نحن على الهدى وانتم في الضلال وقيل وانا لضالون او مهتدون وانتم كذلك وهو
من التعريض بضلالهم كما يقول الرجل لصاحبه اذا اراد تكذيبه والله ان احدنا لكاذب
ويعني به صاحبه فان قيل كيف قالت الملائكة عليهم السلام في حق المشركين بل كانوا يعبدون
الجن ولم ينقل ان احدا من المشركين انه عبد الجن قلنا معناه بل كانوا يطيعون
الشياطين فيما يأمرونهم به من عبادتنا اكثرهم بهم مؤمنون اي اكثر المشركين مصدقون
بالشياطين فيما يخبرونهم به من الكذب ان الملائكة بنات الله **سورة الملائكة**
فان قيل في قوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا
به الارض بعد موتها كيف جاء فتثير مضارعا دون ما قبله وما بعده قلنا هو
مضارع وضع موضع الماضي كما في قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه فان قيل ما معنى
قوله تعالى وما يعمر من معمر قلنا معناه وما يعمر من احد وانما سماه معمرا على انه صاير

صاير اليه فان قيل كيف قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وكم امة كانت في الفترة بين
عيسى ومحمد عليهما السلام فخلت فيها نذير قلنا اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير
الى ان تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا عليهما السلام
فان قيل كيف اكتفى سبحانه بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد سبق ذكرهما في اولها
قلنا لما كانت النذارة مشفوعة اي مقرونة بالبشارة لا محالة استغنى بذكر احدهما عن الآخر
بعد سبق ذكرهما فان قيل ما الفرق بين النصب واللغوب حتى عطف احدهما على
الآخر قلنا النصب المشقة والكلفة واللغوب الفتور الحاصل بسبب النصب
فهو نتيجة النصب كذا فرق بينهما الزمخشري رحمه الله ويرد على هذا ان يكون
انتفاء الثاني معلوما من انتفاء الاول فان قيل ما فائدة قوله تعالى ربنا اخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نعمل مع انهم يومئذ يعلمون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه وهم ما عملوا انهم ع
صالحا بل سيئا قلنا هم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال تعالى وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا فمعناه غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله **سورة يس**
فان قيل كيف قال تعالى اولا انا اليكم مرسلون وقال تعالى ثانيا انا اليكم لمرسلون قلنا لان الاول
ابتداء اخبار فلم يحتج الى التأكيد باللام بخلاف الثاني فانه جواب بعد الانكار والتكذيب
فاحتاج الى التأكيد فان قيل كيف اضاف الفطر الى نفسه بقوله فطرني واضاف
البعث اليهم بقوله واليه ترجعون مع علمه بان الله تعالى فطرهم وفطره وسوف
يبعثه ويبعثهم فهلا قال فطرنا واليه نرجع او فطركم واليه ترجعون قلنا

لان الخلق والايجاد نعمة من الله تعالى توجب الشكر والبعث بعد الموت وعيد وتهديد
يوجب الزجر فكان اضافته الى نفسه اظهر في الشكر واضافة البعث اليهم ابلغ في الزجر النعمة ح
فان قيل كيف قال تعالى يا حسرة على العباد والتحسر على الله محال قلنا هو تحسير للخلق
معناه قولوا يا حسرة على انفسنا لا تحسر على الله تعالى فان قيل كيف نفى سبحانه الادراك
عن الشمس للقمر دون عكسه وهو قوله لا القمر ينبغي له ان يدرك الشمس قلنا لان سير
القمر اسرع فانه يقطع فلكه في شهر والشمس لا تقطع فلكها الا في سنة فكانت الشمس
جديرة بان توصف بنفي الادراك لبطوء سيرها والقمر خليقا بان يوصف بالسبق
لسرعة سيره هذا سؤال الزمخشري وجوابه ويرد عليه ان سرعة سير القمر تناسب
ان ينفى الادراك عنه لانه اذا امتنع القمر ينبغي له ان يدرك الشمس مع سرعة سيره علم
بالطريق الاولى ان الشمس لا ينبغي لها ان تدرك القمر مع بطوء سيرها فاما اذا امتنع الشمس
ينبغي لها ان تدرك القمر امكن ان يقال انما لم تدركه لبطوء سيرها فاما القمر فيمكنه ان يدركها
لسرعة سيره فان قيل كيف قال تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم اي ذرية اهل مكة
او ذرية قوم نوح في الفلك المشحون والذرية اسم للاولاد والمحمول في سفينة نوح
عليه السلام آباء اهل مكة لا اولادهم قلنا الذرية من الاضداد تطلق على الآباء وعلى الاولاد
بدليل قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها
من بعض فسمى جميع المذكورين بكونهم ذرية وبعضهم آباء وبعضهم ابناء فمعناه حملنا وصف ح
آباء اهل مكة او حملنا ابناءهم لانهم كانوا في ظهور آبائهم المحمولين فان قيل كيف قال تعالى

تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون الوعد بالبعث والجزاء والوعيد
كان واقعا لا منتظرا قلنا معناه متى انجاز هذا الوعد وصدقه بحذف المضاف او المراد
باطلاق اسم الوعد على الموعود كضرب الامير ونسج اليمن فان قيل قولهم من بعثنا من مرقدنا
سؤال عن الباعث فكيف طابقه ما بعده جوابا قلنا معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم
البعث وانبأكم به الرسل الا انه جيء به على هذه الطريقة تبكيتا لهم وتوبيخا فان قيل
كيف قال تعالى في صفة اهل الجنة هم وازواجهم في ظلال والظل انما يكون حيث تكون الشمس
ولهذا لا يقال لما في الليل ظل والجنة لا يكون فيها شمس لقوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا
زمهريرا قلنا ظل اشجار الجنة من نور العرش لئلا يبهر ابصار اهل الجنة فانه اعظم
من نور الشمس وقيل من نور قناديل العرش فان قيل كيف سمى سبحانه نطق اليد
كلاما ونطق الرجل شهادة في قوله تعالى وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم قلنا لان اليد كانت
مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة وقول الفاعل على نفسه ليس بشهادة
بل اقرار بما فعل قلت وفي الجواب نظر فان قيل كيف قال تعالى وما علمناه الشعر مع
انه عم قد روي عنه ما هو شعر وهو قوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله
عليه السلام هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قلنا هذا ليس بشعر
لان الخليل لم يعد مشطور الرجز شعرا وقوله عم هل انت الا اصبع دميت
من مشطور الرجز كيف وقد روي انه عم قال دميت ولقيت بفتح الياء
وسكون التاء وعلى هذا لا يكون شعرا ولكن الراوي حرفه فصار شعرا الثاني

الثاني ان حد الشعر قول موزون مقفى مقصود به الشعر والقصد منتف فيما روي عنه صلعم
فكان كما يتفق وجوده في كل كلام منثور من الخطب والرسائل ومحاورات الناس ولا يعده
احد شعرا فان قيل كيف قال تعالى مما عملت ايدينا والله تعالى منزه عن الجارحة قلنا هو كناية
عن الانفراد بخلق الانعام والاستبداد به من غير شريك ولا معين كما قال في العجب
وغيره من اعمال القلوب هذا مما عملته يداك ويقال لمن لا يد له يداك اوكتا وكذا قوله
تعالى لما خلقت بيدي فان قيل كيف سمى قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلا وليس بمثل وانما
هو استفهام انكار قلنا سماه مثلا لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهو انكاره
قدرة الله تعالى على احياء الموتى مع ان العقل والنقل كلاهما يشهد بقدرته على ذلك
سورة الصافات فان قيل كيف قال تعالى جمع تعالى المشارق هنا وثناها في سورة
الرحمن وكيف اقتصر على ذكر المشارق وذكر ثم المغربين ايضا وكذلك ايضا ذكر المغارب
مع المشارق مجموعين في قوله تعالى فلا اقسم برب المشارق والمغارب وذكرهما مفردين
في قوله تعالى قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قلنا لان القرآن نزل
بلغة العرب على المعهود من اساليب كلامهم وفنونه الاجمال والتفصيل والبسط
والايجاز فاجمل تارة بقوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين اراد مشرقي الصيف
والشتاء ومغربيهما على الاجمال وفصل تارة بقوله تعالى فلا اقسم برب المشارق والمغارب
اراد جميع مشارق السنة ومغاربها وهي تزيد على سبعمائة وبسط مرة بقوله
تعالى فلا اقسم برب المشارق والمغارب واوجز واختصر مرة بقوله تعالى ورب المشارق

المشارق لدلالة المذكور وهو المشارق على المحذوف وهو المغارب وكانت المشارق أولى
بالذكر لانها اشرف اما لكون الشروق سابقا في الوجود على الغروب او لان المشارق
منبع الانوار والاضواء فان قيل كيف خص سبحانه سماء الدنيا بقوله تعالى انا زينا السماء
الدنيا بزينة الكواكب مع ان غير سماء الدنيا مزينة بالكواكب ايضا قلنا انما خصها بالذكر
لانا نحن انما نرى سماء الدنيا لا غير فان قيل كيف وجه قراءة الضم في قوله تعالى بل عجبت
وهي قراءة علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم واختيار الفراء والتعجب روعة
تعتري الانسان عند استعظام الشيء والله تعالى لا يجوز عليه الروعة قلنا اراد
بالتعجب الاستعظام وهو جائز من الله تعالى كما استعظم كيد النساء وانكار الكفار معجزات
الانبياء الثاني ان معناه قل يا محمد بل عجبت وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول ان الله تعالى
لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابرهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه
علمه وعبد الله اعلم منه وكان يقرأ بالضم يريد عبد الله بن مسعود قال الزجاج وانكار
هذه القراءة غلط لان العجب من الله تعالى خلاف العجب من الآدميين ونظيره قوله
تعالى ومكروا ومكر الله وقوله تعالى سخر الله منهم وما اشبهه وفي الذي وقع منه العجب قولان
احدهما كفرهم بالقرآن والثاني انكارهم البعث فان قيل كيف مدح سبحانه نوحا عليه
بقوله تعالى انه من عبادنا المؤمنين مع ان مرتبة الرسل فوق مرتبة المؤمنين قلنا
انما مدحه بذلك تنبيها لنا على جلالة محل الايمان وشرفه وترغيبا في تحصيله والثبات
عليه والازدياد منه كما قال تعالى في مدح ابرهيم عليه وانه في الآخرة لمن الصالحين فان قيل

كيف قال تع فنظر نظرة في النجوم والنظر انما يتعدى بالى قال الله تع ولكن انظر الى الجبل وقال
فانظر الى آثار رحمة الله قلنا في هنا بمعنى الى كما في قوله تع فردوا ايديهم في افواههم الثاني
ان المراد به نظر الفكر لا نظر العين ونظر الفكر انما يتعدى بفي قال الله تع اولم ينظروا في
ملكوت السموات والارض فصار المعنى فتفكر في علم النجوم او في احوال النجوم فان قيل كيف
استجاز ابرهيم عم ان يقول اني سقيم ولم يكن سقيما قلنا معناه سأسقم كما في قوله تع انك ميت
فهو من معاريض الكلام قاله ليتخلف عنهم اذا خرجوا الى عيدهم فيكيد اصنامهم وقال
ابن الانباري اعلمه الله تع انه يمتحنه بالسقم اذا طلع نجم كذا فلما رآه علم انه سيسقم
وقيل معناه اني سقيم القلب عليكم اذ عبدتم الاصنام وتكهنتم بنجوم لا تضر ولا تنفع
وقيل انه عرض له مرض وكان سقيما حقيقة وقال الزمخشري قد جوز بعض الناس
الكذب في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين
والمتهاجرين قال والصحيح ان الكذب حرام الا اذا عرض وورى وابرهيم عم عرض
بقوله وورى فانه اراد ان من في عنقه الموت سقيم كما قيل في المثل كفى بالسلامة داء
داءً وقال لبيد ودعوت ربي بالسلامة جاهداً ليصحني فاذا السلامة داء وروى
ان رجلا مات فجاءة فاجتمع عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح
من الموت في عنقه فان قيل لم لا يجوز النظر في علم النجوم مع ان ابرهيم عم قد نظر فيه
وحكم منه قلنا انما كان ذلك جائزا لابرهيم عم لان الله تع اراه ملكوت السموات والارض
ابيح له النظر في علم النجوم والحكم منه فان قيل ما قوله تع فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا

فاقبلوا اليه يزفون اي يسرعون يدل على انهم عرفوا انه هو الكاسر لها وقوله تع في سورة
الانبياء قالوا من فعل هذا بآلهتنا وما بعده يدل على انهم ما عرفوا انه الكاسر لها
فكيف التوفيق بينهما قلنا يجوز ان يكون الذي عرفه وزف اليه بعضهم والذي جهله
وسأل عنه بعض آخر ويجوز ان الكل جهلوه وسألوا عنه فلما عرفوا انه الكاسر لها هو ح
زفوا اليه كلهم فان قيل ما معنى قوله اني ذاهب الى ربي قلنا معناه الى حيث امرني ربي
بالمهاجرة وهو الشام وقيل الى طاعة ربي ورضاه وقيل الى ارض ربي وانما خصها بالاضافة
الى الله تع تشريفا لها وتفضيلا لانها ارض مقدسة مباركة فيها للعالمين كما قال تعالى
دار الما جاد الله ومهاجرهم وعباد الله الصالحين الذين يرثون الارض هو نا فان قيل ما معنى قوله
سيهدين وهو كان مهتديا قلنا معناه سيثبتني على ما انا عليه من الهدى ويزيدني هدى ويزيدني
وقيل معناه سيهديني الى الجنة وقيل الى الصواب في جميع احوالي ونظيره قول موسى عليه السلام كلا
ان معي ربي سيهدين فان قيل كيف شاور ابرهيم عليه السلام ولده في ذبحه بقوله فانظر ماذا ترى
مع انه كان حتما على ابرهيم لانه امر به لان معنى قوله اني ارى في المنام اني اذبحك انه امر
بذبحه في المنام ورؤيا الانبياء حق فاذا رأوا في المنام شيئا فعلوه في اليقظة
كذا قاله قتادة والدليل على ان منامه كان وحيا بالامر بالذبح قوله يا ابت افعل ما تؤمر
قلنا لم يشاوره ليرجع الى رأيه في ذلك ولكن ليعلم ما عنده من الصبر فيما نزل به من بلاء الله
فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلم القصة فيوطن نفسه
على الذبح ويهون عليه فيلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب الثواب بالانقياد

لامر الله قبل نزوله وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في اكل الشجرة
لما فرط منه ذلك فان قيل كيف قال له قد صدقت الرؤيا وانما يكون مصدقا لها لو وجد منه الذبح ولم
يوجد قلنا معناه قد فعلت غاية ما في وسعك مما يفعله الذابح من الالقاء ولاكن وامرار الشفرة
على حلقه ولكن الله منع الشفرة ان تقطع وقيل ان الذي رآه في المنام معالجة الذبح فقط
لا اراقة الدم وقد فعل ذلك في اليقظة فكان مصدقا للرؤيا فان قيل اين جواب لما في قوله تعالى
فلما اسلما قلنا قيل هو محذوف تقديره استبشرا او اغتبطا وشكرا لله على ما انعم به عليهما
من الفداء او سعدا سعدا او اجزلا ثوابهما وقيل الجواب هو وناديناه والواو زائدة كما
في قول امرئ القيس فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل
اي فلما اجزنا ساحة الحي انتحى كذا نقله ابن الانباري وغيره فان قيل كيف قال تعالى في آخر
قصة ابرهيم عليه السلام كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص قبلها وبعدها انا كذلك نجزي
المحسنين قلنا لما سبق في قصة ابرهيم عليه السلام مرة انا كذلك نجزي المحسنين طرح في الثاني
تخفيفا واختصارا واكتفاء بذكره مرة بخلاف سائر القصص فان قيل كيف قال تعالى وان لوطا
لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين وهو كان من المرسلين قبل زمان التنجية قلنا
قوله تعالى اذ نجيناه لا يتعلق بما قبله بل يتعلق بمحذوف بعده واذكر لهم يا محمد اذ نجيناه
او وانعمنا عليه اذ نجيناه وكذا السؤال في قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق
الى الفلك المشحون فان قيل كيف قال تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون واو كلمة شك
والشك على الله تعالى محال قلنا قيل او هنا بمعنى بل فلا شك وقيل بمعنى الواو كما في قوله تعالى او لامستم

النساء وقوله تعالى عذرا او نذرا وقيل معناه او يزيدون في تقديركم فلو رآهم احدكم لقال
هم مائة الف او يزيدون فالشك انما دخل في حكاية قول المخلوقين ونظيره قوله تعالى فكان قاب قوسين
او ادنى فان قيل ما فائدة تكرار الامر بالتولية والابصار قلنا فائدته تاكيد التهديد والوعيد
فان قيل كيف قال تعالى اولا وابصرهم ثم قال ثانيا وابصر قلنا طرح ضمير المفعول تخفيفا واختصارا
واكتفاء بسبق ذكره مرة وقيل معنى الاول وابصرهم اذا نزل بهم العذاب ومعنى الثاني وابصر
العذاب اذا نزل بهم فلا فرق بينهما في المعنى

سورة ص

فان قيل اين جواب القسم
في قوله تعالى ص والقرآن ذي الذكر قلنا فيه وجوه احدها انه لما ذكر حرفا من حروف المعجم على سبيل
التحدي والتنبيه على الاعجاز كما قيل في كل سورة مفتتحة بحرف اتبعه القسم محذوف الجواب
لدلالة التحدي عليه كانه قال والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز وكذلك اذا كان الحرف مقسما به
كانه قال اقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز الثاني ان صاد خبر مبتدا محذوف
على انه اسم للسورة كانه قال هذه صاد يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقرآن ذي الذكر
كما تقول هذا حاتم والله يريد هذا هو المشهور بالسخاء والله الثالث ان جواب القسم كم اهلكنا واصله
لكم اهلكنا فلما طال الكلام حذفت اللام تخفيفا كما في قوله تعالى والشمس وضحاها قد افلح من زكاها
الرابع انه قوله تعالى ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وهو قول الكسائي قال الفراء وهذا لا يستقيم في العربية
لتاخره جدا عن القسم فان قيل ما وجه المناسبة والارتباط بين قوله تعالى اصبر على ما يقولون
وبين قوله تعالى واذكر عبدنا داود قلنا وجه المناسبة بينهما انه امر ان يتقوى على الصبر بذكر
قوة داود على العبادة والطاعة الثاني ان المعنى عزهم ان داود عليه السلام مع كرامته

وشهرة طاعته وعبادته التي منها صوم يوم دون يوم وقيام نصف الليل كان شديد الخوف من
عذابه لا يزال باكيا فكيف كان هؤلاء مع افعالهم فان قيل كيف قال الملكان لما دخلا على داود عليه السلام
خصمان بغى بعضنا على بعض والملائكة لا يوجد منهم البغي والظلم وكيف قال ان هذا اخي له
تسع وتسعون نعجة الآية ولم يكن كما قال قلنا انما قاله ذكر على طريق الفرض والتصوير للمسألة
ومثله لا يعد كذبا كما يقول في تصوير المسائل زيد له اربعون شاة وعمرو له اربعون وانت
تشير اليهما مختلطان وحال عليها الحول كم تجب فيهما وليس لهما شيء ويقول لي اربعون شاة
ولك اربعون مختلطان فما كالشيء فان قيل كيف حكم داود على المدعى عليه بكونه ظالما قبل
ان سمع كلامه قلنا لم يحكم عليه الا بعد اعترافه كذا نقله السدي الا انه حذف ذكر
الاعتراف في القصة اختصارا لدلالة الحال عليه كما تقول العرب امرته بالتجارة فكسب
الاموال اي فاتجر فكسب الاموال فان قيل ما معنى تكرار الحب في قوله عليه السلام اني احببت حب
الخير وما معنى تعديته بعن وظاهره احببت حبا مثل حب الخير كما تقول احببت
حب زيد اي احببته حبا مثل حب زيد قلنا احببت في الآية بمعنى آثرت كما تقول
المخير بين الشيئين احببت هذا اي آثرته وقد جاء استحب بمعنى آثر قال الله تعالى
واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى اي آثروه لان من احب شيئا فهو فقد آثره
على غيره وعن بمعنى على كما في قوله تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فيصير المعنى اي آثرت
حب الخير على ذكر ربي الثاني وهو اختيار الجرجاني صاحب معاني القرآن اي احببت
بمعنى قعدت وتأخرت ماخوذ من احب البعير اذا برك وقف ومنه قول الاعرج

دعتك اليها مقلتاها وجيدها فملت كما مال المحب على عمد والمحب هنا الجمل والعمد
علة تكون في سنام الجمل وكل من ترك شيئا يجب ان يفعله وقد قعد عنه فتأويل الآية
اني قعدت عن ذكر ربي لحب الخير فيكون انتصاب حب على انه مفعول له
فان قيل كيف قال سليمان عليه السلام وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا يشبه الحسد
والبخل بنعم الله تعالى على عبيده بما لا يضره عليه السلام قلنا قال الحسن وعطاء تاويله
لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني في حياتي كما فعل الشيطان الذي لبس خاتمه وجلس على
كرسيه الثاني ان الله تعالى علم انه لا يقوم غيره من عباده بمصالح ذلك الملك واقتضت حكمته
تخصيصه به فالهمه ان يسأله تخصيصه به الثالث انه اراد بذلك ملكا عظيما فعبر عنه بتلك
العبارة ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل او من المال
وتريد بذلك عظم فضله او ماله وان كان في الناس امثاله فان قيل كيف قال تعالى في وصف ايوب عليه السلام
انا وجدناه صابرا مع ان الصبر هو ترك الشكوى من الم البلوى على ما قيل وهو قد شكا قلنا
الشكوى الى الله تعالى لا تنافي الصبر ولا تسمى جزعا لان فيها من اظهار الخضوع والعبودية
لله تعالى والافتقار اليه وتوبيده قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله مع قوله
فصبر جميل ومطلق الصبر ترك الشكوى يعني الى العباد الثاني انه عليه السلام انما طلب الشفاء من الله
تعالى بعدما لم يبق منه الا قلبه ولسانه خيفة على قومه ان يفتنهم الشيطان بما كان يوسوس
اليهم به ويقول انه لو كان ايوب نبيا لما ابتلي بما هو فيه ولدعا الى الله تعالى بكشف ضره وروي
انه قال عليه السلام في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم

يلهني ما ملكت عيني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعانا ولا كاسيا ومعي جائع او
عريان فكشف الله تع ضره فان قيل قوله تع وان عليك لعنتي الى يوم الدين يدل على ان غاية
لعنة الله تع لابليس هي يوم القيامة ثم تنقطع قلنا كيف تنقطع وقد قال تع فاذن
مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وابليس اظلم الظلمة ولكن مراده في الآية ان عليه اللعنة
في طول مدة الدنيا فاذا كان يوم القيمة اقترن له باللعنة من انواع العذاب ما ينسى عنده
اللعنة فكانها انقطعت **سورة الزمر** فان قيل كيف قال تع ان الله لا يهدي من هو كاذب
كفار وكم من كاذب قد هداه الله تع فاسلم وصدق قلنا معناه لا يهديه الى الايمان ما دام
على كفره وكذبه وقيل معناه لا يهديه الى حجة تلزم بها المؤمنين فان قيل كيف يصح قوله تع
لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء ردا لقول من ادعى ان له ولدا وابطالا
لذلك مع ان كل من نسب اليه ولدا قال انه اصطفاه من خلقه بجعله ولدا فاليهود
يدعون انه عزير عم والنصارى يدعون انه المسيح عم وطائفة من مشركي العرب
يدعون ان الملائكة بنات الله قلنا هذا ان جعل ردا على اليهود والنصارى كان معناه
لاصطفى الولد من الملائكة لا من البشر لان الملائكة اشرف من البشر بلا خلاف بين
اليهود ولا بين النصارى وان كان ردا على مشركي العرب كان معناه لاصطفى له ولدا
من جنس يخلق كل شيء يريده ليكون ولده موصوفا بصفته ولم يصطف من الملائكة
الذين لا يقدرون على ايجاد جناح بعوضة ولا يرد على هذا خلق عيسى عم الطير لانه
ليس بعام او لانه بمعنى التقدير من الطين ثم الله تع يخلقه حيوانا بنفخ عيسى عم

عيسى عم اظهارا للمعجزة فان قيل كيف قال تع خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وخلق حوا
من آدم عم سابق على خلقنا منه فكيف عطفه عليه بكلمة ثم قلنا ثم هنا للعطف في الاخبار
لا في الايجاد كما تقول لصاحبك اعطيتك اليوم كذا ثم اعطيتك امس اكثر منه اي ثم اخبرك بكذا
ومنه قول الشاعر ان من ساد ثم ساد ابوه ثم قد ساد قبل ذلك جده الثاني ان ثم متعلقة بمعنى
واحدة وعاطفة عليه لا على خلقكم فمعناه خلقكم من نفس وحدت وافردت بالايجاد ثم
شفعت بزوج الثالث ان ثم على ظاهرها لان الله تع خلق آدم ثم اخرج اولاده من ظهره
كالذر واخذ عليهم الميثاق ثم ردهم الى ظهره ثم خلق منه حواء فالمراد بقوله تع خلقكم خلقنا
يوم اخذ الميثاق دفعة واحدة لا هذا الخلق الذي نحن فيه الآن بالتوالد والتناسل
فان قيل كيف قال تع وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج مع ان الانعام مخلوقة في الارض لا
منزلة من السماء قلنا قيل ان الله تع خلق الازواج الثمانية في الجنة ثم انزلها على آدم عم
بعد انزاله الى الارض الثاني ان الله تع انزل الماء من السماء والانعام لا توجد الا بوجود
النبات والنبات لا يوجد الا بوجود الماء فكان الانعام منزلة من السماء ونظيره قوله تع
يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وانما انزل الماء الذي لا يوجد القطن
والكتان والصوف الا به فان قيل كيف قال تع في وصف الذين جاءوا بالصدق وصدق به
ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون مع انه سبحانه
وتعالى يكفر عنهم سيئ اعمالهم ويجزيهم بحسنها ايضا قلنا قد سبق مثل هذا السؤال وجوابه
في سورة التوبة فان قيل كيف قال تع قل لله الشفاعة جميعا مع انه جاء في الاخبار ان الانبياء

والعلماء والشهداء والاطفال شفاعة يوم القيمة قلنا معناه ان احدا لا يملكها الا بتمليكه كما
قال تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فان قيل كيف
ذكر الضمير في أوتيته وهو للنعمة في قوله تعالى اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته قلنا انما ذكره
نظرا الى المعنى لان معنى نعمة منا شيئا من النعم وقسما منها اولان النعمة والانعام بمعنى
واحد فان قيل كيف قال تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم والقرآن كله احسن قلنا
معناه واتبعوا احسن وحي او كتاب انزل اليكم من ربكم وهو القرآن كله وقيل احسن القرآن
الآيات المحكمات وقيل احسنه كل آية تضمنت امرا بطاعة واحسان وقد سبق نظير هذه
الآية في سورة الاعراف في قوله تعالى وأمر قومك يأخذوا باحسنها والاجوبة المذكورة ثم تصلح هنا
وكذا الاجوبة المذكورة هنا تصلح ثم الا الجواب الاول فان قيل كيف قال تعالى ولقد اوحي اليك
والى الذين من قبلك لئن اشركت مع ان الموحى اليهم جماعة وما اوحي الى من قبله لم يكن في
الوحي اليهم خطاب به قلنا معناه ولقد اوحي الى كل واحد منك ومنهم لئن اشركت الثاني ان فيه
اضمارا تقديره ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك التوحيد ثم ابتداء فقال لئن اشركت
الثالث ان فيه تقديما وتأخيرا تقديره ولقد اوحي اليك لئن اشركت وكذلك اوحي الى الذين
من قبلك فان قيل كيف عبر سبحانه عن الذهاب باهل الجنة والنار بلفظ السوق وفيه نوع
اهانة قلنا المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى
والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل والمراد بسوق اهل الجنة
سوق مراكبهم حثا واسراعا بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم

من الوافدين على السلطان فشتان ما بين السوقين فان قيل كيف قال تعالى في صفة
النار فتحت ابوابها بغير واو وقال في صفة الجنة وفتحت ابوابها بالواو قلنا فيه وجوه احدها
انها زائدة قاله الفراء وغيره الثاني انها واو الثمانية وابواب الجنة ثمانية الثالث انها واو
الحال معناه جاؤها وقد فتحت ابوابها قبل مجيئهم بخلاف ابواب النار فانها انما فتحت
عند مجيئهم والحكمة في ذلك من وجوه احدها ان يستعجل اهل الجنة الفرح والسرور
اذا رأوا الابواب مفتحة واهل النار يأتون النار وابوابها مغلقة ليكون اشد لحرها الثاني
ان الوقوف على الباب المغلق نوع ذل وهوان فصين عنه اهل الجنة لا اهل النار
الثالث ان الكريم يعجل المثوبة ويؤخر العقوبة فلو وجد اهل النار بابها مغلقا لاثر — الجنة
انتظار فتحه في كمال الكرم بخلاف اهل النار سورة المؤمن فان قيل كيف قال تعالى ما يجادل
في آيات الله الا الذين كفروا مع ان الذين آمنوا ايضا يجادلون فيها هل هي منسوخة ام محكمة
وهل فيها مجاز ام كلها حقيقة وهل هي مخلوقة ام قديمة وغير ذلك قلنا المراد الجدال فيها
بالتكذيب ودفعها بالباطل والطعن بقصد ادحاض الحق واطفاء نور الله تعالى ويدل
عليه قوله تعالى عقيبه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فان قيل ما فائدة قوله تعالى
في وصف حملة العرش ويؤمنون به ولا يخفى على احد ان حملة العرش يؤمنون بالله تعالى
قلنا فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء عليهم بالصلاح
والايمان في غير موضع من كتابه لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا
فان قيل في قوله تعالى ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا

اي اماتتين فالاولى ان خلقوا في اصلاب ابائهم امواتا والثانية عند انقضاء اجالهم

اي احياءتين الاولى قبل الخروج من البطن والثانية بعد الموت

الامانة قلنا هذا كما تقول سبحان من صغر جسم البعوض وكبر جسم الفيل وكما تقول للحفار ضيق
فم الركية ووسع اسفلها وليس فيهما نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من سعة
الى ضيق ولا من ضيق الى السعة وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته
ان الصغر والكبر جايزان معا على ذات المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق
والسعة فاذا اختار الصانع احد الجايزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع
عن الجايز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه فان قيل ما معنى قوله يوم هم بارزون والله لا يخفى عليه
منهم شيء برزوا او لم يبرزوا قلنا معناه لا يخفى على الله منهم شيء في اعمالهم ايضا فانهم كانوا
في الدنيا يتوهمون انهم اذا استتروا بالحيطان والحجب لا يراهم الله ويوبده قوله ولكن
ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فان قيل كيف قال المؤمن في حق موسى عليه السلام وان يك
صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم مع انه صادق في زعم القايل لهذا القول وفي نفس الامر
ايضا ويلزم من ذلك ان يصيبهم جميع ما وعدهم قلنا فيه وجوه احدها ان لفظ بعض صلة الثاني
انما بمعنى كل كما في قول الشاعر ان الامور اذا الاحداث دبرها دون الشيوخ ترى في بعضها
خللا ومنه قول لبيد او لم تكن تدرى نوار بانني وصال عقد حبايل جذامها تراك امكنة
اذا لم ارضها او يرتبط او يعتلق او يعتقى الى بعض النفوس حمامها قلت
ويحتمل ان نقول ان لفظ بعض في البيتين على حقيقتها وكنى لبيد ببعض النفوس
عن نفسه كانه قال اتركها الى ان اموت وكذا فسره ابن الانبارى على ان ابا عبيدة قال
ان بعضا في الآية بمعنى كل واستدل ببيت لبيد وانكر الزمخشرى على ابى عبيدة هذا التفسير

لا يخفى على الله منهم شيء
بيان وتقرير لبروزهم
في حق معالى صح

هذا التفسير على ان غير ابى عبيدة قد قال في قوله حكاية عن عيسى عليه السلام ولابين لكم بعض
الذى تختلفون فيه ان بعضا فيه بمعنى كل الثالث انه على اطلاقه في ذلك وجهان احدها
انه وعدهم النجاة ان آمنوا والهلاك ان كفروا فذكر لفظ بعض لانه على احد الحالين لا محالة
الثاني انه وعدهم على كفرهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة فكان هلاكهم في الدنيا بعضا
مما وعدهم يصبكم في الدنيا بعض الذى يعدكم الرابع انه ذكر البعض بطريق التنزل والتلطف
وامحاض النصيحة من غير مبالغة ولا تاكيد ليسمعوا منه ولا يتهموه فيردوا عليه وينسبوه
الى الميل ومحاباة لموسى عليه السلام كانه قال اقل ما يصيبكم البعض وفيه كفاية ونظيره قول الشاعر
قد يدرك المتانى بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل كانه قال اقل ما يكون
في التانى ادراك بعض المطلوب واقل ما يكون في الاستعجال الزلل فقد ابان فضل التانى على
العجلة بما لا يقدر الخصم على دفعه ورده والوجه الرابع هو اختيار الزمخشرى فان قيل
التولى والادبار واحد فما فايدة قوله يوم تولون مدبرين قلنا هو تاكيد كقوله فخر
عليهم السقف من فوقهم ونظايره الثاني انه استشارة لحميتهم واستجلاب لانفتهم لما في
لفظ مدبرين من التعريض بذكر الدبر فيصير نظير قوله ويولون الدبر فان قيل ما فايدة
التكرار في قوله لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات اى ابوابها وطرقها قلنا
اذا ابهم الشيء ثم اوضح كان تفخيما لشانه وتعظيما لمكانه فلما اراد تفخيم ما امل بلوغه من
اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها فان قيل مثل السيئة سيئة فما معنى قوله من
سيئة فلا يجزى الا مثلها قلنا معناه ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد

وهلا قال لعلى ابلغ اسباب
السموات صح

على المقدار المستحق فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب كما قال تعالى في آخر الآية
فإن قيل قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ينافي ذلك قلنا ذلك لمنع النقصان لا لمنع
الزيادة كما قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فإن قيل كيف قال وقال الذين في النار لخزنة جهنم
ولم يقل وقال الذين في النار لخزنتها قلنا لأن في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا وقيل إن جهنم
هي أبعد النار قعرا وخزنتها أعلى الملائكة الموكلين بالنار مرتبة فإنما قصدهم أهل النار
بطلب الدعاء منهم لذلك فإن قيل كيف قال المشركون بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا مع قولهم
هؤلاء الذين كنا ندعوا من دونك قلنا معناه أن الأصنام التي كنا نعبدها لم تكن
شيئا لأنها لا تضر ولا تنفع الثاني أنهم قالوه كذبا وجحودا كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
فإن قيل كيف قال تعالى وعلى الفلك تحملون ولم يقل وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين
اثنين قلنا معنى الوعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما صحيح في الفلك لأنه وعاء لمن يكون فيه
وحمولة لمن يستعليه فلما صح المعنيان استعملت العبارتان معا

سورة فصلت

فإن قيل ما فائدة زيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب مع أن المعنى حاصل بقوله
بيننا وبينك حجاب قلنا لو قيل كذلك لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين وأما زيادة
من فمعناه أن الحجاب ابتداؤه منا ومنك فالمسافة المتوسطة بيننا وبينك مستوعبة
بالحجاب لا فراغ فيها فإن قيل قوله أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين
إلى قوله فقضاهن سبع سموات في يومين يدل على أن السموات والأرض وما بينهما خلقت
في ثمانية أيام وقال في سورة الفرقان الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام

أيام فكيف التوفيق بينهما قلنا معنى قوله في أربعة أيام في تتمة أربعة أيام لأن اليومين اللذين
خلق فيهما الأرض من جملة الأربعة أو معناه كل ذلك في أربعة أيام يعني خلق الأرض وما ذكر
بعده فصار المجموع ستة وهذا لا خلاف فيه بين المفسرين فإن قيل السموات
وما فيها أعظم من الأرض وما فيها بأضعاف مضاعفة فما الحكمة في أن الله تعالى خلق الأرض وما
فيها في أربعة أيام والسموات وما فيها في يومين قلنا لأن السموات وما فيها من عالم الشهادة
والملك والخلق والأول أسرع من الثاني ووجه آخر وهو أنه تعالى فعل ذلك ليعلم أن الخلق على
سبيل التدريج والتمهل في الأرض وما فيها لم يكن للعجز عن خلقها دفعة بل كان لمصالح
لا تحصل إلا بذلك ولهذه الحكمة خلق العالم الأكبر في ستة أيام والعالم الأصغر وهو الإنسان
في ستة أشهر فإن قيل كيف قال تعالى في وصف أهل النار فإن يصبروا فالنار مثوى لهم مع أنهم
إن لم يصبروا على عذاب النار وجزعوا فالنار مثوى لهم أيضا قلنا فيه إضمار تقديره فإن
يصبروا أو لا يصبروا فالنار مثوى لهم على كل حال ولا ينفعهم الصبر في الآخرة كما ينفع في الدنيا
ولذا قيل الصبر مفتاح الفرج وقيل من صبر ظفر الثاني أن هذا جواب المشركين في حث
بعضهم لبعض على إدامة عبادة الأصنام أن امشوا واصبروا على آلهتكم فقال الله تعالى
فإن يصبروا أي على عبادة الأصنام في الدنيا فالنار مثوى لهم في العقبى فإن قيل كيف قال تعالى
قال تعالى في وصف الكفار ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون أي بأسوأ أعمالهم مع أنهم
يجزون بسيء أعمالهم أيضا قلنا قد سبق نظير هذا السؤال في آخر سورة التوبة والجواب
الأول هنا كذلك يصلح جوابا هنا فإن قيل ما فائدة قوله تعالى ولا للقمر بعد قوله لا تسجدوا للشمس

من عالم الغيب ومن عالم الملكوت والأرض وما فيها ح

وهو مستفاد من الاول بالطريق الاولى قلنا فائدته ثبوت الحكم باقوى الدليلين وهو النص

سورة الشورى

قوله ح

فان قيل كيف قال تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك بلفظ المضارع والوحي
الى من قبله ماض قلنا قال الزمخشري قصد بلفظ المضارع كون ذلك عادة وسنة لله تعالى
وهذا المعنى موجود في لفظ الماضي قلت ويحتمل ان يكون باعتبار وضع المضارع موضع الماضي كما في قوله
تعالى قل الله يحكم او ما حاضر واوحي الى الذين من قبلك فان قيل الى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى
يذرؤكم فيه قلنا معناه في هذا التدبير او في الجعل المذكور وقيل في الرحم الذي دل عليه ذكر
الازواج فان قيل كيف قال تعالى ليس كمثله شيء وظاهره يقتضي اثبات المثل ونفي مثل المثل كما تقول
ليس كذا او زيد ارجانه يقتضي وجود الاول لزيد قلنا فيه وجوه احدها ان المثل في لغة
العرب كناية عن الذات ومنه قولهم مثلك لا يقال له كذا ومثلك لا يليق به كذا فمعناه ليس كهو
شيء الثاني ان الكاف زائدة للتاكيد والمعنى ليس مثله شيء الثالث ان مثل زائدة فيصح
المعنى ليس كهو شيء كما قيل في الوجه الاول كناية عن الذات وفي الوجه الثالث زائدة مطرح
كانه لم يذكر فان قيل ما معنى قوله تعالى الا المودة في القربى ولم يقل الا مودة القربى اي القرابة
او الا المودة للقربى قلنا جعلوا محلا للمودة ومقرا لها للمبالغة كانه قال الا المودة
الثابتة المستقرة في القربى كما تقول لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد
فان قيل كيف قال تعالى ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة والدواب انما
هي في الارض فقط قلنا فيهما بمعنى فيها باعتبار اطلاق لفظ التثنية على المفرد كما في قوله
تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وهو الملح وقيل ان الملائكة لهم

لهم دبيب مع طيرانهم انما هم مبثوثون في السماء ونظيره قوله تعالى وما من دابة في الارض
فتقييده بالارض يدل على وجود الدابة في غير الارض من حيث المفهوم فان قيل كيف قدم
سبحانه الاناث على الذكور في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا الآية مع تقدمهم عليهن ثم رجع
فقدمهم عليهن ولم نكر الاناث وعرف الذكور قلنا انما قدم الاناث لان الآية سيقت
لبيان عظمة ملكه ونفاذ مشيئته وانه فاعل ما يشاء لا ما يشاء عبيده فكان ذكر الاناث
اللاتي من جملة ما لا يشاؤه عبيده اهم والاهم واجب التقديم فلما قدمهن واخر الذكور
لذلك المعنى تدارك تاخيرهم وهم احق بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه
وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المشهورين الذين لا يخفون
على احد ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتاخير فعرف ان تقديمهن
لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى آخر فقال تعالى ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من ذكر
وانثى وقال فجعل منه الزوجين الذكر والانثى فان قيل كيف قال تعالى ان الله مع كلم محمدا صلعم ليلة
المعراج مواجهة بغير حجاب ولا واسطة وقد حصر الله تعالى تكليمه للبشر في طريق
الوحي وهو الالهام كما كلم ام موسى عليه السلام والاسماع من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السلام وارسال
الرسول كما كلم الانبياء عليهم السلام بواسطة جبريل عليه السلام وكما كلم الامم بواسطة الرسل عليهم
السلام قلنا المراد بالوحي الاول هنا الاشارة ومنه قولهم وحي العين ووحي الحاجب اي
اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا فتكليمه لمحمد صلعم ليلة المعراج كان مواجهة بالاشارة
فان قيل في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان كيف ما كان يعلم الايمان قبل ان

يوحى اليه والايمان هو التصديق بوجود الصانع وتوحيده والانبياء كلهم كانوا مؤمنين
بالله مع قبل ان يوحى اليهم بادلة عقولهم فلعل المراد بالايمان هنا شرايع الايمان واحكامه
كالصلوة والصوم ونحوهما وقيل المراد به الكلمة التي بها دعوة الايمان والتوحيد وهي
لا اله الا الله محمد رسول الله والايمان بهذا التفسير انما علمه بالوحي لا بالعقل كما علم
الكتاب وهو القرآن به **سورة الزخرف** بان قيل كيف قال مع انا جعلناه
قرآنا عربيا ولم يقل قلناه او انزلناه والقرآن ليس بمجعول لان الجعل هو الخلق ومنه
قوله مع وجعل الظلمات والنور وقوله مع فجعل منه الزوجين الذكر والانثى فلعل الجعل
ايضا بمعنى القول ومنه قوله مع ويجعلون لله البنات وقوله مع وجعلوا لله اندادا اي قالوا
ووصفوا الا انهم خلقوا كذلك هنا فان قيل كيف قال مع واسأل من ارسلنا من قبلك
من رسلنا والنبي عليه السلام لم يلقهم ليسألهم فلعل فيه اضمار تقديره وسل اتباع من ارسلنا من
قبلك الثاني انه مجاز عن النظر في اديانهم والبحث عن مللهم هل فيها ذلك الثالث ان النبي
عليه السلام جمع له الانبياء عليهم السلام ليلة المعراج فلقيهم وامّهم في مسجد بيت المقدس فلما فرغ
من الصلوة نزلت عليه هذه الآية والانبياء حاضرون لديه فقال لا اسأل قد كفيت
وقيل انه خطاب له والمراد به امته فان قيل كيف قال مع وما نريهم من آية الا هي اكبر من
اختها يعني الآيات التسع التي جاء بها موسى عليه السلام فان كان المراد به ان كل واحدة منهن
اكبر مما سواها لزم ان يكون كل واحدة فاضلة ومفضولة وان كان المراد به ان كل واحدة
منهن اكبر من اخت معينة لها فايتها هي الكبرى وايتها هي الصغرى فلعل المراد

المراد بذلك انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه ونظيره بيت الحماسة
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري فان قيل كيف قال عيسى
عليه السلام لقومه ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه والنبي المبعوث الى امة يبين لهم كل
ما تختلفون فيه فلعل كانوا يختلفون فيما يعنيهم من امور الديانات وفيما لا يعنيهم من
امور الدنيا فكان يبين لهم الشرايع والاحكام خاصة وقيل ان البعض هنا بمعنى الكل
كما سبق في سورة المؤمن في قوله مع وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فان قيل
ما فائدة قوله مع وهم لا يشعرون بعد قوله مع بغتة اي فجاءة فلعل فائدته انها تأتيهم
وهم غافلون مشغولون بامور دنياهم كما قال تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم
وهم يخصمون فلولا قوله مع وهم لا يشعرون جاز ان تأتيهم بغتة وهم فطنون حاذقون
مستعدون لها فان قيل كيف وصف سبحانه اهل النار فيها بكونهم مبلسين والمبلس هو
الآيس من الرحمة والفرج ثم قال مع ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك فطلبوا الفرج بالموت
فلعل تلك ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف فيها احوالهم فيغلب عليهم
اليأس تارة فيبلسون ويشتد بهم من الم العذاب تارة فيستغيثون فان قيل قوله
تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله ظاهره يقتضي تعدد الآلهة لان النكرة اذا
اعيدت تعددت كقوله له علي درهم ودرهم وانت طالق وطالق ولهذا قال ابن
عباس نفى لن يغلب عسر يسرين فلعل الآله هنا بمعنى المعبود بالحق كانه قال تعالى
وهو الله في السموات وفي الارض فصار المعنى وهو الذي في السماء معبود وفي الارض

معبود والمغايرة ثابتة بين معبوديته في السماء ومعبوديته في الارض لان
المعبودية من الامور الاضافية فيكفي في تغايرها التغاير من احد الطرفين فاذا كان
العابد في السماء غير العابد في الارض صدق ان معبوديته في السماء غير معبوديته في
الارض مع ان المعبود واحد **سورة الدخان** فان قيل انكار النبي
عليه السلام ومنكري البعث انما كان في الحيوة بعد الموت لا في الموت فكيف قال تعالى ان هؤلاء
ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ولم يقل ان هي الا حيوتنا الدنيا كما قال تعالى في موضع آخر
ان هي الا حيوتنا الدنيا وما معنى وصف الموتة بالاولى كانهم وعدوا موتة اخرى حتى
نفوها وجحدوها واثبتوا الموتة الاولى قلنا لما وعدوا موتة تكون بعدها حياة نفوا
ذلك كانهم قالوا لا نقع في الصلوة موتة تكون بعدها حياة الا ما كنا فيه من حيوة العالم
وبعثنا منها الى حيوة الصلوة وقيل انهم نفوا بذلك الموتة الثانية في القبر بعد احيائهم
لسؤال منكر ونكير فان قيل كيف قال تعالى ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم والعذاب
لا يصب وانما يصب الحميم كما قال تعالى في موضع آخر يصب من فوق رؤسهم الحميم قلنا
هو استعارة لتكون الوعيد اهول واهيب ونظيره قوله تعالى فصب عليهم ربك سوط
عذاب وقوله تعالى افرغ علينا صبرا وقول العرب صبت عليهم صروف الدهر من صبيب
فان قيل كيف وعد الله تعالى لبس الاستبرق وهو غليظ الديباج مع ان لبس الغليظ
من الديباج عند السعداء من اهل الدنيا عيب ونقص قلنا كان رقيق ديباج
الجنة وهو السندس لا يماثل رقيق ديباج الدنيا الا في الاسم فقط فكذلك غليظ ديباج

ديباج الجنة والاستبرق لباس العبيد والخدم اظهارا لتفاوت المراتب فان قيل كيف
قال تعالى في وصف اهل الجنة لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى مع ان الموتة الاولى
لم يذوقوها في الجنة قلنا قال الزجاج والفراء الا هنا بمعنى سوى كما في قوله تعالى الا ما
قد سلف ومعناه الا ما تاويل الثاني ان الا بمعنى بعد كما قال بعضهم في معنى الا ما قد سلف الثالث
ان السعداء اذا حضرتهم الوفاة كشف لهم الغطاء وعرضت عليهم منازلهم ومقاماتهم في
الجنة وتلذذوا في حال النزع بروحها وريحانها فكانهم ماتوا في الجنة وهذا قول ابن قتيبة
سورة الجاثية فان قيل كيف طابق الجواب السؤال في قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى
يوم القيمة لا ريب فيه قلنا وجه المطابقة انهم الزموا بما هم مقرون به من ان الله تعالى
هو الذي احياهم اولا ثم يميتهم ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على جمعهم يوم القيامة
فيكون قادرا على احياء آبائهم فان قيل كيف اضاف الكتاب الى الامة واليه في قوله تعالى كل امة
تدعى الى كتابها ثم قال تعالى هذا كتابنا قلنا الاضافة يصح بادنى ملابسة وقد لابسهم
الكتاب بكون اعمالهم مثبتة فيه ولابسه بكونه مالكه وكونه آمر الملائكة ان يكتبوا فيه اعمالهم
سورة الاحقاف فان قيل كيف قال تعالى اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا مع ان
حسن ما عملوا يتقبل عنهم ايضا قلنا احسن بمعنى حسن وقد سبق نظيره في سورة الروم فان
قيل كيف قال تعالى في وصف الفريقين ولكل درجات مما عملوا مع ان اهل النار لهم دركات
لا درجات قلنا الدرجات هي الطبقات من المراتب مطلقا من غير اختصاص الثاني ان

فيه اضمار تقديره ولكل فريق درجات او دركات مما عملوا الا انه حذف اختصارا لدلالة الكلام
عليه فان قيل كيف طابق الجواب السؤال في قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال
انما العلم عند الله قلنا طابقه من حيث ان قولهم ذلك استعجال للعذاب الذي توعدهم به بدليل
قوله تعالى بعده بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم لي بوقت تعذيبكم بل الله هو العالم به
وحده فان قيل كيف قال تعالى في وصف الريح تدمر كل شيء بامر ربها وكم من شيء لم تدمره قلنا
معناه تدمر كل شيء مرت به من اموال قوم عاد واملاكهم فان قيل كيف قال يغفر لكم من
ذنوبكم ولم يقل يغفر لكم ذنوبكم قلنا لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كمظالم العباد ونحوها

سورة محمد عليه

فان قيل كيف قال كذلك يضرب الله للناس امثالهم ولم يسبق ضرب مثل قلنا
معناه كذلك يبين الله للناس امثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين وقيل اراد
به انه جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين او انه جعل
الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين فان قيل كيف قال في حق
الشهداء بعد ما قتلوا في سبيل الله سيهديهم والهداية انما تكون قبل الموت لا بعده قلنا
معناه سيهديهم الى محاجة منكر ونكير وقيل سيهديهم يوم القيمة الى طريق الجنة فان قيل
ما معنى قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار الى قوله كمن هو خالد في النار قلنا
قال الفراء معناه من كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار وقال غيره تقديره امثل الجنة
الموصوفة كمثل جزاء من هو خالد في النار فحذف منه ذلك كله ايجازا واختصارا فان قيل كيف
قال للنبي عليه فاعلم انه لا اله الا الله وهو عالم بذلك قبل ان يوحى اليه وبعده قلنا معناه اثبت

اثبت على ذكر العلم وقال الزجاج الخطاب له عليه والمراد به امته كما ذكرنا في اول سورة الاحزاب

سورة الفتح

فان قيل كيف جعل سبحانه فتح مكة علة للمغفرة فقال تعالى انا فتحنا لك فتحا
مبينا ليغفر لك الله قلنا لم يجعله علة للمغفرة بل لاجتماع ما وعده من الامور الاربعة وهي
المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز وقيل الفتح لم يكن اتمام النعمة
والنصر العزيز حاصلا وان كان الباقي حاصلا ويجوز ان يكون فتح مكة سببا للمغفرة من حيث
انه جهاد للعدو فان قيل قوله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ان كان المراد بما تاخر ذنبا تاخر
وجوده عن الخطاب بهذه الآية معدوم عند نزولها فكيف يغفر الذنب المعدوم وان كان
المراد به ذنبا وجد قبل نزولها فهو متقدم فكيف سماه متاخرا قلنا قيل المراد بما تقدم قصة
مارية وبما تاخر قصة امراة زيد وقيل المراد بما تقدم ما فرط منه قبل النبوة وبما تاخر ما فرط منه
بعدها وقيل المراد بما تقدم ما وجد منه وبما تاخر ما لم يوجد على معنى انه موعود بمغفرته
على تقدير وجوده او على معنى المبالغة كقولهم فلان يضرب من يلقاه ومن لا يلقاه يعني
يضرب كل احد كذا هذا معناه ليغفر لك الله كل ذنب وما قاله ان الذنب المتاخر متقدم
على نزول الآية وان كان متاخرا بالنسبة الى شيء آخر قبله او متاخرا عن نزولها وهو موعود
بمغفرته او على طريق المبالغة كما بينا فان قيل ما معنى قوله ويهديك صراطا مستقيما وهو
مهدي الى الصراط المستقيم ومهدي به امته ايضا قلنا معناه ويزيدك هدى وقيل
ويثبتك على الهدى وقيل معناه ويهديك صراطا مستقيما في كل امر تحاوله فان قيل كيف يقال
ان الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان وقد قال الله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم قلنا

الايمان الذى تعالى انه لا يقبل الزيادة والنقصان سوى الاقرار بوحدانية الله تعالى كما ان الاهلية
لا تقبل الزيادة والنقصان فاما الايمان بمعنى الامن او اليقين او التصديق فانه يقبلها
وسوق الآية بمعنى التصديق لانه بسبب السكينة التى هى الطمانينة ويزيد اليقين كلما
نزلت فريضة وشريعة صدقوا بها فازدادوا تصديقا مع تصديقهم فان قيل ما فائدة قوله
واهلها بعد قوله وكانوا احق بها قلنا قيل الضمير فى بها لكلمة التوحيد وفى اهلها للتقوى
فلا تكرار فان قيل ما وجه دخول التعليق بمشيئة الله فى اخباره سبحانه وتعالى فى قوله لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله قلنا فيه وجوه احدها ان ان بمعنى اذ كما فى قوله وذروا ما بقى من
الربا ان كنتم مؤمنين الثانى انه استثناء من الله فيما يعلم تعليما للعباد ان يستثنوا
فيما لا يعلمون الثالث انه على سبيل الحكاية لرؤيا النبى عم فانه رأى ان قائلا يقول له لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله آمنين الرابع ان الاستثناء متعلق بقوله آمنين فاما الدخول
فليس فيه تعليق فان قيل ما فائدة قوله لا تخافون بعد قوله آمنين قلنا معناه
آمنين فى حال الدخول لا تخافون عدوكم ان يخرجكم منه فى المستقبل فان قيل قوله ليغيظ
بهم الكفار تعليل لماذا قلنا لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وقوتهم كانه قال
انما كثرهم وقواهم ليغيظ بهم الكفار فان قيل كيف قال تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة واجرا عظيما وكل اصحاب النبى عم موصوفون بالايمان والعمل الصالح وبغيرها
من الصفات الجميلة التى ذكرها الله تع فى هذه الآية فما معنى التبعيض هنا قلنا
من هنا لبيان الجنس لا للتبعيض كما فى قوله تع فاجتنبوا الرجس من الاوثان

من الاوثان

سورة الحجرات

فان قيل كيف قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا والمراد به نهيهم عن
ان يتقدموا على رسول الله عم بقول او فعل لا ان يقدموا غيرهم قلنا قدم هنا لازم بمعنى تقدم كما فى قولهم
بين وتبين وفكر وتفكر ووقف وتوقف ومنه قول الشاعر اذا نحن سرنا سادات الناس
خلفنا وان نحن أومانا الى الناس وقفوا اى توقفوا وقيل معناه لا تقدموا فعلا قبل
أمر رسول الله عم فان قيل ما فائدة قوله ولا تجهروا له بالقول بعد قوله لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبى قلنا فائدته تحريم الجهر فى مخاطبته وان لم يتحقق رفع صوتهم
على صوته وهذا غير مستفاد من النهى الاول الثانى ان المراد بالثانى النهى عن مخاطبته باسمه
نحو قولهم يا محمد ويا احمد فهو امر لهم بتوقيره وتعظيمه فى مخاطبته وان يقولوا يا رسول الله
يا نبى الله ونحو ذلك ونظيره قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فان
قيل كيف قال تعالى ان تحبط اعمالكم اى مخافة ان تحبط اعمالكم مع ان الاعمال انما تحبط بالكفر لا
ورفع الصوت صح
بغيره من المعاصى فى مجلس النبى عم ليس بكفر كيف وقد روى ان الآية نزلت فى ابى بكر
وعمر رضى لما رفعا اصواتهما بين يدى رسول الله عم وروى انها نزلت فى ثابت بن
قيس بن شماس وكان جهورى الصوت فربما تأذى رسول الله عم بصوته قلنا
معناه لا تستخفوا به فان الاستخفاف به ربما ادى صاحبه الى الكفر وعند الكفر يحبط
العمل وقيل حبوط العمل هنا مجاز عن نقصان المنزلة وانحطاط المرتبة فان قيل ما وجه
الارتباط والتعلق بين قوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وبين ما قبله قلنا معناه
فاتركوا عادة الجاهلية فان الله تع لم يترككم عليها ولكن الله حبب اليكم الايمان وقيل

فتثبتوا في الامور كما يليق بالايمان فان الله حبب اليكم الايمان فان قيل ان كان الفسوق و العصيان
بمعنى واحد فما فائدة الجمع بينهما وان كان العصيان اعم من الفسوق فذكره مغن عن ذكر
الفسق لدخوله فيه فما فائدة الجمع بينهما قلنا قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالفسوق هنا
الكذب وبالعصيان بقية المعاصي وانما افرد الكذب بالذكر لانه سبب نزول الآية فان
قيل كيف قال ان الايمان والاسلام بمعنى واحد والله سبحانه وتعالى يقول قل لم تؤمنوا ولكن
قولوا اسلمنا قلنا المنفي هنا الايمان بالقلب بدليل قوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم يعني
لم تصدقوا بقلوبكم ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا وانقدنا خوف السيف ولا تنكر في
الفرق بين الايمان والاسلام بهذا التفسير والذي يدعي اتحادهما لا يريد به انهما
حيث استعملا كانا بمعنى واحد بل يريد به ان احد معاني الايمان هو الاسلام فان قيل
كيف قال ان العمل ليس من الايمان والله تعالى يقول انما المؤمنون الآية قلنا معناه
انما المؤمنون ايمانا كاملا كما في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله عليه السلام المسلم
من سلم المسلمون من لسانه ويده وقوله الرجل من يصبر على الشدائد ويرد على هذا الجواب
ان المنفي في اول الآية عن الاعراب نفس الايمان لا الايمان الكامل فلا يناسب ان يكون
المثبت بعد ذكر الايمان الكامل بل نفس الايمان

سورة ق

فان قيل اين جواب القسم
في قوله تعالى ق والقرآن المجيد قلنا فيه وجوه احدها انه مضمر تقديره انهم مبعوثون
بعد الموت الثاني انه قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم واللام محذوفة لطول الكلام
تقديره لقد علمنا كما في قوله تعالى قد افلح من زكاها الثالث انه قوله تعالى ما يلفظ من قول

من قول فان قيل كيف قال تعالى وحب الحصيد واراد به الحب الحصيد فاضاف الشيء
الى نفسه والاضافة تقتضي المغايرة بين المضاف والمضاف اليه قلنا معناه وحب الزرع
الحصيد او النبت الحصيد الثاني ان اضافة الشيء الى نفسه جائزة عند اختلاف اللفظين
كما في قوله تعالى حق اليقين وحبل الوريد ودار الآخرة ووعد الصدق فان قيل كيف قال
تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ولم يقل قعيدان وهو وصف للملكين اللذين سبق
ذكرهما بقوله اذ يتلقى المتلقيان قلنا معناه عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد
الا انه حذف احدهما لدلالة المذكور عليه كما قال الشاعر نحن بما عندنا وانت بما عندك
راض والرأي مختلف وقال آخر رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن اجل
الطوي رماني الثاني ان فعيلا يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع قال الله تعالى
والملائكة بعد ذلك ظهير وقيل انما لم يقل قعيدان رعاية لفواصل السورة فان
قيل كيف قال القيا والخطاب لواحد وهو مالك خازن النار قلنا فيه وجوه احدها
ما قاله المبرد ان تثنية الفاعل اقيمت مقام تثنية الفعل للتأكيد باعتبار اتحادهما حكما
كانه تعالى قال الق الق ونظيره قول امرئ القيس قفا نبك اي قف قف الثاني ان
العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على السنتهم خطاب الاثنين فقالوا
خليلي وصاحبي وقفا واسعدا او عوجا ونحو ذلك قال الفراء سمعت ذلك من
العرب كثيرا قال وانشدني بعضهم فقلت لصاحبي لا تحبسانا بنزع اصوله
واجتز شيحا فقال لا تحبسانا والخطاب لواحد بدليل قوله لصاحبي وقوله واجتز

قال الفراء وانشدني ابو ثروان فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا
ممنعا وقال امرؤ القيس خليلي مرا بي على ام جندب نقضي لبانات الفؤاد المعذب
ثم قال الم تراني كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وان لم تطيب الثالث انه امر للملكين
اللذين سبق ذكرهما بقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فان قيل كيف قال تعالى غير
بعيد ولم يقل غير بعيدة وهو وصف للجنة قلنا لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل
والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث او على حذف الموصوف اي مكانا غير بعيد
وكلا الجوابين للزمخشري فان قيل ما فائدة قوله تعالى غير بعيد بعد قوله تعالى ازلفت يعني قربت
قلنا فائدته التاكيد كقولهم هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل فان قيل كيف قال تعالى ان في
ذلك لذكرى لمن كان له قلب وكل انسان له قلب بل كل حيوان قلنا المراد بالقلب هنا
العقل كذا قاله ابن عباس رضي الله عنه قال ابن قتيبة لما كان القلب موضعا للعقل كنى به عنه
الثاني ان المراد لمن كان له قلب واع لان من لا يعي قلبه فكانه لا قلب له ويؤيده ذكر قوله
تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس الآية

سورة الذاريات

فان قيل كيف قال تعالى انما توعدون لصادق والصادق وصف الفاعل لا وصف الوعد قلنا
قيل صادق بمعنى مصدوق كعيشة راضية وماء دافق وقيل معناه لصدق فان المصدر
قد جاء على وزن اسم الفاعل كقولهم قمت قائما وقولهم لحقته اللائمة اي اللوم فان قيل
كيف قال تعالى ان المتقين في جنات وعيون والمتقون لا يكونون في الجنة في العيون قلنا
معناه انهم في الجنان والعيون الكثيرة محدقة بهم من كل ناحية وهم في مجموعها لا في كل

لا في كل عين ونظيره قوله تعالى ان المتقين في جنات ونهر لانه بمعنى انهار الا انه عدل عنها
رعاية للفواصل فان قيل كيف قال تعالى وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم اي في قرى
قوم لوط وقرى قوم لوط ليست موجودة فكيف توجد فيها العلامة قلنا الضمير في قوله تعالى
فيها عائد الى تلك الناحية والبقعة لا الى مداين قوم لوط الثاني انه عائد اليها ولكن في
بمعنى من كما في قوله تعالى ويوم نبعث في كل امة شهيدا وقوله تعالى وارزقوهم فيها ويؤيد هذا الوجه
مجيئه مصرحا به في سورة العنكبوت بلفظ من في قوله تعالى ولقد تركنا منها آية بينة لقوم
يعقلون ثم قيل الآية آثار منازلهم الخربة وقيل هي الحجارة التي ابقاها الله تعالى حتى ادركها
اوائل هذه الامة وقيل هي الماء الاسود الذي يخرج من الارض فان قيل كيف قال تعالى ومن
كل شيء خلقنا زوجين اي صنفين مع ان العرش والكرسي واللوح والقلم لم يخلق
منه الا واحد قلنا قيل معناه ومن كل حيوان خلقنا ذكرا وانثى وقيل معناه ومن كل شيء
تشاهدونه خلقنا صنفين كالليل والنهار والصيف والشتاء والنور والظلمة والخير
والشر والحياة والموت والبر والبحر والسماء والارض والشمس والقمر ونحو ذلك
فان قيل كيف قال تعالى هنا ففروا الى الله وقال سبحانه في موضع آخر ويحذركم الله نفسه قلنا
معنى قوله تعالى ففروا الى الله اي الجؤوا اليه بالتوبة وقيل معناه ففروا من عقوبته الى رحمته
ومعنى قوله سبحانه ويحذركم الله نفسه اي يخوفكم عذاب نفسه اي عقاب نفسه وقال الزجاج
معنى نفسه اياه كانه قال تعالى ويحذركم الله اياه كما قال يريدون وجهه اي اياه فظهر انه
لا تناقض بين الآيتين فان قيل كيف قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون

واذا خلقهم للعبادة كان مريدا لها منهم فكيف اراده منهم ولم توجد منهم قلنا فيه وجوه احدها انه عام اريد به الخاص وهم المؤمنون بدليل خروج البعض منه بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ومن خلق لجهنم لا يكون مخلوقا للعبادة الثاني انه عام عمومه والمراد بالعبادة التوحيد وقد وحده الكل يوم اخذ الميثاق وهذا الجواب يخص الانس لان اخذ الميثاق مخصوص بهم بالآية وقيل معناه الا ليكونوا عبيدا لي وقيل معناه الا ليذلوا لي ويخضعوا وينقادوا لما قضيته وقدرته عليهم فلا يخرج عنه احد منهم وقيل معناه الا ليعبدون ان اختاروا العبادة لا قسرا واكراها وقيل الا ليعبدون العبادة المرادة في قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها والعموم ثابت في الوجوه الخمسة فان قيل ما فائدة قوله تعالى وما اريد ان يطعمون بعد قوله ما اريد منهم من رزق قلنا معناه ما اريد منهم من رزق لانفسهم وما اريد ان يطعمون اي ان يطعموا عبيدي وانما اضاف تعالى الاطعام الى ذاته لان الخلق عياله وعبيده ومن اطعم عيال غيره فكانه اطعمه يؤيده ما جاء في الحديث الصحيح ان الله عز وجل يقول يوم القيمة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني اي استطعمتك عبدي فلم تطعمه **سورة والطور**

فان قيل كيف قال تعالى وزوجناهم بحور عين مع ان الحور العين في الجنة مملوكات ملك يمين لا ملك نكاح قلنا معناه قرناهم بهن من قولهم زوجت ابلي اي قرنت بعضها الى بعض وليس من التزويج الذي هو عقد النكاح ويؤيده انه ذكره متعدى بالباء بل بنفسه يقال زوجته امراة ولا يقال بامراة فان قيل كيف قال تعالى في وصف اهل الجنة

نعمت صح

اهل الجنة كل امرئ بما كسب رهين اي مرهون في النار بعمله قلنا قال الزمخشري كان كل عبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا اوبقها وقال غيره هذه جملة من صفات اهل النار وقعت معترضة في صفات اهل الجنة ويؤيده ما روي عن مقاتل انه قال معناه كل امرئ كافر بما عمل من الكفر مرتهن في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات فان قيل كيف قال تعالى في حق النبي عليه السلام فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون وكل احد غيره كذلك لا يكون كاهنا ولا مجنونا بنعمة الله تعالى قلنا معناه فما انت بحمد الله وانعامه عليك بالصدق والنبوة بكاهن ولا مجنون كما يقول الكفار وقيل الباء هنا بمعنى مع كما في قوله تعالى تنبت بالدهن وقوله تعالى فتستجيبون بحمده وتقول اكلت الخبز بالتمر اي معه فان قيل ما معنى الجمع في قوله تعالى فانك باعيننا قلنا معناه التفخيم والتعظيم والمراد بحيث نراك ونحفظك ونظيره في معنى العين قوله تعالى ولتصنع على عيني ونظيره في الجمع للتفخيم والتعظيم قوله تعالى تجري باعيننا وقوله تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما **سورة النجم** فان قيل الضلال والغواية واحد فما فائدة قوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى قلنا قيل ان بينهما فرقا لان الضلال ضد الهدى والغي ضد الرشد وهما مختلفان مع تقاربهما وقيل معناه ما ضل في قوله ولا غوى في فعله فلو ثبت اتحادهما معنى لكان يكون من باب التاكيد باللفظ المخالف مع اتحاد المعنى فان قيل كيف قال تعالى فكان قاب قوسين او ادنى واو كلمة الشك والشك محال على الله تعالى قلنا او هنا للتخيير لا للشك

كأنه قال ان شئتم فقدروا ذلك القرب بقاب قوسين وان شئتم فقدروه بادنى منهما وقيل معناه
بل ادنى وقيل هو خطاب لهم بما هو معهود بينهم وقيل هو تشكيك لهم لئلا يعلموا قدر ذلك
القرب ونظيره قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال قيل قوله تعالى افرايتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى من رؤية القلب لا من رؤية البصر فاين
مفعولها الثاني قلنا هو محذوف تقديره افرايتموها بنات الله وانداده فانهم كانوا
يزعمون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله فان قيل كيف قال تعالى الثالثة الاخرى صفة
الثالثة بالاخرى والعرب انما تصف بالاخرى الثانية لا الثالثة فظاهر اللفظ يقتضي
ان يكون قد سبق ثالثة اولى ثم لحقتها الثالثة الاخرى لتكون ثالثتان قلنا الاخرى
نعت للعزى تقديره افرايتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة لانها ثالثة
الصنمين في الذكر وانما اخر الاخرى رعاية للفواصل كما قال ولي فيها مآرب اخرى ولم يقل
اخر رعاية للفواصل فان قيل كيف قال تعالى وان الظن لا يغني من الحق شيئا اي لا يقوم
مقام العلم مع انه يقوم مقام العلم في صور القياس قلنا المراد به الظن الحاصل من
اتباع الهوى دون الظن الحاصل من النظر والاستدلال وهو بدليل قوله تعالى قبيل هذا
ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس فان قيل كيف قال تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى وقد صح في الاخبار وصول ثواب الصدقة والقراءة والحج وغيرها الى الميت
قلنا فيه وجوه احدها ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما انها منسوخة بقوله تعالى واتبعناهم
ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم معناه انه ادخل الابناء الجنة بصلاح الاباء قالوا

قالوا وهذا لا يصح لان الاية خبر ولا نسخ في الخبر الثاني ان ذلك مخصوص بقوم ابراهيم
وموسى وهو حكاية ما في صحفهما فاما هذه الامة فلها ما سعت وما سعى لها الثالث انه على ظاهره
ولكن دعا ولده وصديقه وقراءتها وصدقتهما عنه من سعيه ايضا بواسطة اكتسابه
للقرابة او الصداقة او المحبة من الناس بسبب التقوى والعمل الصالح فان قيل كيف قال
تعالى بعد تعديد النقم فباي الاء ربك تتمارى والالاء النعم قلنا انما قال سبحانه بعد
تعديد النعم والنقم والنقم نعم لما فيها من المزاجر والمواعظ فمعناه فباي نعم ربك
الدالة على وحدانيته تتشكك يا وليد بن المغيرة **سورة القمر** فان قيل
ما فائدة اعادة التكذيب في قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وهلا قال تعالى
كذبت قبلهم قوم نوح عبدنا قلنا معناه كذبوه تكذيبا بعد تكذيب وقيل التكذيب الاول
منهم بالتوحيد والثاني بالرسالة وقيل التكذيب الاول منهم لله تعالى والثاني لرسوله عليه السلام
فان قيل كيف قال تعالى في وصف ماء الارض والسماء فالتقى الماء ولم يقل فالتقى الماآن قلنا
اراد به جنس المياه الجزاء انما يكون للكافر لا للكفور قلنا قوله تعالى جزاء لمن كان كفر قلنا
جزاء مفعول له فمعناه ففتحنا ابواب السماء وما بعده فكان سبب اغراقهم جزاء لله
تعالى لانه مكفور به فحذف الجار واوصل الفعل بنفسه كما والاضافة في قوله والجزاء
يضاف الى الفاعل والى المفعول كسائر المصادر الثاني انه نوح عليه السلام لانه مكفور به فحذف
الجار كما مر من الكفر الذي هو ضد الايمان او لانها كل نبي نعمة من الله تعالى على قومه
ومنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال رجل للرشيد الحمد لله عليك فقال

قف

ما معنى هذا فقال انت نعمة حملك الله تعالى عليها فكانه قال جزاء لهذه النعمة المكفورة
وكفران النعمة يتعدى بنفسه قال الله تعالى ولا تكفرون الثالث ان من بمعنى ما فمعناه جزاء
لما كان كفر من نعمة الله تعالى على العموم وقرا قتادة كفر بالفتح اى جزاء للكافرين فان قيل
كيف قال تعالى اعجاز نخل منقعر اى منقلع ولم يقل منقعرة قلنا انما ذكر الصفة لان الموصوف
وهو النخل يذكر اللفظ ليس فيه علامة تانيث فاعتبر اللفظ وفى موضع آخر اعتبر المعنى
وهو كونه جمعا فقال اعجاز نخل خاوية ونظيرها قوله تعالى لآكلون من شجر من زقوم فمالئون
منها البطون فشاربون عليه من الحميم وقال ابو عبيدة النخل يذكر ويونث فجمع القرآن
اللغتين وقيل انما ذكر رعاية للفواصل **سورة الرحمن** فان قيل اى
مناسبة بين رفع السماء ووضع الميزان حتى قرن بينهما قلنا لما قصد بهذه السورة
تعديد نعمه تعالى على جملة ذكر من جملتها وضع الميزان الذى به نظام العالم وقوامه
لا سيما ان المراد بالميزان العدل فى قول الاكثرين فالقرآن فى قول والعقل فى قول وكل
ما تعرف به المقادير فى قول كالميزان والمكيال والذراع ونحوها فان قيل فما معنى قوله تعالى
ان لا تطغوا فى الميزان اى لا تجاوزوا فيه العدل مغنى عما بعده من الجملتين
فما فائدتها قلنا المراد بالطغيان فيه اخذ الزائد وبالاخسار فيه اعطاء الناقص
فامر بالتوسط الذى هو اقامة الوزن بالقسط ونهى عن الطرفين المذمومين
فان قيل كيف قال تعالى هنا خلق الانسان من صلصال وهو الطين اليابس كالفخار
اليابس الذى لم يطبخ ولكن له صلصلة اى صوت اذا نقر وقال تعالى فى موضع آخر

فى موضع آخر من صلصال من حمأ مسنون وقال تعالى من طين لازب وقال تعالى من تراب
قلنا الآيات كلها متفقة فى المعنى لانه تعالى خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا
فان قيل كيف قال تعالى رب المشرقين ورب المغربين فكرر ذكر الرب ولم يكرره فى سورة
المعارج بل افرده فقال تعالى فلا اقسم برب المشارق والمغارب وكذا فى سورة المزمل رب
المشرق والمغرب لا اله الا هو قلنا انما كرر ذكر الرب تاكيدا وكان التاكيد بهذا الموضع اليق
منه بذينك الموضعين لانه موضع الامتنان وتعديد النعم ولان الخطاب فيه مع جنسين
وهما الانس والجن فان قيل بعض الجمل المذكورة فى هذه السورة ليست من النعم كقوله تعالى كل من
عليها فان وقوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فكيف حسن الامتنان بعدها
بقوله تعالى فبأى آلاء ربكما تكذبان قلنا من جملة الآلاء دفع البلاء وتاخير العقاب فابقاء من
هو مخلوق للفناء نعمة وتاخير العذاب عن العصاة ايضا نعمة فلهذا امتن علينا بذلك
فان قيل كيف قال سنفرغ لكم ايها الثقلان والله تعالى لا يشغله شان قلنا قال الزجاج الفراغ
فى اللغة على ضربين احدهما الفراغ من شغل والآخر القصد للشى والاقبال عليه وهو تهديد
ووعيد ومنه قولهم سأتفرغ لفلان اى سأجعله قصدى فمعنى الآية سنقصد لحسابكم وعقابكم
فان قيل كيف وعد الخائف جنتين فقط قلنا لان الخطاب للثقلين فكانه قيل لكل خائفين
من الثقلين جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى وقيل المراد ان لكل خائف
جنتين جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصى وقيل جنة يثاب بها وجنة يتفضل بها
عليه زيادة لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة اى الجنة وزيادة فان قيل كيف قال تعالى

فيهن قاصرات الطرف وثم قال سبحانه فيهما والضمير للجنتين قلنا الضمير لمجموع الآلاء المعدودة
منها الجنتين والعينين والفاكهة وغيرها مما سبق ذكره وقيل هو للجنتين وانما جمعه لاشتمال
الجنتين على قصور ومنازل وقيل الضمير للمنازل والقصور التي دل عليها ذكر الجنتين وقيل
الضمير لمجموع الجنان التي دل عليها ذكر الجنتين وقيل الضمير عائد الى الفرش وهذا اقرب
وعلى هذا القول تكون في بمعنى على كما في قوله تعالى ام لهم سلم يستمعون فيه فان قيل كيف قال تعالى لم
يطمثهن انس قبلهم ولا جان اي لم يفتضهن ونساء الدنيا لا يفتضهن الجن ايضا فما فائدة
تخصيص الحور بذلك قلنا معناه ان تلك القاصرات الطرف انسيات للانس وجنيات
للجن فلم يطمث الانسيات انسي ولا الجنيات جني وفي هذه الآية دليل على ان الجن
يواقعون كما يواقع الانس وقيل فيها دليل على ان الجن يغشى الانسية في الدنيا

سورة الواقعة

فان قيل ما فائدة التكرار في قوله تعالى والسابقون السابقون قلنا
فيه وجهان احدهما انه تأكيد مقابل لما سبق من التأكيد في اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة
كأنه تعالى قال والسابقون هم المعروف حالهم المشهور وصفهم ونظيره قول ابي النجم انا ابو النجم
وشعري شعري الثاني ان معناه والسابقون الى طاعة الله هم السابقون الى رحمته وكرامته
ثم قيل المراد بهم السابقون الى الايمان من كل امة وقيل الذين صلوا الى القبلتين وقيل اهل
القرآن وقيل السابقون الى المساجد والى الخروج في سبيل الله وقيل هم الانبياء فهذه خمسة
اقوال فان قيل كيف قال تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون مع ان التخليد ليس صفة
مخصوصة بالولدان في الجنة بل كل اهل الجنة مخلدون فيها لا يشيبون ولا يهرمون بل

يبقى كل احد ابدا على صفته التي دخل الجنة عليها قلنا معناه انهم لا يتحولون عن شكل الولدان
وهيئة الوصافة وقيل مقرطون وقيل مسورون ولا اشكال على هذين القولين فان
قيل كيف قال تعالى لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم انث
ضمير الشجر ثم ذكره قلنا قد سبق جوابه في سورة القمر فان قيل كيف قال تعالى نحن خلقناكم فلولا
تصدقون اي فهلا تصدقون مع انهم مصدقون انه خلقهم بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من
خلقهم ليقولن الله قلنا هم وان كانوا مصدقين بالسنتهم الا انهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه
التصديق فكأنهم مكذبون به الثاني انه تحضيض على التصديق بالبعث بعد الموت بالاستدلال
بالخلق الاول فكأنه تعالى قال هو خلقكم اولا باعترافكم فلا يمتنع عليه ان يعيدكم ثانيا فهلا
تصدقون بذلك فان قيل كيف قال تعالى في الزرع لو نشاء لجعلناه حطاما باللام وقال تعالى في الماء
لو نشاء جعلناه اجاجا بغير لام قلنا الاصل ان تذكر اللام في الموضعين اذ لا بد منها في جواب
لو الا انها حذفت في الثاني اختصارا وهي منوية بدلالة الاولى عليها الثاني ان اصل هذه اللام
للتأكيد فذكرت مع المطعوم دون المشروب لان المطعوم مقدم وجودا ورتبة لانه انما
يحتاج الى الماء تبعا له ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب فلما كان الوعيد بفقد
المطعوم اشد واصعب اكده بذكر اللام مبالغة في التهديد فان قيل التسبيح التنزيه من
السوء فما معنى باسم في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم وهلا قال فسبح ربك العظيم قلنا فيه وجوه
احدها ان الباء زائدة والاسم بمعنى الذات فصار المعنى ما قلتم الثاني ان الاسم بمعنى الذكر
فمعناه فسبح بذكر ربك الثالث ان الذكر فيه مضمر فمعناه فاحدث التسبيح بذكر اسم ربك الرابع

قال الضحاك معناه فصلّ باسم ربك اي افتتح الصلوة بالتكبير فان قيل اذا كان القرآن صفة
من صفات الله تعالى قائمة بذاته المقدسة فكيف قال تعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون اي اللوح
المحفوظ او المصحف على اختلاف القولين قلنا معناه مكتوب في كتاب مكنون ولا يلزم
من كتابة القرآن في الكتاب ان يكون القرآن حالا في الكتاب كما لو كتب انسان على كفه الف دينار
لا يلزم منه وجود الف دينار في كفه وكذا لو كتب على كفه العرش او الكرسي وكذا قال
الله تعالى في صفة النبي صلعم يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل الثاني ان القرآن لو
كان حالا في المصحف فاما ان يكون جميعه حالا في مصحف واحد او في كل مصحف او في كل مصحف بعضه
لا سبيل الى الاول لان المصاحف كلها سواء في الحكم وفي كتابته فيها ولان البعض ليس
اولى بذلك من البعض ولا سبيل الى الثاني والا لزم تعدد القرآن وانه متحد ولا سبيل
الى الثالث لان كله مكتوب في كل مصحف ولان هذا المصحف ليس اولى بهذا البعض
من ذلك المصحف وكذا الباقي فثبت انه ليس حالا في شيء منها بل هو كلام الله تعالى وكلامه
صفة قديمة قائمة به لا تفارقه فان قيل فاذا لم تفارقه فكيف سماه منزلا وتنزيلا وقال
سبحانه نزل به الروح الامين ونظائره كثيرة واذا فارقه وباينه يكون مخلوقا لان
كل مباين له فهو غيره وكل ما هو غيره فهو مخلوق قلنا معنى انزاله انه سبحانه وتعالى علمه
جبرئيل فحفظه وامره ان يعلمه للنبي صلعم وامره ان يعلمه لامته مع انه لم يزل
ولا يزال صفة لله تعالى قائمة به لا تفارقه **سورة الحديد** فان قيل كيف
قال تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله ثم قال سبحانه ان كنتم مؤمنين قلنا معناه ان كنتم مؤمنين

مؤمنين بموسى وعيسى فان شريعتهما تقتضي الايمان بمحمد صلعم الثاني ان كنتم مؤمنين
بالميثاق الذي اخذه عليكم يوم اخرجكم من ظهر آدم عليه السلام الثالث ان معناه اي عذر لكم
في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقد
ركّب الله تعالى فيكم العقول ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وازاح عللكم فما لكم
لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين بموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه فان
قيل كيف قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ولم يذكر مع من لا يستوي
والاستواء لا يتم الا بذكر اثنين كقوله تعالى لا يستوي الخبيث والطيب لا يستوي اصحاب
النار واصحاب الجنة قلنا هو محذوف تقديره ومن انفق وقاتل من بعد الفتح وانما
حذف لدلالة ما بعده عليه فان قيل كيف قال ان اعلى الدرجات بعد درجة الانبياء
درجة الصديقين والله تعالى قد حكم لكل مؤمن بكونه صديقا بقوله تعالى والذين آمنوا
بالله ورسله اولئك هم الصديقون قلنا قال ابن مسعود ومجاهد كل مؤمن صديق
الثاني ان الصديق هو كثير الصدق وهو الذي كل اقواله وافعاله واحواله صدق فعلى هذا
يكون المراد به بعض المؤمنين لا كلهم وقد روي عن الضحاك انها نزلت في ثمانية نفر
سبقوا اهل الارض في زمانهم الى الاسلام وهم ابو بكر وعثمان وعلي وحمزة بن عبد المطلب
وطلحة والزبير وسعد وزيد والحق بهم عمر رضوان الله عليهم اجمعين فصاروا تسعة
فان قيل كيف وصف سبحانه هؤلاء بكونهم شهداء ومنهم من لا يقتل قلنا معناه ان
لهم اجر الشهداء الثاني انه جمع شهيد بمعنى شاهد فمعناه انهم شاهدون عند ربهم على انفسهم

بالاعان الثالث انه مبتدأ منقطع عما قبله لا معطوف عليه فمعناه والشهداء عند ربهم لهم
اجرهم ونورهم فان قيل كيف قال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم والمسابقة من المفاعلة التي
لا تكون الا بين اثنين كقولك سابق زيد عمرا قلنا قيل معناه سارعوا مسارعة المسابقين
لاقرانهم في الميدان ويؤيد هذا القول مجيئه بلفظ المسارعة في سورة آل عمران وقيل
سابقوا ملك الموت قبل ان يقطعكم بالموت عن الاعمال التي توصلكم الى الجنة وقيل سابقوا
ابليس قبل أن يصدكم بغروره وخداعه عن ذلك فان قيل كيف قال هنا وجنة عرضها
كعرض السماء والارض وقال في سورة آل عمران وجنة عرضها السموات والارض
فكيف يكون عرضها كعرض السماء الواحدة وكعرض السموات السبع قلنا المراد بالسماء
جنس السموات لا سماء واحدة كما ان المراد بالارض في الآيتين جنس الارضين فصار
التشبيه في الآيتين بعرض السموات السبع والارضين السبع فان قيل كيف قال تعالى لكيلا
تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ولا احد يملك نفسه عند مضرة تنالها ان لا يحزن ولا عند
منفعة تنالها ان لا تفرح ولهذا جمع كل واحد منا في ذلك الى نفسه قلنا ليس المراد بذلك
الحزن والفرح الذي لا ينفك عنه الانسان بطبعه قسرا وقهرا بل المراد به الحزن المخرج
لصاحبه الى الذهول عن الصبر والتسليم لامر الله تعالى ورجاء ثواب الصابرين والفرح
المطغي الملهي عن الشكر نعوذ بالله منهما فان قيل كيف قال تعالى وانزلنا معهم الكتاب
والميزان والميزان لم ينزل من السماء قلنا قيل المراد بالميزان هنا العدل وقيل العقل
وقيل السلسلة التي انزلها الله على داود عم وقيل هو الميزان المعروف انزله جبريل

جبريل عم فدفعه الى نوح عم وقال له مر قومك يزنوا به فان قيل كيف قال تعالى يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله مع ان المؤمنين يؤمنون برسوله قلنا معناه يا ايها
الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد فيكون خطابا لليهود والنصارى خاصة وعليه
الاكثرون وقيل معناه يا ايها الذين آمنوا يوم الميثاق اتقوا الله وآمنوا برسوله اليوم وقيل
معناه يا ايها الذين آمنوا بالله في العلانية باللسان اتقوا الله وآمنوا برسوله في السر بتصديق
القلب **سورة المجادلة** فان قيل لاي معنى خص تعالى الثلاثة والخمسة بالذكر في النجوى
دون غيرهما من الاعداد قلنا لان قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي على هذين العددين
مغايظة للمؤمنين فنزلت الآية على صفة حالهم تعريضا بهم وتسميعا لهم وزيد فيها ما تناول
متناجين غير ذلك بتكثير الطائفتين وهو قوله تعالى ولا ادنى من ذلك ولا اكثر فان قيل ما فائدة قوله
تعالى ويحلفون على الكذب وهم يعلمون قلنا فائدته الاخبار عن المنافقين انهم يحلفون
على انهم ما سبوا رسول الله صلعم واصحابه مع اليهود كاذبين متعمدين للكذب فهي اليمين الغموس
فكان ذلك نهاية في ذمهم **سورة الحشر** فان قيل كيف قال تعالى والذين تبوءوا الدار
والايمان من قبلهم والايمان ليس مكانا يتبوأ لان معنى التبوء اتخاذ المكان منزلا قلنا
فيه اضمار تقديره واخلصوا الايمان كقول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا اي وسقيتها ماء
باردا الثاني انه على ظاهره بغير اضمار ولكنه مجاز فمعناه انهم جعلوا الايمان مستقرا
ومستوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا دار الهجرة كذلك وهي المدينة فان
قيل كيف قال تعالى ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم وحرف الشرط انما يدخل على

ما يحتمل وجوه وعدمه قلنا معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم

لئن أشركت ليحبطن عملك وقوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا والله تعالى كما يعلم

ما يكون قبل كونه فهو يعلم ما لا يكون أنه لو كان كيف يكون فإن قيل ما معنى قوله تعالى للمؤمنين لأنتم

أشد رهبة في صدورهم من الله أي في صدور المنافقين أو اليهود على اختلاف القولين وظاهره

لأنهم أشد خوفا من الله فإن كان من الله متعلقا بأشد لزم ثبوت الخوف لله تعالى كما

تقول زيد أشد خوفا في الدار من عمرو وذلك محال وإن كان من الله متعلقا بالخوف

فأين الذي فضل عليه المخاطبون وأيضا فإن الآية تقتضي إثبات زيادة الخوف للمؤمنين

وليس المراد ذلك بالاتفاق المفسرين قلنا رهبة مصدر رُهِبَ مبنيه لما لم يسم فاعله فكأنه

قيل أشد مرهوبية يعني أنكم في صدورهم أَهْيَبُ من الله فيها كذا فسره ابن عباس رضي الله عنهما

ونظيره قولك زيد أشد ضربا في الدار من عمرو يعني مضروبية فإن قيل كيف يستقيم التفضيل

وهم ما كانوا يرهبون الله لأنهم لو رهبوه لتركوا النفاق والكفر قلنا معناه أن رهبتهم

في السر منكم أشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون للمؤمنين رهبة

شديدة من الله فإن قيل كيف قال إبليس إني أخاف الله وهو لا يخاف الله تعالى لأنه لو خافه

لما خالف أمره وأضل عبيده قلنا قد سبق هذا السؤال وجوابه في سورة الأنفال فإن قيل ما فائدة

تنكير النفس والغد في قوله تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد قلنا أما تنكير النفس

فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال ولتنظر نفس واحدة

في ذلك وأما تنكير الغد فلتعظيمه وإبهام أمره كأنه قال للغد لا يعرف

لا يعرف كنهه لعظمه فإن قيل كيف قال تعالى لغد وأراد به يوم القيامة والغد عبارة عن يوم

بينه وبيننا ليلة واحدة قلنا الغد له مفهومان أحدهما ما ذكرتم والثاني مطلق الزمان المستقبل

ومنه قول الشاعر وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمِ وأراد به مطلق الزمان

المستقبل كما أراد بالأمس مطلق الزمان الماضي فصار لكل واحد منهما مفهومان ويؤيده

أيضا قوله تعالى كأن لم تغن بالأمس وقيل إنما أطلق على يوم القيامة اسم الغد تقريبا له كقوله تعالى

اقتربت الساعة وقوله تعالى وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب فكأنه قال إن يوم القيامة

لقربه يشبه ما ليس بينكم وبينه إلا ليلة واحدة ولهذا روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الليلة

صبيحتها يوم القيامة قالوا أراد بتلك الليلة ليلة المبعث فإن قيل ما معنى قوله تعالى لو أنزلنا

هذا القرآن على جبل الآية قلنا معناه أنه سبحانه لو جعل في جبل على قساوته تمييزا كما جعل

في الإنسان ثم أنزل عليه القرآن لتشقق خشية من الله تعالى وخوفا أن لا يؤدي حقه

في تعظيم القرآن والمقصود توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة

القرآن وإعراضه عن تدبر قوارعه وزواجره فإن قيل ما الفرق بين الخالق والبارئ

حتى عطف تعالى أحدهما على الآخر قلنا الخالق هو المقدر لما يوجده والبارئ هو المميز

بعضه عن بعض بالأشكال المختلفة وقيل الخالق المبدئ والبارئ المعيد ٥

سورة الممتحنة

فإن قيل ماذا استثنى قوله تعالى إلا قول إبراهيم لأبيه قلنا

من قوله تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم لأنه سبحانه أراد بالأسوة الحسنة قوله الذي

حكاه عنه وعن أتباعه وأشياعه ليقتدوا به فيه ويتخذوه سنة يستنون بها

واستثنى استغفاره لابيه لانه كان عن موعدة وعدها اياه فان قيل فان كان استغفاره
لابيه او وعده لابيه بالاستغفار مستثنى من الاسوة فكيف عطف عليه قوله وما املك لك
من الله من شيء وهو لا يصح استثناؤه الا ترى الى قوله تعالى فمن يملك لكم من الله شيئا قلنا
المقصود بالاستثناء هو الجملة الاولى فقط وما بعدها ذكر لانه من تمام كلام ابرهيم عم لا بقصد
الاستثناء كانه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار فان قيل ما فائدة قوله ولا
يعصينك في معروف ومعلوم ان النبي صلعم لا يامر الا بمعروف فهلا اقتصر على قوله تعالى
ولا يعصينك قلنا فائدته سرعة تبادر الافهام الى قبح المعصية منه لو وقعت من
غير توقف الفهم على المقدمة التي اوردتم في السؤال سورة الصف فان قيل ما فائدة
قد في قوله وقد تعلمون اني رسول الله اليكم قلنا فائدتها التوكيد كانه قال وتعلمون علما
يقينا لا شبهة لكم فيه هذا جواب الزمخشري وقال غيره فائدتها التكثير لان قد مع الفعل
المضارع تارة تاتي للتقليل كقولهم ان الكذوب قد يصدق وتارة تاتي للتكثير كقول الشاعر قد
اعسف النازح المجهول معسفه في ظل اغضف تدعو هامه البوم وانما تمدح بما
يكثر وجوده منه لا بما يقل فان قيل كيف قال عيسى عم ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد ولم يقل محمد ومحمد اشهر اسماء النبي صلعم قلنا انما قال اسمه احمد لانه مذكور في
الانجيل بعبارة تفسيرها احمد لا محمد وانما كان كذلك لان اسمه في السماء احمد وفي الارض محمد
فنزل في الانجيل اسمه السماوي وقيل ان احمد ابلغ في معنى الحمد من محمد من جهة كونه
مبنيا على صيغة التفضيل الذي هو للتكثير فان قيل كيف قال تعالى فلما جاءهم بالبينات قالوا

قالوا هذا سحر مبين ولم يقل هذه والاشارة الى البينات وهي مؤنثة قلنا معناه هذا الذي
جئت به فالاشارة الى الاتي به فان قيل ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم
انصار الله بقول عيسى عم من انصاري الى الله قلنا التشبيه محمول على المعنى تقديره
كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى عم حين قال لهم من انصاري الى
الله سورة الجمعة فان قيل كيف قال تعالى فاسعوا الى ذكر الله والسعي العدو والعدو
الى الجمعة والى كل صلوة مكروه قلنا المراد بالسعي القصد وقال الحسن ليس هو السعي على
الاقدام ولكنه على النيات والقلوب ويؤيده قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى
وقول الداعي في دعاء القنوت واليك نسعى ونحفد وليس المراد به العدو والاسراع
بالقدم فان قيل كيف قال تعالى انفضوا اليها والمذكور شيئان اللهو والتجارة قلنا قد سبق
جواب هذا في سورة التوبة في قوله تعالى ولا ينفقونها في سبيل الله والذي نزيده هنا قال الزجاج
معناه واذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه
وقرا ابن مسعود انفضوا اليهما بضمير التثنية سورة المنافقين فان قيل ما فائدة قوله
تعالى والله يعلم انك لرسوله قلنا لو قال تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد
انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب وليس المراد ان شهادتهم هذه كذب بل المراد
انهم كاذبون في غير هذه الشهادة وقال اكثر المفسرين انه تكذيب لهم في هذه الشهادة لانهم
اضمروا خلاف ما اظهروا او لم يعتقدوا انه رسول الله بقلوبهم فسماهم كاذبين لذلك فعلى هذا
يكون ذكره تاكيدا فان قيل المنافقون ما زالوا على الكفر فكيف قال ذلك بانهم آمنوا

ثم كفروا قلنا معناه ذكر الكذب الذي حكم عليهم به او ذكر الاخبار عنهم بانهم ساء ما كانوا
يعملون بسبب انهم آمنوا بالسنتهم ثم كفروا بقلوبهم فطبع على قلوبهم كما قال تع في وصفهم
واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم الآية الثاني ان المراد به اهل
الردة منهم فان قيل كيف قال تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو ولم يقل هي العدو قلنا
عليهم هو ثاني مفعولي يحسبون تقديره يحسبون كل صيحة واقعة عليهم اي لجبنهم وهلعهم
فالوقف على قوله تعالى عليهم وقوله سبحانه هم العدو ابتداء كلام وقيل ان المفعول الثاني هو
قوله تعالى هم العدو ولكن تقديره يحسبون اهل كل صيحة عليهم هم العدو والاول اظهر
بدليل عدم نصب العدو **سورة التغابن** فان قيل كيف قال تعالى فمنكم كافر
ومنكم مؤمن قدم الكافر في الذكر قلنا الواو لا تعطي رتبة ولا تقتضي ترتيبا كما قال تعالى
فمنهم شقي وسعيد وقال تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وقال تع فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقال تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقد
ذكرنا في الآية الاخيرة معنى آخر في موضعها فان قيل قوله تع وتولوا واستغنى الله يوهم
وجود التولي والاستغناء معا بعد مجي رسلهم اليهم والله تعالى لم يزل غنيا قلنا معناه
وظهر استغناء الله عن ايمانهم وعبادتهم حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع
قدرته على ذلك فان قيل كيف قال تع ومن يؤمن بالله يهد قلبه مع ان الهداية سابقة على
الايمان لانه لولا سبق الهداية لما وجد الايمان قلنا ليس المراد به يهد قلبه للايمان بل
المراد به يهد قلبه لليقين عند نزول المصايب فيعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه

لم يكن ليصيبه الثاني يهد قلبه للرضى والتسليم عند نزول المصايب الثالث يهد
قلبه للاسترجاع عند نزول المصايب وهو ان يقول انا لله وانا اليه راجعون
الرابع يهد قلبه اي يجعله ممن اذا ابتلي صبر واذا انعم عليه شكر واذا ظلم غفر
الخامس يهد قلبه لاتباع السنة اذا صح ايمانه وقرئ يهدأ قلبه بفتح الدال والهمز من
الهدؤ وهو السكون فمعناه ومن يؤمن بالله ايمانا خالصا يسكن قلبه ويطمئن عند
نزول المصايب والمحن ولا يجزع ويقلق **سورة الطلاق** فان قيل كيف
قال تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء افرد الخطاب اولا ثم جمع ثانيا قلنا افرده سبحانه
النبي عليه السلام اولا بالخطاب لانه امام امته وقدوتهم لا اظهارا لتقدمه ورياسته وانه
وحده في حكم كلهم وساد مسد جميعهم الثاني ان معناه يا ايها النبي قل لامتك اذا طلقتم النساء
فان قيل كيف قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ونحن
نرى كثيرا من الاتقياء مضيقا عليهم رزقهم قلنا قيل معناه يجعل له مخرجا من
هموم الدنيا والآخرة وعن النبي عليه السلام انه قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت
ومن شدايد يوم القيمة وقال ابن عباس رض ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة
والصحيح ان هذه الآية عامة وان الله تعالى يجعل لكل متق مخرجا من كل ما يضيق
على من لا يتقي ولهذا قال النبي اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله
وجعل يقراها ويعيدها واما تضييق رزق الاتقياء فهو مع ضيقه وقلته ياتيهم
من حيث لا يأملون ولا يرجون وتقليله لطف بهم ورحمة ليتوفر حظهم في الآخرة

ويخفف حسابهم ولتقل عوائقهم وعلائقهم عن الاشتغال بمولاهم ولا يشغلهم الرضا والسعة
على خلقوا له من الطاعة والعبادة ولهذا اختار الانبياء والاولياء والصالحون الفقر
على الغنى فان قيل كيف قال تع ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي متى وثق به فيما نابه كفاه الله
تعالى ما اهمه وقد راينا كثيرا من الناس يتوكل على الله تع في بعض اموره وحوائجه ولا
يكفيه الله سبحانه همه قلنا معناه انه يتوكل على الله تع حق التوكل ولا يكفيه همه بل ربما
قلق وضجر واستبطاء قضاء حاجته بقلبه او بلسانه ايضا فقد توكله واليه الاشارة
بقوله تع ان الله بالغ امره اي نافذ حكمه يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب
وبقوله تع قد جعل الله لكل شيء قدرا اي جعل لكل شيء من الفقر والغنى والمرض والصحة
والشدة والرخاء ونحو ذلك اجلا ومنتهى ينتهي اليه لا يتقدم عنه ولا يتأخر فان قيل
كيف قال تع واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر علق
بشككنا مع ان عدتهن ذلك سواء وجد شكنا ام لا قلنا المراد ان اشكل عليكم عدة
الآيسة والصغيرة وانما علقه به لانه لما نزلت بيان عدة ذوات الاقراء في سورة البقرة
قال بعض الصحابة فقد بقي الكبار والصغار لا ندري كم عدتهن فنزلت هذه الآية على
هذا السبب فلذلك جاءت مقيدة بالشك والجهل فان قيل اذا كانت المطلقة طلاقا بائنا
تجب لها النفقة عند بعض العلماء فما فائدة قوله تع وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن
عند ذلك القائل قلنا فائدته ان لا يتوهم انه اذا طالت مدة الحمل بعد الطلاق
حتى مضت مدة عدة الحائل سقطت النفقة فنفى هذا الوهم بقوله تعالى حتى يضعن

حتى يضعن حملهن فان قيل كيف قال تع هنا سيجعل الله بعد عسر يسرا وقال سبحانه في موضع
آخر ان مع العسر يسرا فكيف التوفيق بينهما قلنا المراد بقوله تع معه بعده لان الضدين
لا يجتمعان فان قيل كيف قال تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها
حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فنسب العتو اليها وقال تعالى فحاسبناها و
عذبناها والعذاب المرتب على الحساب يكون في الآخرة لا في الدنيا قلنا معناه عتى
اهلها وانما جيء به على لفظ الماضي لتحققه وتقرره لان المنتظر من وعد الله ووعيده
آت لا محالة وما هو كائن فكأن قد كان ونظيره قوله تع ونادى اصحاب النار وما اشبهه
سورة التحريم فان قيل قوله تعالى وصالح المؤمنين ان كان المراد به الفرد فاي
فرد هو وايضا فانه لا يناسبه مقابلته الملائكة الذين هم جمع وان كان المراد به الجمع فهلا
كان مكتوبا في المصحف بالواو قلنا هو مفرد اريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الفعل
الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم وقوله تع ان الانسان
خلق هلوعا وقوله تع ان الانسان لفي خسر وقوله تع والملك على ارجائها وقوله تع ثم نخرجكم
طفلا ونظائره كثيرة الثاني انه يجوز ان يكون جمعا ولكنه كتب في المصحف بغير واو
على اللفظ كما جاءت الفاظ كثيرة على اللفظ دون اصلاح الخط فان قيل كيف قال تع
والملائكة بعد ذلك ظهير ولم يقل ظهراء وهو خبر عن الجمع وهم الملائكة قلنا
هو مفرد وضع موضع الجمع كما سبق الثاني انه اسم على وزن المصدر كالزميل والدبيب
والصليل فيستوي فيه الفرد والتثنية والجمع الثالث ان فعيلا يستوي فيه

الواحد والاثنان والجمع بدليل قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد فان قيل قوله بعد ذلك
تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله تعالى وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة
الله اعظم قلنا مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكانه فضل نصرته بهم على ساير
وجوه نصرته لفضلهم وشرفهم ولا شك ان نصرة جميع الملائكة اعظم من نصرة جبريل
وحده او بصالح المؤمنين فان قيل كيف قال تعالى عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا
منكن مسلمات مؤمنات الى اخر الآية فاثبت الخيرية لهن باتصافهن بهذه الصفات وانما
ثبتت لهن الخيرية بهذه الصفات لو لم تكن تلك الصفات ثابتة في نساء النبي عليه السلام وهي
ثابتة فيهن قلنا المراد به خيرا منكن في حفظ قلبه ومتابعة رضاه مع اتصافهن بهذه
الصفات المشتركة بينكن وبينهن فان قيل كيف قال اخليت الصفات كلها عن
الواو واثبتت بين الثيبات والابكار قلنا لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعان
فيهن اجتماع ساير الصفات فلم يكن بد من الواو ومن جعلها واو الثمانية فقد
سهى لان واو الثمانية لا يفسد الكلام بحذفها بخلاف هذه فان قيل هذه الصفات
انما ذكرت في معرض المدح فاي مدح في كونهن ثيبات قلنا الثيب ممدوح
من وجه فانها اقبل للحبل بالنقل واكثر تجربة وعقلا والبكارة مدح من
وجه فانها اطهر واطيب واكثر مداعبة وملاعبة فان قيل ما فائدة قوله تعالى ويفعلون
ما يؤمرون بعد قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم قلنا قيل المراد بالامر الاول
الامر بالعبادات والطاعات وبالامر الثاني الامر بتعذيب اهل النار وقيل

وقيل هو تاكيد فان قيل كيف قال تعالى توبة نصوحا ولم يقل سبحانه نصوحة قلنا لان فعولا من اوزان
المبالغة التي تستوي في لفظها الذكور والاناث كقولهم امراة صبور وشكور ونحوهما فان قيل ما فائدة
قوله تعالى من عبادنا بعد قوله تعالى كانتا تحت عبدين قلنا فائدته مدحهما والثناء عليهما باضافتهما
اليه اضافة التشريف والتخصيص كما في قوله تعالى وعباد الرحمن وقوله تعالى فادخلي في عبادي وهو
مبالغة في المعنى المقصود وهو ان الانسان لا ينفعه الا صلاح نفسه لا صلاح غيره وان
كان ذلك الغير في اعلى مراتب الصلاح والقرب من الله تعالى فان قيل كيف قال تعالى وكانت
من القانتين ولم يقل سبحانه من القانتات قلنا معناه وكانت من القوم القانتين
اي المطيعين لله تعالى يعني رهطها فكانه قال تعالى وكانت من بنات الصالحين وقيل
ان الله تعالى لما تقبلها في النذر واعطاها مرتبة الذكور الذي كان لا يصلح النذر الا به
عاملها معاملة الذكور في بعض الخطاب اشارة الى ذلك فقال واركعي مع الراكعين
وقال تعالى وكانت من القانتين

سورة الملك

فان قيل ما فائدة تقديم
الموت على الحيوة في قوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة قلنا انما قدم سبحانه الموت
لانه هو المخلوق اولا قال ابن عباس رضي الله عنه اراد به خلق الموت في الدنيا والحيوة في
الآخرة ولو سلم ان المراد به الحيوة في الدنيا فالموت سابق عليها لقوله تعالى وكنتم امواتا
فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فان قيل كيف قال تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت مع ان
في خلقه سبحانه تفاوتا عظيما فان الاضداد كلها من خلقه عز وجل وهي متفاوتة
والسموات ايضا متفاوتة في الصغر والكبر والارتفاع والانخفاض وغير ذلك

قلنا المراد بالتفاوت هنا الخلل والعيب والنقصان في مخلوقه الذي هو السموات
وتوتيده وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور اي شقوق وصدوع في السماء فان
قيل كيف قال تعالى ءامنتم من في السماء والله سبحانه وتعالى ليس في السماء ولا في غير السماء بل هو سبحانه
منزه عن كل مكان قلنا معناه من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته ومحل عرشه وكرسيه
واللوح المحفوظ ومنها تنزل اقضيته وكتبه واوامره ونواهيه الثاني انهم كانوا
يعتقدون التشبيه وانه تعالى في السماء فخوطبوا على حسب اعتقادهم

سورة النون

فان قيل كيف قال تعالى ولا يستثنون اي ولا يقولون ان شاء الله فسمى الشرط استثناء
قلنا انما سماه استثناء لانه في معناه فان معنى قولك لأخرجن ان شاء الله ولا اخرج
ان شاء الله واحد وقال عكرمة المراد به حقيقة الاستثناء اي انهم ولا يستثنون
حق المساكين والجمهور على الاول فان قيل كيف سمى اوسطهم الاستثناء تسبيحا فقال
الم اقل لكم لولا تسبحون اي لولا تستثنون قلنا انما سماه تسبيحا لالتقائهما في
معنى التعظيم لان الاستثناء تفويض اليه واقرار بانه لا يقدر احد ان يفعل
فعلا الا بمشيته سبحانه والتسبيح تنزيه له عن السوء الثاني انه كان استثناؤهم
قول سبحان الله الثالث ان معناه لولا تنزهون انفسكم واموالكم عن حق الفقراء
فان قيل كيف قال تعالى ويدعون الى السجود ولا تكليف في الدار الآخرة قلنا لا يدعون اليه
تكليفا وتعبدا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركه في الدنيا فان قيل كيف قال تعالى وقد كانوا
يدعون الى السجود وهم انما كانوا يدعون الى الصلوة فان المراد بالآية دعاؤهم الى الجماعات

الجماعات بالاذان والمؤذن انما يقول حي على الصلوة قلنا عبر عن الصلوة بالسجود لانه
من اركانها بل هو اعظم الاركان وغايتها كما عبر عنها بالركوع وبالقرآن فان قيل كيف قال تعالى
وهم سالمون اي صحيحون مع ان الصحة ليست شرطا لوجوب الصلوة قلنا وجوب
الخروج الى الصلوة بالجماعة مشروط بالصحة وهو المراد

سورة الحاقة

فان قيل كيف
قال تعالى بريح صرصر ولم يقل صرصرة كما قال عاتية وهو وصف لمؤنث لانها الشديدة
الصوت او الشديدة البرد قلنا لان الصرصر وصف مخصوص بالريح لا يوصف
به غيرها فاشبه باب حائض وطامث وحامل بخلاف عاتية فان غير الريح من الاسماء
المؤنثة يوصف به فان قيل كيف قال تعالى فترى القوم فيها صرعى اي في تلك الليالي والايام
والنبي عليه السلام ما رآهم فيها ولا اياهم فيها قلنا فيها ظرف لقوله صرعى لا لقوله فترى
والرؤية هنا من رؤية العلم والاعتبار فصار المعنى فتعلمهم صرعى في تلك الليالي والايام
باعلامنا حتى كانك شاهدتهم فان قيل كيف قال تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة الى قوله تعالى
يومئذ تعرضون والمراد بها النفخة الاولى وهي نفخة الصعق بدليل ما ذكر بعدها من
فك العالم العلوي والسفلي والعرض انما يكون بعد النفخة الثانية وبين النفختين
من الزمان ما شاء الله تعالى فكيف قال سبحانه يومئذ تعرضون قلنا جعل اليوم موضع
الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان وما بعدهما فان قيل كيف قال اني ظننت اني
ملاق حسابيه قلنا معناه تيقنت والظن يطلق بمعنى اليقين كما في قوله تعالى الذين

يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون فان قيل كيف قال تع في وصف اهل النار فليس
له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين وقال سبحانه في موضع آخر ليس لهم طعام الا من
ضريع وفي موضع آخر ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وفي موضع آخر ثم انكم ايها الضالون المكذبون
لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون وفي موضع آخر اولئك ما ياكلون في بطونهم الا
النار قلنا معناه الا من غسلين وما اشبهه او وضع الغسلين موضع كل طعام مؤذٍ كريه
الثاني ان العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين
ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم فان قيل كيف قال تع انه لقول رسول كريم
يعني ان القرآن قول جبرئيل عليه السلم مع انه قول الله تع لا قول جبرئيل قلنا الاكثرون على ان
المراد به النبي عليه السلم والمعنى انه يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله تع لا من تلقاء
نفسه كما تزعمون فان قيل كيف قال تع فما منكم من احد عنه حاجزين فوصف الفرد بالجمع قلنا
قد سبق مثل هذا السؤال وجوابه في آخر سورة البقرة

سورة المعارج

فان قيل كيف قال
تعالى ان الانسان خلق هلوعا وتفسيره ما بعده والانسان في حال خلقه ما كان موصوفا بهذه
الصفات قلنا هلوعا حال مقدرة والمعنى مقدرا فيه الهلع كما في قوله تع محلقين رؤسكم وهم
ليسوا محلقين حال الدخول فان قيل كيف قال تع اولا الذين هم على صلاتهم دائمون ثم قال
ثانيا والذين هم على صلوتهم يحافظون فهل بينهما فرق قلنا المراد بالدوام عليها المواظبة
والملازمة ابدا وقيل المراد به سكونهم فيها بحيث لا يلتفتون يمينا ولا شمالا واختاره

واختاره الزجاج وقال اشتقاقه من الدائم يعني الساكن كما جاء في الحديث انه عليه السلم نهى عن
البول في الماء الدائم قلت ويرد على هذا المعنى فانه لا يقال هو على صلوته ساكن
بل يقال هو في صلوته ساكن والمراد بالمحافظة عليها اداؤها على اكمل وجوهها لجميع سننها واذا
فالدوام يرجع الى نفس الصلوة والمحافظة الى احوالها

سورة النوح

فان قيل
كيف قال ويؤخركم الى اجل مسمى فان كان المراد به تأخيرهم عن الاجل المقدر لهم في الازل فهو
لا يلتئم مع قوله ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها وقوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر وان
كان المراد به تأخيرهم الى مجيء الاجل المقدر لهم في الازل فما فائدة تخصيصهم بهذا وهم وغيرهم
في ذلك سواء وعلى تقدير وجود الايمان منهم وعدمه وجهان قلنا معناه ويؤخركم عن العذاب
الى منتهى آجالكم على تقدير الايمان فلا يعذبكم في الدنيا كما عذب غيركم من الامم الكافرة
الثاني انه سبحانه قضى انهم ان آمنوا عمرهم الف سنة وان لم يؤمنوا اهلكهم بالعذاب
لتمام خمسمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى ذلك الاجل فان قيل كيف امرهم بالاستغفار
والاستغفار انما يصح من المؤمن دون الكافر قلنا معناه استغفروا ربكم من الشرك
بالتوحيد فان قيل كيف قال تع والله انبتكم من الارض نباتا والحيوان خلاف النبات فكيف
ينطلق على الحيوان انه نبات قلنا هو استعارة للانشاء والاخراج من الارض
بواسطة آدم عليه السلم فان قيل كيف دعا نوح عليه السلم على قومه بقوله ولا تزد الظالمين الا
ضلالا مع انه ارسل ليهديهم ويرشدهم قلنا انما دعا عليهم بذلك بعدما اعلمه الله تعالى
انهم لا يؤمنون فان قيل كيف قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ووصفهم بالفجور والكفر في

حال ولادتهم وهم اطفال فكيف علم انهم لا يلدون الا فاجرا كفارا قلنا معناه انهم لا يلدون الا من يفجر ويكفر اذا بلغ وانما ذكر علم باعلام الله سبحانه وتعالى

سورة الجن

قال قيل كيف قال تعالى وانه لما قام عبد الله ولم يقل سبحانه رسول الله او نبي الله والمراد به النبي صلعم قلنا لانه صلعم لم يكن في ذكر المقام مترسلا اليهم بل اتفق مروره به وجواز عليه فلو قال تعالى رسول الله او نبي لاوهم ذلك قصد اداء الرسالة فان قيل كيف قال تع قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا مع ان الامد اسم للغاية والغاية تكون زمانا قريبا وزمانا بعيدا ويؤيده قوله تع تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا قلنا اراد بالقريب الحال وبالمجعول له الامد المؤجل سواء كان الاجل قريبا او بعيدا

سورة المزمل

فان قيل ما معنى وصف القرآن بالثقل في قوله تع انا سنلقي عليك قولا ثقيلا قلنا فيه وجوه احدها انه كان يثقل نزول الوحي على النبي صلعم حتى يعرق عرقا شديدا في اليوم الشاتي الثاني ان العمل بما فيه من التكاليف ثقيل شاق الثالث انه ثقيل في الميزان يوم القيمة الرابع انه ثقيل على المنافقين الخامس انه كلام له وزن ورجحان كما يقال للرجل العاقل هو رزين راجح السادس انه ليس بسفساف لان السفساف من الكلام يكون خفيفا فان قيل كيف قال تع السماء منفطر به ولم يقل سبحانه منفطرة به والسماء مؤنثة قلنا هو على النسب اي ذات انفطار وقيل ذكر السماء على معنى السقف وقيل معناه السماء شيء منفطر به وقيل السماء يذكر ويؤنث فان قيل كيف قال تعالى والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه ولم يقل تعالى ان لن تحصوهما اي ان تعرفوا مقادير تحقيق ساعات الليل والنهار قلنا الضمير عائد الى المصدر تقديره معناه لن تحصوا التقدير ها

سورة المدثر

فان قيل ما فائدة قوله تع غير يسير بعد قوله سبحانه فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين قلنا قيل معناه انه عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا وقيل انه تاكيد فان قيل ما فائدة التكرار في قوله تعالى لا تبقي ولا تذر ومعناهما واحد قلنا معناه لا تبقي للكفار لحما ولا تذر لهم عظما وقيل معناه لا تبقيهم احياء ولا تذرهم امواتا فان قيل قال تع ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وما سبق من وصفهم بالاستيقان وازدياد الايمان دل على انتفاء الارتياب والحال كلها متعلقة بعدة خزنة النار فالمعنى ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ان ما جاء به محمد صلعم حق حيث اخبر عن عدة خزنة النار بمثل ما في التورية و يزداد الذين آمنوا من اهل الكتاب ايمانا بالنبي صلعم والقرآن حيث وجدوا ما اخبرهم به مطابقا لما في كتابهم قلنا فائدته التاكيد والتعريض ايضا بحال من عداهم من الشاكين وهم الكافرون والمنافقون فمعناه ولا يرتاب هؤلاء كما ارتاب اولئك فان قيل كيف قال تعالى ماذا اراد الله بهذا مثلا يعني حصر عدة الخزنة في تسعة عشر وذلك ليس بمثل قلنا هو استعارة من المثل المضروب لما وقع غريبا وبديعا في الكلام استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له والمعنى اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واي حكمة قصد في جعل الخزنة تسعة عشر لا عشرين الثاني ان المثل هنا بمعنى الصفة كما في قوله تع مثل الجنة التي وعد المتقون فالمعنى ماذا اراد الله بهذا

العدد صفة للخزنة فان قيل كيف طابق قوله ما سلككم في سقر وهو سؤال للمجرمين قوله
تعالى يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما المطابق الظاهر يسألون المجرمين ما سلككم
في سقر او يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر اي يسأل اهل الجنة بعضهم بعضا عن
اهل النار قلنا قوله ما سلككم ليس بيانا للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤولين
عن المجرمين فالمسؤولون من اهل الجنة القوا الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين
وذلك ان المؤمنين اذا اخرجهم الله تعالى من النار بعدما عذبهم بقدر ذنوبهم وادخلهم
الجنة سألهم بعض اصحاب اليمين عن حال المجرمين وسبب تخليدهم فقال المسؤولون
قلنا لهم ما سلككم في سقر الآية وهؤلاء المؤمنون بعد اخراجهم من النار وادخالهم
الى الجنة صاروا من اصحاب اليمين وقيل المراد باصحاب اليمين الملائكة وقيل الاطفال
لانهم لا يرتهنون بذنوب اذ لا ذنوب لهم

سورة القيمة

فان قيل ما معنى
قوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه والقارئ له على النبي صلعم انما هو جبرئيل قلنا معناه
فاذا جمعناه في صدرك ويؤيده اول الآية ان علينا جمعه وقرآنه اي ان علينا ضمه وجمعه
في صدرك فلا تعجل بقراءته قبل ان يتم حفظه وقيل انما اضيفت القراءة الى الله تعالى
لان جبرئيل يقرأه بامره كما تضاف الافعال الى الملوك والامراء بمجرد الامر مع ان
المباشر لها اعوانهم واتباعهم فان قيل كيف قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
والذي يوصف بالنظر الذي هو الابصار والادراك انما هو العين دون الوجه
قلنا قيل ان المراد بالوجوه هنا الكبراء واهل الوجاهة يوم القيمة لا الوجه الذي
هو العضو ولا ارى هذا الجواب مطابقا لقوله ووجوه يومئذ باسرة
لان العبوس والقطوب انما يوصف به الذي هو العضو ومما يؤيده ان
المراد بقوله ووجوه يومئذ ناضرة الاعضاء المعروفة قوله تعرف
في وجوههم نضرة النعيم فان قيل النطفة المني فما فائدة قوله الم يك نطفة
من مني يمنى قلنا النطفة استعملت هنا بمعنى القطرة لان النطفة
يطلق على الماء القليل والكثير ومنه الحديث حتى يسير الراكب
بين النطفتين لا يخشى جورا اراد نحو المشرق والمغرب

سورة هل اتى

فان قيل كيف قال من نطفة امشاج فوصف المفرد وهو
النطفة بالجمع وهو الامشاج لانه مشيج والامشاج الاخلاط والمراد انه مخلوق من
نطفة مختلطة من ماء الرجل والمرأة قلنا قال الزمخشري امشاج لفظ مفرد لا جمع
كقولهم برمة اعشار وبيت اكياس وبرد اهدام وقال غيره الموصوف به اجزاء
النطفة وابعاضها فان قيل كيف قال تعالى فجعلناه سميعا بصيرا والابتلاء متأخر
عن جعله سميعا بصيرا قلنا قال الفراء فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناه سميعا
بصيرا لنبتليه وقال غيره معناه ناقلين له من حال الى حال نطفة ثم علقة ثم مضغة
فسمى ذلك ابتلاء استعارة فان قيل كيف قال تعالى قوارير من فضة والقوارير
اسم لما يتخذ من الزجاج قلنا معناه ان تلك الاكواب مخلوقة من فضة وهي مع
بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها قال ابن عباس لو ضربت

بفضة الدنيا حتى جعلها مثل جناح الذباب لم ير الماء من ورائها وقوارير الجنة
من فضة وترى ما فيها من ورائها فان قيل ما معنى قوله تعالى كانت قوارير قلنا
معناه تكونت فهو من قوله تعالى كن فيكون وكذا قوله تعالى كان مزاجها
كافورا فان قيل كيف شبه تعالى الولدان باللؤلؤ المنثور قلنا لانه اراد
تشبيههم باللؤلؤ الذي لم يثقب بعد لانه اذا ثقب نقصت مائيته وصفاؤه
واللؤلؤ الذي لم يثقب لا يكون الا منثورا وقيل انما شبههم تعالى باللؤلؤ
بالمنثور لان اللؤلؤ على البساط احسن منظرا من المنظوم وقيل انما شبههم
سبحانه باللؤلؤ المنثور لانتشارهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وتفرقهم
في الخدمة بدليل قوله تعالى ويطوف عليهم ولو كانوا وقوفا صفا لشبهوا بالمنظوم
فان قيل كيف قال تعالى وحلوا اساور من فضة مع ان ذلك في الدنيا انما هو عادة الاماء
ومن في مرتبتهن قلنا القرآن اول من خوطب به العرب وكان من عادة
رجالهم ونسائهم من بيت المملكة التحلي بالذهب والفضة منفردين ومجتمعين
الثاني ان الاسم وان كان مشتركا بين فضة الدنيا والآخرة ولكن شتان بينهما
قال النبي عليه السلام مثقال من فضة الآخرة خير من الدنيا وما فيها وكذا الكلام في
السندس والاستبرق وغيرهما مما وعده الله تعالى في الجنة فان قيل اي شرف
لتلك الدار سقي الله تعالى عباده الشراب الطهور فيها مع انه في الدنيا سقاهم
ذلك بدليل قوله تعالى واسقيناكم ماء فراتا وقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء فاسقينا
كموه

فاسقيناكموه قلنا المراد به في الآخرة سقاهم بغير واسطة وشتان ما بين الشرابين
والآنيتين ايضا فان قيل قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا الضمير لمشركي مكة بلا خلاف
فما معنى تقسيمهم الى الآثم والكفور وكلهم آثم وكلهم كفور قلنا المراد بالآثم عتبة بن ربيعة
فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والمراد بالكفور الوليد بن المغيرة
فانه كان غاليا في الكفر شديد الشكيمة فيه مع ان كليهما كافر وآثم والمراد به نهيه عن
طاعتهم فيما كانوا يدعونه اليه من ترك الدعوة وموافقتهم فيما كانوا عليه من الكفر
والضلال فان قيل ما معنى النهي عن طاعة احدهما وهلا نهى عن طاعتهما قلنا قال
بعضهم ان او هنا بمعنى الواو كما في قوله تعالى او الحوايا الثاني انه لو قال تعالى ولا تطعهما لجاز
له ان يطيع احدهما واما اذا قيل ولا تطع احدهما كان منهيا عن طاعتهما بالضرورة فان قيل
كيف قال تعالى هنا وشددنا اسرهم اي خلقهم وقال تعالى في موضع آخر وخلق الانسان ضعيفا
قلنا قال ابن عباس رضي الله عنه والاكثرون المراد به انه ضعيف عن الصبر عن النساء فلذلك
اباح الله تعالى له نكاح الامة كما سبق قبل هذه الآية وقال الزجاج معناه انه يغلبه هواه
وشهوته فلذلك وصفه بالضعف واما قوله تعالى وشددنا اسرهم فمعناه ربطنا
اوصالهم بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل المراد بالاسر العصعص
فان الانسان في القبر يصير ترابا الا عصعصه فانه لا يتفتت وقال مجاهد المراد
بالاسر مخرج البول والغائط فانه يسترخي حتى يخرج منه الاذى ثم ينقبض
ويجتمع ويشتد بقدرة الله تعالى **سورة المرسلات** فان قيل قوله تعالى

هذا يوم لا ينطقون ينفي وجود الاعتذار منهم لان الاعتذار انما يكون بالنطق فما فايدة نفي الاعتذار بعد نفي النطق قلنا معناه انهم لا ينطقون ابتداء بعذر مقبول وحجة صحيحة ولا بعد ان يوذن لهم في ذلك فان الاسير والجاني الخايف قد لا ينطق لسانه بعذره وحجته ابتداء لفرط خوفه ودهشته ولكن اذا اذن له في اظهار عذره وحجته انبسط فانطلق لسانه فكانت الفايدة في الجملة الثانية نفي هذا المعنى اى لا ينطقون بعذر ابتداء ولا بعد الاذن فان قيل قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم يدل على وجود الاعتذار منهم فكيف التوفيق بينه وبين ما نحن فيه قلنا قيل المراد بتلك الآية الظالمون من المسلمين وبما نحن فيه الكافرون وآخر بكل الآية تضعيف هذا الجواب

سورة النبأ فان قيل كيف اتصل وارتبط قوله تعالى الم نجعل الارض مهادا بما قبله قلنا لما كان النبأ العظيم الذي يتساءلون عنه هو البعث والنشور وكانوا ينكرونه قيل لهم الم نخلق من وعد بالبعث والنشور هذه المخلوقات العظيمة العجيبة الدالة على كمال قدرته فما وجه انكاركم قدرته على البعث فان قيل لو كان النبأ العظيم الذي يتساءلون عنه ما ذكرتم لما قال تعالى الذي هم فيه مختلفون لان كفار مكة لم يختلفوا في البعث بل اتفقوا على انكاره قلنا كان فيهم من يقطع القول بانكاره وفيهم من يشك فيه ويتردد فثبت الاختلاف لان جهة الاختلاف لا تنحصر في الجزم باثباته والجزم بنفيه الثاني ان بعضهم صدق به فآمن وبعضهم كذب به فبقي على كفره فثبت الاختلاف بالاثبات والنفي الثالث ان الضمير في يتساءلون

في يتساءلون وفي هم عايد الى الفريقين من المسلمين والمشركين وكلهم كانوا يتساءلون عنه لعظم شانه عندهم فصدق به المسلمون واثبتوه وكذب به المشركون ونفوه فان قيل قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا ان كان قوله اتخذ الى ربه مآبا هو جزاء الشرط فاين الشرط وشاء لا يصلح شرطا لانه لا يفيد بدون ذكر مفعوله وان كان كل المذكور هو الشرط فاين الجزاء قلنا معناه فمن شاء النجاة من اليوم الموصوف اتخذ الى ربه مرجعا بطاعته الثاني ان معناه فمن شاء ان يتخذ الى ربه مآبا اتخذ كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

سورة النازعات فان قيل كيف قال تعالى والنازعات والناشطات بلفظ التانيث وكذا ما بعده والكل اوصاف للملايكة والملايكة ليسوا اناثا قلنا هو قسم بطوايف الملايكة وفرقها والطوايف والفرق مونثة فان قيل اضاف تعالى الابصار الى القلوب في قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة اى ذليلة لمعاينة العذاب والابصار للاعين بلا خلاف قلنا المراد ابصار اصحابها بدليل قوله تعالى يقولون فان قيل كيف قال تعالى فاراه الآية الكبرى مع ان موسى عليه السلام اراه الآيات كلها بدليل قوله تعالى ولقد اريناه آياتنا كلها وكل آياته كانت كبرى قلنا الاخبار في هذه الآية عن اول ملاقاته اياه وانما اراه في اول ملاقاته العصا واليد فاطلق عليهما الآية الكبرى لاتحاد معناهما وقيل اراد بالآية الكبرى العصا لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك فان

قيل كيف اضاف تعالى الليل الى السماء بقوله تعالى واغطش ليلها مع ان الليل انما يكون
في الارض لا في السماء قلنا انما اضافه اليها لانه اول ما يظهر عند غروب الشمس انما
يظهر من افق السماء من موضع الغروب واما قوله تعالى واخرج ضحاها فالمراد به ضوء
الشمس بدليل قوله تعالى والشمس وضحاها اي ضوءها فلا اشكال في اضافته اليها

سورة عبس

فان قيل كيف قال تعالى كلا انها تذكرة ثم قال سبحانه فمن شاء ذكره
ولم يقل ذكرها قلنا الضمير المؤنث لآيات القرآن او لهذه السورة والضمير في قوله
ذكره راجع الى القرآن وقيل انه راجع الى معنى التذكرة وهو الوعظ والتذكير لا الى
لفظها فان قيل في قوله تعالى وفاكهة وابا روي ان عمر رضي الله عنه قرأ هذه الآية وقال كل هذا
قد عرفناه فما الاب ثم قال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا عمر ان لا تدري ما الاب
ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه وهذا يشبه النهي عن تتبع
معاني القرآن والبحث عن مشكلاته قلنا لم يرد عمر ما ذكرت ولكن الصحابة رضي الله عنهم كانت
اكبر همهم عاكفة على العمل وكان الاشتغال بعلم لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان
الآية مسوقة في الامتنان على الانسان بطعمه واستدعاء شكره وقد علم من
فحوى الآية ان الاب بعض ما انبته الله تعالى للانسان متاعا له او لانعامه فكأنه
قال عليك بما هو الاهم وهو الشكر على ما تبين لك ولم يشتبه مما عدد من نعمه ولا
تشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص واكتف بمعرفته جملة
الى ان يتبين لك في وقت آخر وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الاب تعالى

فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله تعالى بما لا علم لي به واكثر
المفسرين قالوا الاب كل ما ترعاه البهائم

سورة التكوير

فان قيل كيف قال
تعالى واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت والسؤال انما يحسن من القاتل لا من
المقتول قلنا سؤال لتبكيت قاتلها وتوبيخه بما تقوله من الجواب فانها تقول
قتلت بغير ذنب ونظيره في التبكيت والتوبيخ قوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت
للناس حتى قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق فان قيل كيف قال تعالى علمت نفس
ما احضرت فاثبت العلم لنفس واحدة مع ان كل نفس تعلم ما احضرت يوم القيامة بدليل قوله
تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا قلنا هذا مما اريد به عكس مدلوله ومثله
كثير في كلام الله تعالى وكلام العرب كقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فان رب هنا
بمعنى كم للتكثير وقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام لقومه وقد تعلمون اني رسول الله اليكم وقول
ان عمر قد انزل القرآن مصغرا انا مثله كان اتوا به عجب بزجاد

سورة الانفطار

فان قيل لاي فائدة ذكر صفة الكريم دون سائر صفاته في قوله تعالى ما غرك
بربك الكريم قلنا قال بعض العلماء انما قال ذلك لطفا بعبده وتلقينا له حجته وعذره
ليقول غرني كرم الكريم وقال الفضيل لو سألني الله تعالى هذا السؤال لقلت غرني
ستورك المرخاة وروي ان عليا رضي الله عنه صاح بغلام له مرات فلم يلبه ثم اقبل فقال له ما لك
لم تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه ولهذا قالوا
من كرم الرجل سوء ادب غلمانه والحق ان الواجب على الانسان ان لا يغتر بكرم

الله تعالى وجوده في خلقه إياه واسباغه النعم الظاهرة والباطنة عليه فيعصيه
ويكفر نعمته اغترارا بتفضيله الأول فإن ذلك أمر منكر خارج عن حد الحكمة ولهذا قال
رسول الله صلعم لما قرأها غره جهله وقال عمر رضه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله
شيطانه الخبيث الذي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فإن ربك كريم فإن قيل
كيف قال تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والنفوس المقبولة الشفاعة تملك لمن تشفعت
فيه شيئا وهو الشفاعة قلنا المنفي ثبوت التصرف بالملك والسلطنة والشفاعة ليست بطريق
الملك والسلطنة فلا تدخل في النفي ويؤيده قوله تعالى والأمر يومئذ لله وقال مقاتل أراد بالنفس
الثانية الكافرة والأصح أنه على العموم في النفسين **سورة المطففين** فإن قيل هلا
قال تعالى إذا اكتالوا واتزنوا على الناس يستوفون كما قال سبحانه في مقابله وإذا كالوهم أو
وزنوهم يخسرون قلنا لأن المطففين كانت عادتهم أنهم لا يأخذون ما يكال ولا ما يوزن
إلا بالمكيال لأن استيفاء الزيادة بالمكيال كان أمكن لهم وأهون عليهم منه بالميزان وإذا
أعطوا كالوا ووزنوا لتمكنهم من البخس فيهما فإن قيل كيف فسر سبحانه سجينا بكتاب مرقوم
في قوله تعالى وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم وكذا فسر تعالى عليين به مع أن سجينا اسم للأرض
السابعة أو هو فعيل من السجن وعليين اسم للجنة أو لأعلى الأمكنة أو للسماء السابعة
أو لسدرة المنتهى قلنا قوله تعالى كتاب مرقوم وصف لكتاب الفجار ولكتاب الأبرار لا لسجين
وعليين بتقديره وهو كتاب مرقوم **سورة الانشقاق** فإن قيل أين جواب إذا
في قوله تعالى إذا السماء انشقت قلنا فيه وجوه أحدها أنه متروك لتكرر مثله في القرآن

في القرآن الثاني أنه أذنت الثانية والواو فيها زائدة الثالث أنه محذوف تقديره بعد
قوله تعالى وحقت بعثتم أو جوزيتم أو لاقيتم ما عملتم ودل على هذا المحذوف قوله تعالى فملاقيه
الرابع أن فيه تقديما وتأخيرا تقديره يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه إذا
السماء انشقت **سورة البروج** فإن قيل أين جواب القسم قلنا فيه
وجوه أحدها أنه متروك الثاني أنه قوله تعالى قتل أي لقد قتل أي لعن الثالث أنه قوله تعالى
إن بطش ربك لشديد الرابع أنه محذوف تقديره لتبعثن أو نحوه الخامس أنه قوله
تعالى إن الذين فتنوا **سورة الطارق** فإن قيل أين جواب القسم قلنا إن كل
نفس فإن بمعنى ما ولما بالتشديد بمعنى إلا فيكون المعنى ما كل نفس إلا عليها حافظ ولما
بالتخفيف ما فيه زائدة وإن هي المخففة من الثقيلة فيكون المعنى إن كل نفس لعليها
حافظ والقسم يتلقى بهما وبإن فإن قيل ما وجه ارتباط قوله تعالى فلينظر الإنسان بما قبله قلنا
وجهه أنه لما ذكر سبحانه أن على كل نفس حافظا أتبعه بوصية الإنسان بالنظر في أول أمره
ونشأته الأولى ليعلم أن من أنشأه قادر على إعادته ومجازاته فيعمل ليوم الإعادة
والجزاء فلا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته فإن قيل ما فائدة الجمع بين مهل وأمهل
ومعناهما واحد قلنا التأكيد وإنما خولف بين اللفظين طلبا للخفة **سورة الأعلى**
فإن قيل كيف قال تعالى فذكر إن نفعت الذكرى مع أنه كان مأمورا بالذكرى نفعت أو لم تنفع
قلنا معناه إذ نفعت وقيل معناه قد نفعت وقيل معناه إن نفعت وإن لم تنفع
فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه وذكر الماوردي أنها بمعنى ما دام كأنه أراد

ما الظرفية وان بمعنى ما الظرفية ليس بمعروف فان قيل كيف قال تعالى لا يموت فيها
ولا يحيى مع ان الحيوان لا يخلو عن الاتصاف باحد هذين الوصفين قلنا معناه
لا يموت موتا يستريح به ولا يحيى حياة ينتفع بها وقال ابن جرير تصعد نفسه الى الحلقوم
ثم لا تفارقه فيموت ولا ترجع الى موضعها من الجسم فيحيى

سورة الغاشية

فان قيل كيف قال تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية مع ان جميع
ابدانهم ايضا تصلى النار قلنا يطلق ويراد به جميع البدن كما في قوله تعالى وعنت الوجوه
للحي القيوم وقيل المراد بالوجوه هنا الاعيان والرؤساء كما يقال هؤلاء وجوه القوم ويا
وجه القوم اي يا وجيههم ويؤيد هذا القول ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال المراد به
الرهبان واصحاب الصوامع فان قيل كيف ارتبط قوله تعالى افلا ينظرون الى الابل
بما قبله واي مناسبة بين الابل والسماء والجبال والارض حتى جمع بينها قلنا لما
وصف الله تعالى ما وصف عجب منه الكفار فذكرهم غرائب صنعه وقال قتادة لما ذكر
ارتفاع سرر الجنة قالوا كيف نصعدها فنزلت هذه الآية افلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار
كيف خلقت للنهوض بالاثقال وحملها الى البلاد البعيدة وجعلت تبرك حتى تحمل
وتركب عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت فليس في الدواب ما يحمل وهو بارك
ويطيق النهوض الا هي وسخرت لكل من قادها حتى الصبي الصغير ولما جعلت
سفاين البر اعطيت الصبر على احتمال العطش عشرة ايام فصاعدا وجعلت ترعى
كل نبات في البراري والمفاوز مما لا ترعاه ساير البهائم وانما لم يذكر الفيل والزرافة

والزرافة والكركدن وغيرها مما هو اعظم من الجمل لان العرب لم يروا شيئا من ذلك
ولا كانوا يعرفونه ولان الابل كانت انفس اموالهم واكثرها لا تفارقهم ولا
يفارقونها وانما جمع بينها وبين ما بعدها لان نظر العرب قد انتظم هذه الاشياء في
اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم وكثرة ملابستهم ومخالطتهم
ومن فسر الابل بالسحاب فانما قصد بذلك طلب المناسبة بطريق تشبيه الابل بالسحاب
في السير وفي الشكل ايضا في بعض الاوقات لا انه اراد ان الابل من اسماء السحاب
حقيقة وقد جاء في اشعار العرب تشبيه السحاب بالابل كثيرا وقد شبهها ابن دريد
ايضا بالسحاب في قصيدته وقرا ابي بن كعب وعائشة الابل بتشديد اللام قال
ابو عمرو وهو اسم للسحاب الذي يحمل الماء

سورة الفجر

فان قيل كيف نكر
سبحانه الليالي العشر دون ساير ما اقسم به وهلا عرفها تعالى بلام العهد وهي ليال
معلومة معهودة فانها ليالي عشر ذي الحجة في قول الجمهور قلنا لانها مخصوصة من
بين جنس الليالي العشر بفضيلة ليست لغيرها فلم يجمع بينها وبين غيرها بلام الجنس
وانما لم تعرف بلام العهد لان التنكير ادل على التفخيم والتعظيم بدليل قوله تعالى والحكم
آية واحدة ونظيره قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد فعرفه ثم قال ووالد منكرا والمراد
به آدم او ابراهيم او محمد عليهم السلام ولان الاحسن ان يكون الآيات كلها متجانسة
ليكون الكلام ابعد عن الالغاز والتعمية وهي للباقي للجنس فان قيل كيف
ذم تعالى الانسان على قوله ربي اكرمن مع انه صادق فيما قال لان الله تعالى اكرمه

بدليل قوله تعالى فاكرمه ونعمه كيف وان هذا تحدث بالنعمة مامور به قلنا المراد به انه
يقول ذلك مفتخرا به على غيره و متطاولا به عليه ومعتقدا استحقاق ذلك على ربه كما في
قوله انما اوتيته على علم عندى ومستدلا به على علو منزلته في الدار الآخرة وكل ذلك منهى
عنه فاما اذا قاله على وجه الشكر والتحدث بنعمة الله فليس بمذموم ولا منهى عنه فان
قيل كيف قال تعالى في الجملة الاولى فاكرمه ولم يقل في الجملة الثانية فاهانه قلنا لان بسط الرزق
اكرام لانه انعام وافضال من غير سابقة وقبضه ليس باهانة لان ترك الانعام والافضال
لا يكون اهانة بل هو واسطة بين الاكرام والاهانة فان المولى قد يكرم عبده وقد يهينه
وقد لا يكرمه ولا يهينه وتضييق الرزق ليس الا عبارة عن ترك اعطاء القدر
الزايد الا ترى انه يحسن ان يقول زيد اكرمنى اذا اهدى لك هدية ولا يحسن ان
يقول اهاننى اذا لم يهد لك فان قيل كيف قال تعالى وجاء ربك والحركة والانتقال على الله تعالى
محال لانها من خواص الكاين في جهة قلنا قال ابن عباس في معناه وجاء امر ربك
لا في القيامة تظهر جلايل آيات الله تعالى ونظيره قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الملائكة
او ياتى ربك وقيل معناه وجاء ظهور ربك لضرورة تقوم مقام ظهوره ورؤيته فمعناه
زالت الشكوك وارتفعت الشبه كما ترتفع عند مجئ الشئ الذى كان يشك فيه
سورة البلد فان قيل كيف قال تعالى وما ولد ولم يقل ومن ولد قلنا
لان فى ما من الابهام ما ليس فى من فقصد به التفخيم والتعظيم كانه تعالى قال واى
شئ عجيب غريب ولد ونظيره قوله تعالى والله اعلم بما وضعت سورة والشمس

فان قيل كيف نكر تعالى النفس دون ساير ما اقسم به قلنا لانه لا سبيل الى لام الجنس
لان نفوس الحيوانات غير الانسان خارجة عن ذلك بدليل قوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها
ولا سبيل الى لام العهد لان المراد ليس نفسا واحدة معهودة وعلى قول من قال ان المراد بها
نفس آدم عليه السلام فالتنكير للتفخيم والتعظيم كما سبق فى سورة الفجر فان قيل اين جواب
القسم قلنا قال الزجاج وغيره انه قوله تعالى قد افلح وحذف اللام لطول الكلام وقال
ابن الانبارى جوابه محذوف قال الزمخشرى تقديره ليدمدمن الله على اهل مكة لتكذيبهم
رسول الله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام قال واما قد افلح من زكاها فكلام
تابع لما قبله على طريق الاستطراد وليس من جواب القسم فى شئ فان قيل كيف
قال تعالى لا يصلاها الا الاشقى مع ان الشقى ايضا يصلاها اى يقاسى حرها وعذابها قلنا
قال ابو عبيدة الاشقى هنا بمعنى الشقى والمراد به كل كافر والعرب تستعمل افعل
فى موضع فاعل ولا تريد به التفضيل ومنه قوله تعالى وهو اهون عليه والشواهد على ذلك فى سورة
الروم فى قوله تعالى وهو اهون عليه وقال الزجاج هذه نار موصوفة معينة فهى دركة
مخصوصة ببعض الاشقياء ورد عليه ذلك بقوله تعالى وسيجنبها الاتقى والاتقى
يجنب انواع نار جهنم كلها والمراد بالاتقى هنا ابو بكر رضى الله عنه باجماع المفسرين ولهذا
قال الزمخشرى ان الاشقى ليس بمعنى الشقى بل هو على ظاهره والمراد به ابو جهل
او امية بن خلف فالآية واردة للموازنة بين حالتى اعظم المؤمنين واعظم
المشركين فبولغ فى صفتيهما المتناقضتين وجعل هذا مختصا بالصلى كان

٧ سورة والليل
م

النار لم يخلق إلا له لو فود نصيب منها وجاء مولاه تعالى وسيجنبها الاتقى على موازنة ذكره ومقابلته
مع ان كل تقى يجنبها قال بعض العلماء هذه الآية تدل على ان ابا بكر رضه افضل الصحابة رضه
لانه وصفه بالاتقى وقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم واذا كان اكرم عند الله كان افضل

سورة والضحى قال قيل وصفه عم بالضلال وبين تعالى انه لا يكون ضالا اى
كافرا لا قبل النبوة ولا بعدها والضال اكثر ما ورد في القرآن بمعنى الكافر قلنا
المراد به هنا انه تعالى وجده ضالا عن معالم النبوة واحكام الشريعة فهداه اليها
هذا قول الجمهور الثاني انه ضل وهو صغير في شعاب مكة فرده الله تعالى الى جده
عبد المطلب الثالث ان معناه ووجدك ناسيا فهداك الى الذكر لان الضلال جاء
بمعنى النسيان ومنه قوله تع ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى فان قيل لو كان
الضلال بمعنى النسيان لما جمع بينهما في قوله تع لا يضل ربي ولا ينسى قلنا لا ندعى
انه حيث ذكر كان بمعنى النسيان فهو في تلك الآية بمعنى الخطاء وقيل بمعنى الغفلة
الرابع ان معناه ووجدك جاهلا فعلمك فان قيل كيف من سبحانه عليه باخراجه
من الفقر الى الغنى بقوله تع ووجدك عائلا فاغنى اى فقيرا والعائل الفقير سواء كان
له عيال او لم يكن قلنا قال ابن السائب واختاره الفرآء انه لم يكن غناه بكثرة المال
ولكن الله تعالى ارضاه بما آتاه ولم يكن له ذلك الرضا قبل النبوة وذلك حقيقة الغنى
ويؤيده قوله عليه السلام الغنى غنى القلب وقال غيره المراد به انه اغناه بمال خديجة عن
مال ابى طالب فالمراد به الاغناء بتسهيل ما لا بد منه وتيسيره لا الاغناء بفضول

المال التي لا تجامع صفة الفقر **سورة ألم نشرح** فان قيل اى
فايدة في زيادة لك وعنك والكلام تام بدونه قلنا فايدته الابهام ثم الايضاح وهو
نوع من انواع البلاغة فلما قال تعالى ألم نشرح لك فهم ان ثم مشروحا فلما قال صدرك
اوضح ما علم مبهما وكذا الكلام في عنك فان قيل كلمة مع للمصاحبة والقران فما معنى
اقتران العسر واليسر قلنا سبب نزول هذه الآية ان المشركين عيروا
رسول الله واصحابه بالفقر والضايقة التي كانوا فيها فوعدهم الله تعالى يسرا قريبا من
زمان عسرهم واراد تاكيد الوعد لتسليتهم وتقوية قلوبهم فجعل اليسر الموعود
كالمقارن للعسر في سرعة مجيئه فان قيل ما معنى قول ابن عباس رضه وابن
مسعود رضى الله عنهما لن يغلب عسر يسرين ويروى ذلك عن النبى عليه السلام
وان وعد الله قلنا هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وان وعد الله تع
لا يحمل الا على احسن ما يحتمله اللفظ والكلمة واما حقيقة القول فيه فهو انه
يحتمل ان يكون الجملة الثانية تاكيدا للاولى كما في تكرار قوله تع ويل يومئذ للمكذبين
وما اشبهه وكما في قولك جاءني رجل جاءني رجل وانت تعني واحدا بعينه في الجملتين
فعلى هذا اتحد العسر واليسر ويكون تعريف العسر لانه حاضر معهود وتنكير
اليسر لانه غايب مفقود او للتفخيم والتعظيم ويحتمل ان يكون الجملة الثانية
وعدا مستانفا فيتعدد اليسر حينئذ على ما قيل ويؤكد ان الجملة الثانية للتاكيد
انه ليس في مصحف عبد الله بن مسعود رضه الا مرة واحدة فان قيل ما ذا اثبت

في قراءة غير مكررة فكيف قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر
حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين قلنا كانه نزل ما فيه من التفخيم والتعظيم
بالتنكير منزلة التثنية لان المعنى يسرا واي يسر واما من فسره بيسرين فانه قال احد
اليسرين ما تيسر من الفتوح في زمن النبي عم والثاني ما تيسر بعده في زمن الخلفاء
وقيل هما يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله قع قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين
وهما حسن الظفر وحسن الثواب **سورة والتين** فان قيل كيف وجه
صحة الاستثناء في قوله قع الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قلنا قال الاكثرون المراد
بالانسان هنا الجنس وبرده اسفل سافلين ادخاله النار فعلى هذا يكون الاستثناء
متصلا ظاهر الاتصال ويكون قوله قع فلهم اجر غير ممنون قائما مقام قوله قع فلا نردهم
اسفل سافلين واما على قول من فسر الرد اسفل سافلين بالهرم والخرف
وقال السافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الهرم اسفل هؤلاء
كلهم فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا بمعنى لكن ومعنى قوله تعالى فلهم اجر غير
ممنون اي غير مقطوع بالهرم والضعف الحاصل من الكبر اي الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات في حال شبابهم وقوتهم فانهم اذا عجزوا عن العمل كتب لهم ثواب
ما كانوا يعملونه من الطاعات والحسنات الى وقت موتهم وهذا معنى قول ابن
عباس رضه من قرأ القرآن لم يرد الى ارذل العمر وقال بعض العلماء الذين آمنوا
وعملوا الصالحات في شبابهم وقوتهم فانهم لا يردون الى الخرف وارذل العمر وان

عمروا وطالوا وتمسكوا بظاهر قول ابن عباس رضه **سورة العلق**
فان قيل اين مفعول خلق الاول قلنا فيه وجهان احدهما انه لا تقدير له مفعول
بل يكون المراد الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه كما في قوله قع الا يعلم
من خلق في احد الوجهين وقولهم فلان يعطي ويمنع ويصل ويقطع الثاني ان يكون
مفعوله مضمرا تقديره الذي خلق كل شيء ثم افرد الانسان بالذكر تشريفا له وتفضيلا
فان قيل كيف قال قع خلق الانسان من علق على الجمع ولم يقل من علقة قلنا لان
الانسان في معنى الجمع بدليل قوله قع ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا والجمع انما
خلق من جمع علقة لا من علقة فان قيل هذا الجواب يرده قوله تعالى يا ايها الناس
ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة قلنا المراد
ثم انا خلقنا آباءكم من تراب ثم خلقنا كل واحد من اولاده من نطفة وقيل انما قال
من علق رعاية للفاصلة الاولى وهي خلق **سورة القدر** فان قيل ما معنى
قوله قع من كل امر وتنزلهم من الامر لا معنى له قلنا من هنا بمعنى الباء كما في قوله
يحفظونه من امر الله وقوله قع يلقي الروح من امره اي بكل امر قضاه الله تعالى في
تلك السنة من ليلة القدر الى مثلها تتنزل الملائكة به من اللوح المحفوظ الى سماء
الدنيا وقيل الى الارض **سورة البينة** فان قيل المراد بالرسول هنا
محمد عم بلا خلاف فكيف قال قع يتلو صحفا وظاهره يدل على قراءته المكتوب من
الكاتب وهو منتف في حقه عم لانه كان أميا قلنا المراد يتلو ما في الصحف

عن ظهر قلبه لانه هو المنقول عنه علم بالتواتر فان قيل ما الفرق بين الصحف
والكتب حتى قال صحفا مطهرة فيها كتب قلنا الصحف القراطيس وقوله مطهرة
اى من الشرك والباطل وقوله فيها كتب قيمة اى مكتوبات مستقيمة ناطقة بالعدل
والحق يعنى الآيات والاحكام فان قيل كيف قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءتهم البينة اى النبى عم او القرآن والمراد باهل الكتاب اليهود
والنصارى وهم ما زالوا متفرقين مختلفين يكفر كل فريق منهم الآخر قبل مجئ البينة
وبعدها قلنا المراد به تفرقهم عن تصديق النبى عم والايمان به قبل ان بعث
فانهم كانوا مجمعين على ذلك متفقين عليه باخبار التورية والانجيل فلما بعث
اليهم تفرقوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر وقال بعض العلماء المراد بالبينة ما فى
التورية والانجيل من الايمان بنبوته ويؤيد هذا القول ان اهل الكتاب افردوا
بالذكر فى هذا التفرق مع وجود التفرق من المشركين ايضا بعد ما اجتمعوا مع
المشركين فى اول السورة فلا بد ان يكون مجئ البينة امرا يخصهم ومجئ النبى عم
والقرآن العزيز لا يخصهم **سورة الزلزلة** فان قيل ما معنى اضافة الزلزلة
الذى هو المصدر الى الارض وهلا قال تعالى زلزالا كما قال تعالى كلا اذا دكت الارض
دكا دكا وما اشبهه قلنا معناه الزلزال الذى تستوجبه فى حكمة الله تع ومشيئته
فى ذكر البعث وهو الزلزال الذى ليس بعده زلزال ونظيره قولك اكرم التقى اكرامه
واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة ويجوز ان

ويجوز ان يكون المراد بالاضافة الاستغراق معناه زلزالها كله الذى هو ممكن لها
فان قيل كيف قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة على العموم وحسنات الكافر محبطة بالكفر
وسيئات المؤمن معفو عنها مغفورة باجتناب الكبائر فكيف يثبت رؤية كل
عامل جزاء عمله قلنا معناه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن
يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله يصدر الناس
اشتاتا وذكر مقاتل انها نزلت فى رجلين من اهل المدينة كان احدهما يستقل ان
يعطى السائل الكسرة او التمرة ويقول انما نؤجر على ما نعطيه ونحن نحبه وكان الآخر
يتهاون بالذنب اليسير ويقول انما اوعد الله تعالى النار على الكبائر **سورة
العاديات** فان قيل كيف قال تعالى ان ربهم بهم يومئذ لخبير مع انه تعالى خبير بهم
فى كل زمان فما وجه تخصيص ذكر اليوم قلنا معناه ان ربهم مجازيهم يومئذ على
اعمالهم فالعلم مجاز عن المجازاة ونظيره قوله تع اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم معناه
يجازيهم على ما فيها لان علمه شامل لما فى قلوب كل العباد ويقرب منه قوله تع يوم هم
بارزون لا يخفى على الله منهم شئ **سورة القارعة** فان قيل كيف قال تعالى
واما من خفت موازينه اى رجحت سيآته على حسناته فامه هاوية اى مسكنه
النار واكثر المؤمنين سيآتهم راجحة على حسناتهم قلنا قوله تعالى فامه هاوية لا يدل
على خلوده فيها فيسكن المؤمن فيها بقدر ما تقتضيه ذنوبه ثم يخرج منها
الى الجنة وقيل المراد بخفة الموازين خلوها من الحسنات بالكلية وتلك

موازين الكفار **سورة التكاثر** فان قيل اين جواب لو تعلمون قلنا
هو محذوف تقديره لو تعلمون الامر يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر
ثم ابتداء بوعيد آخر فقال تعالى لترون الجحيم فان قيل كل احد لا يخلو عن نيل نعيم
في الدنيا ولو مرة واحدة فما النعيم الذي يسال عنه العبد قلنا فيه سبعة اقوال
احدها انه الامن والصحة الثاني انه الماء البارد الثالث انه خبز البر والماء
العذب الرابع انه كل ماكول ومشروب لذيذ الخامس انه الصحة والفراغ
السادس انه كل لذة من لذات الدنيا السابع انه دوام الغداء والعشاء وقيل
ان السوال خاص للكفار والصحيح انه عام في كل انسان وفي كل نعيم فالكافر يسال توبيخا
والمؤمن يسال عن شكرها ويويد هذا ما جاء في الحديث انه عليه السلام قال يقول الله تع
ثلاث لا اسال عبدي عن شكرهن واساله عما سوى ذلك بيت يكنه وما يقيم به
صلبه من الطعام وما يواري به عورته من اللباس **سورة العصر**
فان قيل الاستثناء الذي في السورة لا يدل على ان المؤمنين الموصوفين في ربح
مع ان الاستثناء انما سيق لمدحهم لمضادة حالهم بحال من لم يتناوله الاستثناء قلنا
الاستثناء وان لم يدل بصريحه على انهم في ربح ولكن اتصافهم بتلك الصفات الاربع
الشريفة يدل على انهم في اعظم ربح مع انا لو قدرنا انهم ليسوا في ربح فالمضادة
حاصلة ايضا لانهم ليسوا في خسر بمقتضى الاستثناء **سورة الهمزة**
فان قيل ما الفرق بين الهمزة واللمزة قلنا انهما بمعنى واحد لا فرق بينهما وانما

الثاني تاكيد الاول وقيل انهما مختلفان فقيل الهمزة المغتاب واللمزة العياب
وقيل الهمزة العياب في الوجه واللمزة العياب في القفا وقيل الهمزة الطعان
في الناس واللمزة الطعان في انساب الناس وقيل الهمز يكون بالعين واللمز
باللسان وقيل عكسه فهذه ستة اقوال **سورة الفيل** فان قيل ما معنى
الابابيل وهل هو واحد او جمع قلنا معناها جماعات في تفرقة اي حلقة حلقة
وقيل هي التي يتبع بعضها بعضا وقيل الكثيرة وقيل المختلفة الالوان قال الفراء
وابو عبيدة لا واحد لها وقيل واحدها ابالة وابول وابيل **سورة القريش**
فان قيل باي شيء يتعلق اللام في قوله تعالى لايلاف قريش قلنا قيل انها متعلقة
باخر السورة التي قبلها اي فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش ويويد هذا
انهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل والمعنى انه اهلك اصحاب الفيل
الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيهابوهم ويحترموهم فينتظم لهم الامن
في رحلتيهم ولا يجترئ احد عليهم وقيل معناه اهلكهم لتالف قريش رحلة
الشتاء والصيف بهلاك من كان يخيفهم ويمنعهم وقيل انها متعلقة بما بعدها
وهو قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف
معناه ان نعم الله تعالى عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لساير نعمه فليعبدوه لهذه
النعمة الظاهرة وقيل هي لام التعجب معناه اعجبوا لايلاف قريش وكانت
لقريش في كل سنة رحلتان للتجارة بها معاشهم رحلة في الشتاء الى اليمن ورحلة

في الصيف الى الشام ثم قيل الايلاف هنا مصدر بمعنى الالف تقول الفته ايلافا
بالمد كما تقول الفته الفا بالقصر كلاهما متعد الى مفعول واحد فيكون معنى الايلاف
قريش لالف قريش اى لجمع الرحلتين وقيل آلف بالمد متعد الى مفعولين
تقول الف زيد المكان وآلف زيد عمرا المكان فيكون معنى الآية لايلاف الله
تعالى قريشا الرحلتين فعلى هذا الوجه يكون المصدر مضافا الى المفعول وعلى
الوجه الاول يكون مضافا الى الفاعل واما تكرار اضافة المصدر في قوله لايلاف
قريش ايلافهم فصل ان الثاني بدل من الاول وقيل انه للتاكيد كما تقول اعطيتك
المال لصيانة وجهك صيانته عن ذل السوال **سورة الدين** فان قيل
كيف توعد الله تعالى الساهي عن الصلوة والحديث ينفي مواخذته وهو قوله عليه رفع
عن امتي الخطاء والنسيان قلنا المراد بالسهو هنا التغافل عنها والتكاسل
في ادائها وقلة الالتفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشيطان
من المسلمين وليس المراد ما يتفق فيها من السهو بوسوسة الشيطان او حديث
النفس فان لا صنع للعبد فيه ولا اختيار وهو المراد في الحديث وكان النبي عليه
يقع له السهو في صلوته فضلا عن غيره ولهذا قال تعالى عن صلوتهم ولم يقل في صلوتهم
وعن انس بن انه قال الحمد لله على ان لم يقل في صلوتهم **سورة الكوثر**
فان قيل ما الكوثر قلنا فيه قولان احدهما وهو قول ابن عباس رضه
انه الخير الكثير فوعل من الكثرة كعظيم زوجل نوفل اى كثير النوافل ومنه

ومنه قول الشاعر وانت كثير يا ابن مروان طيب وكان ابوك ابن العقايل كوثرا
وقيل لاعرابية رجع ابنها من سفر بم آب ابنك فقالت آب بكوثر ولقد اعطى الله
النبي عليه خيرا كثيرا فانه آتاه الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ومنهم من
فسر هذا الخير الكثير بالنبوة ومنهم من فسره بالعلم والحكمة ومنهم من فسره بالقرآن
والقول الثاني ان الكوثر اسم نهر في الجنة وهو قول اكثر المفسرين وقد جاء في
الحديث الصحيح عن رسول الله عليه انه قال الكوثر نهر وعدنيه ربي في الجنة عليه
خير كثير ترد عليه امتي يوم القيمة وعنه ايضا في الحديث الصحيح انه قال بينما انا اسير في
الجنة فاذا انا بنهر حافتاه قباب من اللولو المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هو
الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينته المسك الاذفر وروي في
صفته انه احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد
حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء لا يظما من شرب منه ابدا
سورة الكافرون فان قيل كيف قال تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد
ولم يقل من قلنا فيه وجهان احدهما انه انما قال ما رعاية للمقابلة في قوله لا اعبد ما تعبدون
الثاني ان ما مصدرية اى لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقال الزمخشري انما
قال ما لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقال غيره ما في الكل
بمعنى الذي والعائد محذوف فان قيل ما فائدة التكرار قلنا فيه وجهان احدهما انه للتاكيد
وقطع اطماعهم فيما طلبوه منه الثاني ان الجملتين الاولتين لنفي العبادة في الحال

قوله فصل لربك وانحر فسر هذه الآية بعض السلف رضي الله عنهم بوضع اليمين على الشمال في الصلوات وهذا مروي عن علي رضي الله عنه [illegible] لان محل [illegible] الصدر [illegible] الناحر [illegible]
[illegible]

والجملتين الأخريين لنفي العبادة في الاستقبال فلا تكرار فيه وهذا قول ثعلب والزجاج
والخطاب لجماعة أعلمهم الله تعالى أنهم لا يؤمنون وقال الزمخشري ما يرد الوجه الثاني وذكر
أنه قال لا أعبد أريدت به العبادة فيما يستقبل لأن لا لا تدخل إلا على المضارع في معنى
الاستقبال كما أن ما لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال فالجملتان الأوليان لنفي العبادة
في الاستقبال والجملتان الأخريان لنفي العبادة في الماضي فقوله ولا أنا عابد ما عبدتم أي
ما عهدت مني عبادة الأصنام في الجاهلية فكيف يرجى مني بعد الإسلام وقوله
ولا أنتم عابدون ما أعبد أي وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته ويرد على قوله
والجملتان الأخريان لنفي العبادة في الماضي أن اسم الفاعل المنون العامل عمل الفعل
لا يكون إلا بمعنى الحال والاستقبال وعابد هنا عامل فيما وكذلك عابدون وجوابه
أنه على الحكاية كما في قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد وأورد على هذا التقرير
سؤال فإن قيل هلا قال ولا أنتم عابدون ما عبدتم بلفظ الماضي كما قال ولا أنا
عابد ما عبدتم قلنا لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل بعثه وهو ما كان يعبد الله
قبل بعثه بل بعد بعثه ويرد على هذا التقرير أن أعظم العبادات التوحيد وكل
الأنبياء كانوا موحدين بعقولهم قبل البعث وقال بعض العلماء إنما جاء الكلام مكررا
لأنه ورد جوابا لسؤالهم العبادة مناوبة وكان سؤالهم مكررا فإنهم قالوا يا محمد نعبد
آلهتنا كذا ونعبد إلهك كذا مدة ثم نعبد آلهتنا كذا مدة ونعبد إلهك كذا مدة
فورد الجواب مكررا مطابق السؤال وهذا وجه حسن لطيف **سورة النصر**

فإن قيل أي مناسبة بين الأمر بالاستغفار وبين ما قبله فإن مجيء الفتح والنصر والظفر
يناسب الشكر والحمد لا الاستغفار والتوبة قلنا قال ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت
هذه السورة علم النبي عليه السلام أنه قد نعيت إليه نفسه وقال الحسن أعلم النبي عليه السلام
أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل
الصالح فكان يكثر من قوله سبحانك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب وعن ابن مسعود
رضي الله عنه أن هذه السورة تسمى سورة التوديع وروي أن النبي عليه السلام عاش بعد نزولها
سنتين **سورة تبت** فإن قيل كيف ذكر الله تعالى بكنيته دون اسمه مع أن
ذلك إكرام واحترام قلنا فيه وجوه أحدها أنه يجوز أنه لم يعرف له اسم ولم يشتهر
إلا بكنيته فذكره بما اشتهر به لزيادة تشهيره بدعوة السوء عليه الثاني أنه
نقل أنه كان اسمه عبد العزى وهو كان عبد الله لا عبد العزى فلو ذكره باسمه
لكان خلاف الواقع الثالث أنه ذكر بكنيته لموافقة حاله لكنيته فإن مصيره إلى
إلى النار ذات اللهب وإنما كني بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما **سورة
الإخلاص** فإن قيل المشهور في كلام العرب أن الأحد يستعمل بعد النفي والواحد
يستعمل بعد الإثبات يقال في الدار واحد وما في الدار أحد وجاءني واحد وما جاءني أحد
ومنه قوله تعالى وإلهكم إله واحد وقوله تعالى لله الواحد القهار وقوله ولا تصل على أحد منهم
مات لا نفرق بين أحد لستن كأحد فما منكم من أحد فكيف جاء هنا أحد في الإثبات
قلنا قال ابن عباس رضي الله عنهما لا فرق بين الواحد والأحد في المعنى واختاره أبو عبيدة

واذا كانا بمعنى واحد لا يختص احدهما بمكان دون مكان وان غلب استعمال احدهما
في النفي والآخر في الاثبات ويجوز ان يكون العدول عن الغالب هنا رعاية لمقابلة
الحمد **سورة الفلق** فان قيل قوله من شر ما خلق يتناول كل
ما بعده فما الفائدة في اعادته قلنا خص شر هذه الاشياء بالذكر تعظيما لشرها
كأنه عطف الخاص على العام تعظيما لشرفه وفضله او خصها بالذكر لخفاء شرها وانه
يلحق الانسان من حيث لا يشعر به ولهذا قيل شر الاعداء المداجي وهو الذي
يكيد الانسان من حيث لا يعلم فان قيل كيف عرف سبحانه النفاثات ونكر ما قبلها
وما بعدها قلنا لان كل نفاثة لها شر وليس كل غاسق وهو الليل له شر
وكذا ليس كل حاسد له شر بل رب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات
ومنه قوله عليه السلام لا حسد الا في اثنتين الحديث وقال ابو تمام وما حاسد في
المكرمات بحاسد وقال ان العلى حسن في مثلها الحسد **سورة الناس**
فان قيل كيف خص الناس بالذكر في قوله قل اعوذ برب الناس وهو رب كل
شيء قلنا انما خصهم بالذكر تشريفا لهم وتفضيلا على غيرهم لانهم اهل العقل
والتمييز الثاني انه لما امر بالاستعاذة من شرهم ذكر مع ذلك انه ربهم ليعلم
انه هو الذي يعيذ من شرهم الثالث ان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس
الى الناس بربهم الذي هو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض العبيد اذا
اعتراه خطب بسيده ومخدومه ووالي امره فان قيل قوله من الجنة

وقال له علي عشرة الا [illegible]

من الجنة والناس بيان الذي يوسوس على ان الشيطان الموسوس ضربان جني
وانسي كما قال تعالى شياطين الانس والجن او بيان للناس الذي اضيفت
الوسوسة الى صدورهم والناس المذكور آخرا بمعنى الانس قلنا قال بعض
ائمة التفسير المراد المعنى الاول كانه قال من شر الوسواس الجني ومن شر الوسواس
الانسي فهو استعاذة بالله من شر الموسوسين من الجنسين وهو
اختيار الزجاج وفي هذا الوجه اطلاق لفظ الخناس على الانسي والعلم انه اسم للجني
وقال بعضهم المراد المعنى الثاني كانه قال من شر الوسواس الجني الذي يوسوس في
صدور الناس جنيهم وانسيهم فسمى الجن ناسا كما سماهم نفرا ورجالا في قوله انه
استمع نفر من الجن وقوله تعالى يعوذون برجال من الجن فهو استعاذة بالله من
شر الوسواس الذي يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الانس هو اختيار
الفراء والمراد بالجنة هنا الشياطين من الجن على الوجه الاول ومطلق الجن على الوجه
الثاني لان الشيطان منهم هو الذي يوسوس لا غير ومطلقهم يوسوس اليه واختار
الزمخشري الوجه الاول وقال ما احق ان اسم الناس ينطلق على الجن لان الجن
سموا جنا لاجتنانهم اي لاستتارهم والناس سموا اناسا لظهورهم من الايناس
وهو الابصار كما سموا بشرا لظهورهم من البشرة ولو صح هذا الاطلاق لم يكن
هذا المحمل مناسبا لفصاحة القرآن قال واجود منه ان المراد بالناس
الاول الناسي لقوله تعالى يوم يدع الداع وكما قرئ من حيث افاض

الناس ثم سمى بالجنة والناس لان الثقلين هما الجنسان الموصوفان
بنسيان حقوق الله عز وجل

تم الكتاب بعون الملك الوهاب على يدى العبد الضعيف
احقر العباد وافقرهم المحتاج الى الله الكريم اللطيف عوض على بن محمد
البخدادى رزقه الله علما نافعا وقلبا خاشعا وغفر له ولوالديه ولجميع المومنين
والمومنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات واحسن خاتمة واموره جميع المسلم
فى اوسط شهر الله المبارك رجب الاصب سنة تسع وخمسين وسبعمائة

سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك
وعافنا قبل ذلك فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله انك اهل التقوى واهل المغفرة برحمتك يا ارحم الراحمين

دعاء بعد صلوة الفجر
الالهى خلقتنى مجانا و رزقتنى مجانا فان لم تكن تاجرا فاغفر لى مجانا

مسئلة
من اغتسل من الجنابة ثم اراد يصلى فليتوضو
بعد الغسل سنة و بعد الغسل فريضة
للصلوة